http://coptic-treasures.com

اسرار الكنيسة السبعة

« الحكمة بنت بيتها . نحتت أعمدتها السبعة » (ام ٩ : ١)

تأليف

حبيب جرجس

مدير المدرسة الاكليريكية وصاحب مجلة الكرمة

عنيت بنشره

جمعية المحبة القبطية الارثوذكسية

بالقاهرة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الاولى سنة ١٦٥٠ ش — ١٩٣٤ م

مطبعة التوفيق القبطية بالقاهرة

http://coptic-treasures.com

قداسة البابا المعظم الانبا يؤانس بابا الكرازة المرقسية

http://coptic-treasures.com

اهداء الكتاب

الى

حضرة صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم « الانبا يؤانس التاسع عشر »
بابا و بطريرك الاسكندرية والنوبة وأتيوبيا والخمس المدن الغربية

سيدي

هذا كتاب شرحت فيه أسرار كنيستنا الارثوذكسية السبعة المقدسة، مبرهناً على كل سرٍ من نصوص الكتاب المقدس ومن التاريخ ومن أقوال الآباء. ولقد راجعت عشرات من الكتب شرقية وغربية ، ارثوذكسية وغير ارثوذكسية ، مستخرجاً منها أدلة على صحة عقيدتنا

أتشرف بأن أهديه إلى قداستكم ، برهاناً على اخلاصي لسدتكم الرسولية ، ومحبتي لكنيستي القبطية التي تمثلونها غبطتكم برياستكم عليها ، نائباً عن المسيح في رعايتها ، راجياً من الله تعالى بصالح دعواتكم ، أن يجعل كتابي هذا دعامة من دعائم تثبيت معتقداتنا القويمة ، طالباً أن تمنحوني بركتكم الرسولية وأدعيتكم الروحية ، أطال الله حياتكم ونفع الكنيسة بصلواتكم آمين ؟

ابنكم الطائع المخلص

حبيب جرجس

http://coptic-treasures.com

جمعية المحبة

القبطية الارثوذكسية

شارع سمعان بجزيرة بدران بمصر

كلمة الجمعية

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد امين

الحمد لله الذي وهبنا الحياة ، وأجزل علينا النعم ، وهيأ بروحه القدوس قلوبنا لتسلك فى طرقه وأحكامه ، وجعل لنا فى كنيسته المقدسة ينابيع أسراره ، ثم سلّمها بأمره وتعاليمه إلى رسله القديسين ، لتكون للنفس منها كفاية لسد حاجاتها الروحية ، مقدماً إياها للجميع هبة ثمينة مجانية ، فمن قدرها حق قدرها افتقد بها نفسه وأحياها ، ومن أهملها فقد جنى على نفسه وأسلمها للهلاك الأبدي

لما كان من أغراض جمعية المحبة القبطية الارثوذكسية افتقاد النفوس والسعي وراء خلاصها ونشر تعاليم الكنيسة المجيدة وشرح عقائدها ، فقد رأت أن تضيف إلى ما تبذله فى هذا السبيل من المجهودات بطريق الوعظ والارشاد وتعليم اللغة القبطية والألحان الكنسية ، مجهوداً آخر تقدمه إلى النفوس التى افتداها السيد المسيح بدمه الكريم . ذلك المجهود هو القيام

http://coptic-treasures.com

بنشر كتب الكنيسة الارثوذكسية ومؤلفات علمائها اللاهوتيين وتوزيعها مجاناً أو بقيمة التكاليف على أفراد الشعب، ليتثبتوا من صحة تعاليمها ويتفانوا فى خدمتها والذود عنها، وليكون لديهم من قوة الدليل ومتانة الحجة والبرهان السديد مايتمكنون بها من اقناع أولئك الذين انقادوا بسلامة نية وراء التعاليم الغريبة المغايرة لتعاليم الكنيسة القبطية، حتى يعودوا إلى احضان أمهم الكنيسة المقدسة التى استشهد فى سبيلها أباؤنا وذاقوا كؤوس المرارة لأجلها وثبتوا بدمائهم دعائم بنيانها

وقد كان أول ما فطنت اليه الجمعية فى هذا السبيل، هو حاجة الشعب إلى كتاب جامع شامل لأسرار الكنيسة السبعة وشرحها شرحاً وافياً كاملاً. فقصدت إلى حضرة العالم اللاهوتي الأستاذ حبيب افندي جرجس مدير المدرسة الاكليريكية وصاحب مجلة الكرمة الغراء، وأعلنت له رغبتها فى أن يتولى حضرته تأليف هذا الكتاب النفيس نظراً لما تعهده فيه من غزارة العلم والتمكن فى المواضيع اللاهوتية مع قوة الحجة وسلامة الدليل، فرحب حضرته بهذه الرغبة المباركة وسارع إلى اجابتها كما هو دأبه فى سرعة تلبية النداء إلى كل مايؤول لمجد اسم الله وخير الكنيسة. وقد أتمّ بعون الله مؤلفه وقدمه الينا لنقوم بطبعه ونشره. وما ان أعلنت الجمعية عن شروعها فى الطبع حتى لقيت من الشعب الكريم اقبالاً عظيماً على الاشتراك فيه وقد بلغ عدد طلبات الاشتراكات المقدمة إلى ما قبل صدوره حوالى الالفين وخمسماية طلب، مما كان له أكبر الاثر فى نفوسنا. وها هو الكتاب، وقد تم طبعه، نقدمه للشعب اجلّ سفر روحي ظهر فى هذا العصر.

http://coptic-treasures.com

والجمعية على يقين من انها بفضل ما تلقاه من رضاء وعطف حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم الانبا يؤانس بابا وبطريرك الكرازة المرقسية ، وحضرات اصحاب النيافة الآباء المطارنة والاساقفة ، وحضرات الآباء الكهنة وحضرات الوعاظ الافاضل، وحضرات رؤساء واعضاء الجمعيات القبطية الارثوذكسية ، ومن تشجيع جميع الغيورين من افراد الشعب ستستمر فى العمل على تنفيذ اغراضها بان تقدم للشعب من آن لآخر ثمرة من ثمرات مجهوداتها

ولا يفوتنا هنا أن ننوه بما لجمعية التوفيق القبطية بالقاهرة من الفضل فى اعداد مطبعتها لطبع هذا الكتاب طبعاً متقناً مع السرعة والعناية الفائقة مما استحقت عليه الشكر الجزيل

وإله كل نعمة مصدر كل جود ينير لنا السبيل ويسدد خطواتنا ويستخدم مجهوداتنا لمجد اسمه القدوس وخير كنيسته المجيدة ،

له المجد من الآن والى الابد آمين ؟

بشنس ١٦٥٠ — مايو سنة ١٩٣٤

http://coptic-treasures.com

أسرار الكنيسة السبعة

كلمة تمهيدية

(١) ماذا يعنى بكلمة « سر » فى الكتاب المقدس

لكلمة « سر » في الكتاب معناها الاعتيادى المعروفة به كما فى قوله « وعمل بنو اسرائيل سراً » (٢ مل ١٧ : ٩) وقوله : «لا تُسبح بسر غيرك » (ا م ٢٥ : ٩)

غير ان لها معنيين آخرين. فيراد بها أولاً كل شيء مقدس وغير منظور كما في الآيات الآتية : —

« سر الرب لخائفيه » (مز ٢٥ : ١٤)

« لدانيال كشف السر » (دا ٢ : ١٩)

« يُعلن سره لعبيده الانبياء » (عا ٣ : ٧)

« لتعرفوا أسرار ملكوت السموات » (مت ١٣ : ١١ ، لو ٨ : ١٠)

« بالروح يتكلم بأسرار » (١ كو ١٤ : ٢)

« وأعلم جميع الاسرار » (١ كو ١٣ : ٢)

« لست أريد أن تجهلوا هذا السر » (رو ١١ : ٢٥)

« السر الذى كان مكتوماً » (رو ١٦ : ٢٥)

http://coptic-treasures.com

« نتكلم بحكمة الله فى سر » (١ كو ٢ : ٧)
« هوذا سر أقوله لكم » (١ كو ١٥ : ٥١)
« إذ عرّفنا بسر مشيئته » (اف ١ : ٩)
« هذا السر عظيم » (اف ٥ : ٣٢)
« لأعلم جهاراً بسر الانجيل » (اف ٦ : ١٩)
« ولهم سر الايمان » (١ تى ٣ : ٩)
« عظيم هو سر التقوى » (١ تى ٣ : ١٦)

وتأتى كلمة « سر » فى الكتاب أيضاً بمعنى « رمز أو إشارة أو علامة » فقول د انيال فى ص ٢ بعد وصف التمثال الذى رآه نبوخذ نصر « إن هذا سر » يعني به علامة لامور خفية . إذ يشير الى تعاقب أربع ممالك يظهر بعدها مُلك المسيح . وكما فى قول صاحب الرؤيا « سر السبعة الكواكب التى رأيت على يميني والسبع المنابر الذهبية . السبعة الكواكب هي ملائكة السبع الكنائس والمنابر السبع التى رأيتها هي السبع الكنائس » (رؤ ١ : ٢٠)

كذلك جاء فى سفر الرؤيا (ص ١٧ : ١ — ٧) من وصف الزانية الجالسة على المياه قوله « وعلى جبهتها اسم مكتوب . سر . » وقال الملاك « أنا أقول لك سر المرأة » أى أفسر لك رمزها . وقال بولس الرسول « لان سر الاثم الآن يعمل » (٢ تس ٢ : ٧) مشيراً بذلك الى الاضطهادات التى ستقاسيها الكنيسة من الملوك الاثمة . وتلك الاضطهادات رمز لاضطهادات المسيح الدجال .

(٢) تعريف السر الكنسى

أما أسرار الكنيسة فقد جاءت فى الكتاب بمعنى علامات تشير إلى

http://coptic-treasures.com

أمور مقدسة خفية .

مثال ذلك قول الرسول عن الزواج « هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة » (اف ٥ : ٣١) ومعنى ذلك أن الاتحاد المحسوس بين الرجل وزوجه علامة أو رمز إلى أمر روحي مكنون هو اتحاد المسيح والكنيسة .

فالسر الكنسي اذن معناه « علامة »

ويشترط فى هذه العلامة أن تكون (أولا) شيئاً محسوساً و (ثانياً) أن تؤدى الى معرفة شيء آخر . لان العلامة لا توضع للدلالة على نفسها . بل لابدّ لها من شيء تشير اليه .

وفى هذا المعنى يقول بولس الرسول عن المعمودية « أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح ، اعتمدنا لموته » (رو ٦ : ٣) كأنه يقول إن المعمودية علامة على موت المسيح ودفنه وقيامته . وكذلك الحال فى سر الأفخارستيا اذ يقول : « فانكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء » (١ كو ١١ : ٢٦)

(٣) مناسبة الاسرار للطبيعة البشرية

وهذا الترتيب الذى وضعه الله فى كنيسته موافق ومناسب لطبيعتنا التى مراعاة لجزئها الحسي تميل الى العلامات الحسّية فى العلاقات الدينية . ولهذا رتب الله لموسى علامات كثيرة لأجل بنيان شعب اسرائيل فى التقوى . كالختان ، والكهنوت ، والكفارة ، والحمل الفصحي ، وخبز التقدمة . وكلها علامات حسّية تشير الى البر الذى كان عتيداً أن نناله بذبيحة المسيح .

وبناء عليه يكون السر فى اصطلاح الكنيسة عملاً مقدساً به ننال

http://coptic-treasures.com

خصائص العهد الجديد فأذن التعليم بفاعلية الاسرار المقدسة هو روح الانجيل

وربَّ معترض يقول إن هذا التعليم ينسب للأسرار قوة فى ذاتها . فنجيب على ذلك أن الماء والزيت ووضع اليد وغيرها ليس لها قوة فى ذاتها للتطهير والتقديس . ولكن لها ذلك بقوة الروح القدس . ومثال ذلك الطين الذى وضعه السيد المسيح على عيني الأعمى ، فانه لا يوجد من يقول إن للطين قوة فى ذاته للشفاء وإنما الشفاء كان بقوة المسيح ، ولم يكن الطين إلا آلة وآداة . وكما ان قلم المصور ليس له فى ذاته قوة على التصوير ، بل إن له هذه القوة فى يد المصور ، هكذا أسرار العهد الجديد ليس لها فى ذاتها قوة للنعمة ، ولكنها لها قوة لاصدار النعمة بواسطة الروح القدس ، وان العلة الأصلية لانشاء هذه الفاعيل هي الروح القدس.

+ (رابعاً) — لو كانت الأسرار عبارة عن علامات أو رسوم تميز المسيحي عن غيره لانتفت الفائدة منها بالكلية ، إذ ليست هي علامات ظاهرة تترك أثراً في الشخص حتى يظهر أنه مسيحي ويتميز عن غيره ، وإنما هي أعمال الغرض منها تأثير النعمة الداخلية بواسطتها .

(خامساً) — إن الأسرار هي بركات ونعم المسيح ، تفاض على المؤمنين ، فلو كانت عديمة القوة والفاعلية لما كانت لنا بها حاجة قط ما دامت لا تأثير لها ولا فعل .

(سادساً) — إن الكنيسة اعتادت أن تمنح الاطفال منذ القديم سر المعمودية وسر الميرون وسر الشكر ، فلو كانت هذه الأسرار عبارة عن رسوم لانهاض الايمان ، وليست وسائط فعّالة للنعمة في البشر ، لما كانت من وراثها أيّة منفعة للاطفال وهم لا يدركون لها معنىً ولا يعرفون ما

http://coptic-treasures.com

نعمة غير منظورة تحت مادة أو علامات منظورة . وهو مرتب من ربنا يسوع المسيح الذى به ومنه تنال النعم الالهية .

(٤) التشابه بين الاسرار وبين ما تشير اليه

فأسرار الكنيسة اذن أعمال تشير الى تطهير النفس وتجديدها بالنعمة . وهي مطابقة للقصد الالهي الذى وُضعت من أجله ، إذ يوجد تشابه كلي بينها وبين ما تشير إليه . خذ مثلاً الغسل بالماء فى المعمودية ، فانه يشير بأسلوب مناسب الى غسل النفس من أدران المعصية . كذلك الزيت فى سر الميرون وسر مسحة المرضى ، فانه أنسب مادة للدلالة على قوة السر لتسكين أوجاع الجسد وتقويته . وقس على ذلك بقية الاسرار .

وقد قال بعضهم : كما أنه يوجد فى الطب الجسدى ثلاثة أنواع من الأدوية . نوع يحسم الداء بعد وروده . ونوع يسبق الداء ويقى منه . ونوع يقوى البدن بالاكثار من الجواهر الحيوية التي تمنع ضعفه ، كذلك الاسرار السبعة المقدسة التى أعطانا إياها طبيبنا الروحي ومخلصنا . فأنها تقوم بهذه الوظائف الثلاثة عينها .

فمنها المعمودية والتوبة ومسحة المرضى ، تعتبر أدوية روحية للشفاء من الخطية الأصلية والخطايا الفعلية . وهى أدوية يحتاج اليها كل الناس .

ومنها الزيجة والميرون ، وهما دواءان للانتصار ، أحدهما للنصرة على الشهوات . والثاني لأضعاف القوى الغضبية . وفى ذلك وقاية وتحصن من الخطايا .

أما الكهنوت وسر القربان ، فأنهما يُنميان فينا العافية الروحية المكتسبة من الاسرار الاخرى .

http://coptic-treasures.com

على أن من هذه الاسرار ما يرسم على قابليه سمة لا تمحى ولذلك لا يعاد، وهي المعمودية والميرون والكهنوت. فبالمعمودية نوسم كأبناء الله وبالميرون نوسم كجنود للملكهم الأعظم. وبالكهنوت نوسم كخدام لجبرهم الاعظم.

(٥) جوهر الاسرار وفعلها

وحسب التعريفات المتقدمة تكون الاسرار فى جوهرها أعمالاً مقدسة، تمنح النعمة الالهية فعلاً للمتقدمين اليها. وأداة يتم بواسطتها عمل هذه النعمة فينا. وهذه هي أوصاف جوهرها بناء على ما تقدم:

(١) أنها مؤسسة من الله و (٢) أنها ذات هيئة أو صورة (٣) أنها واسطة لأنالة نفوس المؤمنين فيض النعمة.

فليست الاسرار إذن رسوماً وعلامات للمواعيد الالهية يقصد بها إنهاض الايمان بيسوع المسيح.

ولا هي إشارات للنعمة يتوطد بها المنتخب ويثبت في الايمان وفى المواعيد الالهية التى نالها، أو بالحرى هو يوطد الكنيسة بأيمانه أكثر مما يوطد نفسه.

ولا هي مجرد طقوس خارجية يتميز بها المسيحي عن غيره.

هذه الآراء الثلاثة (حسب زعم لوثيروس وكلفينوس) ترفضها كنيستنا الارثوذكسية لأنها مخالفة للكتاب. ولأجل إثبات بطلانها نأتى بالآيات التي تؤيد فاعلية الأسرار، ونثبت ان هذه الأسرار فى جوهرها اعمال مقدسة تمنح المؤمنين نعم الله غير المنظورة تحت علامات منظورة، واليك هي:—

أولا — إن الكتب المقدسة تقرر هذا الرأى فقد قيل عن المعمودية

http://coptic-treasures.com

هو الايمان ، ولأيّة غاية تمنحهم الكنيسة هذه الأسرار .

(سابعاً) — إن الله هكذا رتب وهكذا سُرّ وارتضى أن تكون أسراره وسائط لنيل بركاته ونعمه ، إذ لم يكن ممكناً أن ينال البشر الماديون ، مواهبه السامية غير المنظورة إلا تحت وسائط محسوسة منظورة تناسب طبيعتهم . فهو تعالى رتّب هذه الاسرار لتكون آلات منظورة بها يشترك المؤمنون فى نعم الروح القدس ، وهو الذى أسسها لهذا الغرض ، وارادته لا تزال نافذة . وكل اعتراض على فعلها انما هو اعتراض على شخص الفادى ، الذى رتبها وأسسها ووضعها ، وأمر باتمامها على هذا الشكل ، ووعد بأن يكون لها فاعلية . وهو تعالى ليس انساناً فيكذب أو إبن انسان فيندم . وفي هذا المعنى قال القديس يوحنا الذهبي الفم « أيها المسيحي لو كنت عارياً عن الجسد لكانت عطايا الله تُمنح لك على هذا النمط ، ولكن حيث أن نفسك متحدة بجسدك فلزم أن الله يقدم لك بعلامات محسوسة ما لا يُدرك إلا بالعقل »

(ثامناً) — إن هذا التعليم هو تعليم الكنيسة منذ الأجيال الأولى . قال القديس أثناسيوس الرسولي « كما أن الانسان إذ يُعمّد من الانسان ، أعني الكاهن ، يستنير بنعمة الروح القدس ، كذلك المعترف بخطاياه فى التوبة ينال الصفح بنعمة يسوع المسيح بواسطة الكاهن » (خطاب فى معمودية المسيح)

وقال العلامة ترتوليانوس « إن الجسد يُغسل لتطهير النفس ، والجسد يُمسح لتقديس النفس ، والجسد يُرسم لتأييد النفس ، والجسد تُوضع عليه الايدى لتستنير النفس بالروح ، والجسد يقتات بجسد المسيح ودمه لتشبع النفس بالله »

http://coptic-treasures.com

« إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله . الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٣ و ٥) ، « المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح » (يو ٣ : ٦) ، وقول الرسول « كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لاجلها . لكي يقدسها مطهراً إياها بغسل الماء بالكلمة . لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة ، لا دنس فيها ولا غضن ، أو شيء من مثل ذلك بل تكون مقدسة وبلا عيب » (اف ٥ : ٢٥–٢٨) وقوله « لكن اغتسلتم بل تقدستم بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا » (١ كو ٦ : ١١)

وفى سر الشكر يقول « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدى ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الاخير . لان جسدى مأكل حق ودمي مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٣ – ٥٦)

وفى سر الكهنوت يقول الرسول « لا تُهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدى القسوسية » (١ تى ٤ : ١٤) وقوله « أذكرك أن تضرم ايضاً موهبة الله التي فيك بوضع يدىّ » (٢ تى ١ : ٦)

وعن سر الميرون جاء في سفر الاعمال : « ولما سمع الرسل الذين فى أورشليم ان السامرة قد قبلت كلمة الله ، أرسلوا اليهم بطرس ويوحنا اللذين لما نزلا صليا لاجلهم لكي يقبلوا الروح القدس ، لانه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم غير انهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع . حينئذ وضعا

http://coptic-treasures.com

الايادي عليهم فقبلوا الروح القدس » (اع ٨ : ١٤ ـ ١٧)

وعن سر مسحة المرضى قال يعقوب الرسول « أمريض أحد بينكم فليدعُ قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب . وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه ، وان كان قد فعل خطية تغفر له » (يع ٥ : ١٤ و ١٥)

وعن سر التوبة قال الرب بصريح اللفظ « من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٣)

وعن سر الزواج قال الرسول « هذا السر عظيم » وشبهه باتحاد المسيح بالكنيسة (اف ٥ : ٣٢)

فمن هذه الآيات البينات يتبين أن الاسرار المقدسة هي أدوات وآلات يفعل بها الروح القدس ويفيض النعم المبررة فى نفوسنا . فالاسرار تفعل فعلاً حقيقياً فى المؤمن المشترك بها ، فان الماء فى سر المعمودية يلده ثانية ويقدسه وينقيه . ومسحة الميرون تمنحه ثباتاً وتهبه حلول الروح القدس . وبتناوله سر الشكر يوهب عدم الموت والثبات فى المسيح . وبوضع اليد فى الكهنوت تمنح للمرتسمين نعمة خاصة ، لتكريسهم لخدمة الاسرار وقبول وظيفة الرعاية السامية . وهكذا كل سر من الاسرار المقدسة بحسب طبيعته وجوهره يفعل فعلاً غير منظور ويمنح النعمة لكل من يتقدم اليه .

ولا نقول ان للأسرار فى ذاتها وطبعها قوة لفعل النعمة ، ولكنها آلات فى يد الله لفعل هذه النعم . فهي إذن علل فعّالة لاصدار النعمة ، وإن كانت ليست عللاً أصلية إلا انها علل تعمل كأدوات فى يد الروح القدس .

(ثانياً) — يظهر ذلك من تعليم الانجيل عن الفرق بين معمودية يوحنا

http://coptic-treasures.com

وقال القديس كيرلس الاورشليمي « تقدموا الى المعمودية لا كماء بسيط ، بل الى ماء تُمنح به النعمة الروحية »(عظة ٣ : ٢) وقال « إحترس من أن تظن ذاك الميرون مادة بسيطة لانه كما أن خبز الشكر بعد استدعاء الروح القدس لا يكون خبزاً بسيطاً بل جسد المسيح ، هكذا هذا الميرون المقدس لا يكون بعد الدعاء دهناً بسيطاً ، ولا يُمكن ان يُسمى عادياً ، لكن موهبة المسيح والروح القدس ، إذ يصير فعّالاً بحضور لاهوته . فبه تُمسح رمزياً جبهتك وكل حواسك . واذن فالجسد يُدهن بالميرون الظاهر ، واما النفس فتتقدس بالروح القدس المحيي » (فى الأسرار تعليم ٣ : ٣)

وقال القديس غريغوريوس النيسى : « وإن كان الماء ليس شيئاً آخر سوى ماء ، ولكن إذ يُقدس من فوق بالنعمة يُجدد الانسان بالتجديد الروحاني — وإن إرتاب احد وسألني بلا فتور مخاصماً إياى كيف ان الماء يُعيد الولادة ، فأقول له بايمان حسن ، فسّر لى انت كيف تدرك الولادة الجسدية ، وحينئذ أقول لك انا كيف تصير الولادة الروحية » (مقالة للذين يضجرون من القوانين)

وقال القديس يوحنا الذهبى الفم « هكذا فى المعمودية ايضاً فبالشيء الحسي تحصل منحة الماء ، وأما المتمم فعقلي اعني الولادة والتجديد » (تفسير انجيل متى ـ مقالة ٨٢ : ٤)

وقال القديس باسيليوس الكبير : « إن الاشتراك كل يوم ، وتناول جسد ودم المسيح المقدسين ، جيد ومفيد لانه هو (اى المسيح) يقول صريحاً من يأكل جسدى ويشرب دمي فله حياة ابدية ، فمَن يرتاب فى أن الاشتراك بالحياة على وجه متواصل ليس الا حياة متنوعة ؟ » (رسالة ٩٣)

http://coptic-treasures.com

ومعمودية المسيح، فان معمودية يوحنا لم تكن سوى معمودية للتوبة والاعداد حسب قوله « أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذى يأتى بعدى (أى المسيح) سيعمدكم بالروح القدس ونار » (مت ٣ : ١١) راجع مر ١ : ٧ و ٨ ولو ٣ : ١٦ و يو ١ : ٣٣

فمعمودية يوحنا كانت استعداداً لمغفرة الخطايا ، ولم تكن لها قوة على محو الخطيئة . وأما معمودية المسيح فلها قوة غفران الخطايا لانها تمنح بالماء والروح القدس . ولما كانت مفاعيل الروح القدس الخاصة هي محو الخطايا وتقديس النفوس ، فالفرق إذن واضح بين المعموديتين ، ومن هنا يتضح ان أسرار العهد الجديد لها قوة وفاعلية بالروح القدس

ثالثاً — من تعليم الكتاب أن أسرار العهد الجديد تمنح النعم الالهية بخلاف أسرار العهد القديم ، التى لم تكن إلا رمزاً وظلاً للخيرات العتيدة، حسب قول الرسول « لان الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الاشياء لا يقدر أبداً بنفس الذبائح كل سنة التى يقدمونها على الدوام أن يكمل الذين يتقدمون » (عب ١٠ : ١) « ولانها رمز للوقت الحاضر لا يمكن ان تكمل » (عب ٩ : ٩ — ١٤) « وان الناموس كان مؤدبنا الى المسيح » (غل ٣ : ٢٤) « إذ الناموس لم يكمل شيئاً ولكن يصير ادخال رجاء افضل به نقترب الى الله (عب ٧ : ١٩) ولكن عن أسرار العهد الجديد يقول الرسول « وبه أيضاً (أى بالمسيح) ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح ، مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه بايمان عمل الله الذى أقامه من الاموات » (كو ٢ : ١١ و ١٢) لان النعمة والحق وروح البنوة وختان القلب بالروح ، كل ذلك من

http://coptic-treasures.com

وقال القديس أمبروسيوس « مَن يمنح نعمة الدرجة الأسقفية ؟ الله أم الأنسان ؟ فأنكم تجيبون إن الله يمنحها . ولكن الله يمنح النعمة بواسطة الأنسان ، فأن الانسان يضع الايدي ، والله يسكب النعمة . الكاهن يضع يمينه الحقيرة ، والله يبارك بيمينه القادرة على كل شيء . الاسقف يشرطن الخادم للخدمة ، وأمّا الله فأنه يمنحه الكفاية » (فى الوظائف الكهنوتية فصل ٥)

فمن هذه الاقوال المتقدمة يتضح جلياً أعتقاد الكنيسة منذ القديم في فعل الاسرار وتأثيرها . وما الآراء الحديثة إلا تعاليم غريبة مخالفة للكتاب ولأعتقاد الآباء .

(٦) مفعول الاسرار

للاسرار مفعولان وهما النعمة والوسم . المفعول الاول عام يشمل جميع الاسرار ، والثانى خاص بثلاثة منها وهي المعمودية والميرون والكهنوت . ولذلك تُمنح للانسان مرة واحدة ، ولا يجوز اعادتها لانها تترك وسماً فى النفس لا يُمحى .

والنعمة المبررة تُمنح اولاً بالمعمودية ثم بالتوبة ثم تزداد هذه النعمة بواسطة سر الشكر . والنعمة المبررة ، هي ما يتبرر بها الانسان ويصير ابناً لله ووارثاً للحياة الابدية .

وعلى ذلك فالاسرار المقدسة تمنح هذه النعمة . ومتى قَبِل الانسان سراً من تلك الاسرار فقد نال النعمة المقصودة من ذلك السر .

وأما الوسم فهو علامة روحيّة تنطبع فى النفس ولا تُمحى . وبهذا الوسم يتميز المؤمنون عن غيرهم أمام الله والملائكة والقديسين . وهذه

http://coptic-treasures.com

وكلفن الذين زعموا أن الأسرار التي يتممها خدام أثمة تكون باطلة ويلزم إعادتها ، فنقول : —

(١) إن صحة السر لا تقتضي لا إيمان الخادم ولا صلاحه أي وجوده فى حال النعمة ، وذلك لان قوة السر والنعمة التى تُمنح به ليست متعلقة بخادمه ولا متوقفة على استحقاقه . بل هي متعلقة رأسا باستحقاق وإرادة مخلصنا يسوع المسيح ، الذى يمنح النعمة . وما الخدام إلا آلات منظورة يتمم الرب أسراره بهم وعلى أيديهم بطريقة سرية غير منظورة . فقد سبق يوحنا المعمدان وأخبر عن الرب يسوع بأنه « يعمّد بالروح القدس ونار » (مت ٣ : ١١ ويو ١ : ٣٣) وأفادنا يوحنا الانجيلى أن « يسوع نفسه لم يكن يُعمّد بل تلاميذه» (يو ٤ : ٢) وبولس الرسول يقول « ليس الغارس شيئاً ولا الساقي بل الله الذى يُنمي » (١ كو ٣ : ٧) وهذا هو روح تعليم الكتاب كله الذى سارت عليه الكنيسة فى كل العصور .

(٢) إن هذا الزعم يُنتج نتائج فاسدة إذ يسبّب الريب والقلق على الدوام بشأن صحة الأسرار التي يكون قد قبلها المؤمنون ، اذ لا يمكن لاحد أن يتحقق هل خادم السر مؤمن وصالح أم لا ، ولا يخفى أن هذا مضر بكنيسة الله وبحياة المؤمنين لانه يزيد فى عدد المتشككين والمرتابين ويقلّل عدد الذين يتقدمون الى الأسرار . ولو تعلقت فاعلية الأسرار بقداسة الخادم أو عدمها لتعلق خلاصنا بحريتهم على نوع ما

(٣) لو حرم الخادم غير الصالح من إتمام الأسرار لوجب حرمان كل خاطىء من إتمام جميع الاشياء التى يُنتدب اليها وعليه يجب حرمه من سلطان النهي والامر والتدبير والتعليم حتى الحياة نفسها

http://coptic-treasures.com

العلامة لاتُمحى لان هذا الوسم ينطبع فى النفس ومن خصائصه الديمومة . وليس هو مجرد زينة فى النفس بل هو صفة أو قوة تُعدّ الانسان لقبول مايخص عبادة الله

وهذه الاسرار تمنح النعمة من ذاتها وبقوتها التى وضعها الله فيها ـ قلنا من ذاتها وبقوتها لان صدور النعمة مُعلّق على مباشرة طقس السر الخارجى، أى على تطبيق مادة السر وصورته ، لا على إيمان خادم السر أو قابله ـ وقلنا بالقوة التى وضعها الله فيها ، لان الاسرار هي علة آلية لصدور النعمة ومنحها . أما العلة الأصلية فهي الرب يسوع المسيح مانحها ومؤسسها الذى يؤتي السر قوته وفاعليته على منح النعمة ، فكما ان الآلة تبرز المعلول رأساً بالقوة التى تتصل اليها من العلة الاصلية ، هكذا الاسرار فانها تُصدر النعمة رأساً بذاتها وبقوتها التى وضعها الله فيها

وعلى ذلك لايكون مفعول الاسرار إنماء الايمان ، او انها ختوم على المواعيد الالهية ، ولكنها تمنح النعمة . فبها يتطهر الانسان ، ويولد ثانية ، ويتجدد وتُغفر خطاياه ، وبها يقبل الروح القدس ، وبها يتحد مع المسيح ويثبت فيه ويحيا الى الابد . قال القديس باسيليوس « إن النفس تتجدد بالمعمودية » (ميمر ١٣ : ٥) والقديس غريغوريوس النزينزى فى خطابه على اعتماد المسيح يدعو المعمودية « تطهير الخطايا وغفران الذنوب وعلة التجديد والميلاد الثانى » وقال أيضاً « كما أن فى أحشاء الامم قوة لمنح الحياة الجسدية هكذا ماء المعمودية قد نال قوة لمنح الحياة الروحية »

وقد انكر اتباع لوثر وكالفن وجود الوسم الذى تطبعه الاسرار الثلاثة وهي المعمودية والميرون (التثبيت) والكهنوت . زاعمين أن

http://coptic-treasures.com

الكتاب لم يذكر شيئاً عن ذلك

فنرد عليهم (١) ان الكتاب يشير الى هذا الوسم . قال الرسول بولس « ولكن الذى يثبتنا معكم في المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضا وأعطى عربون الروح فى قلوبنا » (٢ كو ١ : ٢١ و ٢٢) وقال « الذى فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس » (اف ١ : ١٣) وقال « لا تُحزنوا روح الله القدوس الذى به خُتمتم ليوم الفداء » (اف ٤ : ٣٠)

(٢) جميع الآباء يُشيرون الى هذا الختم وهذا الوسم ـ قال القديس كيرلس الاورشليمي « إن الروح القدس فى المعمودية يسم النفس ويمنح ختماً ترتجف منه الشياطين خوفاً . ختماً سماوياً والهياً » كما كتب الرسول بولس الى أهل أفسس (١ : ١٣) « الذى فيه أيضاً إذ آمنتم خُتمتم بروح الموعد القدوس » وهكذا القديس باسيليوس (فى خطاب ٣ على العماد) ، والقديس أبيفانيوس (فى الارطقات ٥ : ٦) والقديس غريغوريوس النزينزى (خطاب ٤٠ : ٤) وغريغوريوس نيصص (فى خطابه على التوبة) فجميعهم علّموا ان المعمودية تطبع على النفس وسماً مقدساً لا يُمحى . وشبهوا هذا الوسم بالعلامة التى وضعها الاسرائيليون على بيوتهم في مصر ، أو بالختان الذى به كانوا يمتازون عن باقي الشعوب . ودعاه القديس امبروسيوس « ختماً روحياً » (ك ١ فى الروح القدس راس ٦ : ٧٨) ودعاه القديس اغسطينوس « وسماً » بقوله تمسّك بما نلته فانه لا يتغير فهو وسم ملكي (مقالة فى يوحنا عدد ١٦) وقال « إن المعمّد فى الكنيسة إذا ترك الكنيسة يُحرم قداسة الحياة ولكنه لا يُحرم وسم السر » (عظة ٨)

http://coptic-treasures.com

(٤) إن الله تعالى الكلي الصلاح والقداسة يستطيع ان يصنع الخير ويوزع بركاته باستخدامه الابرار والاشرار على السواء، فقد كان بلعام خاطئاً ومع ذلك تنبأ على مجيء المخلص ، وكان يهوذا بين التلاميذ يبشر بملكوت الله ومع ذلك هلك ، وكان قيافا رئيساً للكهنة وتنبأ عن موت المسيح وهو يحكم عليه بالصلب

(٥) قد إعترف بذلك جميع الآباء . قال القديس اثناسيوس الرسولى « إن الكاهن لا يُقدس الماء بل يتمّم الخدمة الواجبة وقد أخذ لها نعمة من الله » (فى الثالوث فصل ٤٠) وقال « إن عمّدنا وإن ثبّتنا وإن صفحنا فان المسيح هو علة هذا كله وفاعله » (فى رسالة ٣ : ٧)

وقال القديس كيرلس الاورشليمي « لأن النعمة ليست من بشر لكن من الله بواسطة البشر ، فانت إذنُ من المعمّد ، وعند ما تدنو لا تنظر إلى الشخص الذى تراه ، بل أذكر الروح القدس الذى كلامنا الآن عنه لانه حاضر ومستعد لان يختم الآن نفسك ويمنحك ختماً » (عظة ١٧ : ٣٥)

وقال القديس يوحنا الذهبي الفم « إن اليد تُوضع على الرجل والله يعمل كل الامر ، ويده هى التى تلمس رأس المشرطن إن كان يشرطن كما يجب » (مقالة ١٤ : ٣ على الاعمال) وقال « فآمنوا إذاً أن هذا العشاء هو العشاء الذى اتكأ فيه هو (اى المسيح) لانه لافرق بين هذا وذاك . وليس الانسان يصنع هذا وهو صنع ذاك . بل هو الصانع ذاك وهذا . فعندما ترى الكاهن يناولك لا تظن أن الكاهن يفعل هذا الفعل . بل إعترف أن اليد الممدودة هي يد المسيح ، وكما أن الكاهن عند ما يعمّدك ليس هو الذى يعمّدك بل الله هو الضابط رأسك بقوة غير منظورة . ولا يتجاسر

http://coptic-treasures.com

(٣) إنه من اللائق بمَن يُنتدب الى وظيفة أو يقبل سلطاناً أن يوسم بعلامة تميزه عن غيره ، كما يرتدى الجنود والكهنة والملوك ملابس خصوصية يتميزون بها عن سواهم . والحال ان المؤمنين يقبلون بهذه الاسرار الثلاثة المذكورة وظيفة روحية وسلطاناً خصوصياً . فيصير الانسان بالمعمودية إبناً لله وعضواً من عائلة المسيح وإبناً للكنيسة وأهلاً لقبول الاسرار . وبالتثبيت أو الميرون يصير جندياً للمسيح وبسر الكهنوت يصير خادماً للمسيح وقائداً فى جيشه ويقبل السلطان على توزيع الاسرار .

ينتج مما تقدم بان هذه الاسرار الثلاثة تطبع على النفس سمة خاصة وختماً لا يُمحى . وهذا الوسم ثابت ودائم لا يُمحى لا فى هذه الحياة ولا فى الاخرى . إذ من المناسب أن يبقى فى الطوباويين لمجدهم ، وفى الهالكين لخزيهم وعارهم . كما ان الوسم العسكري يبقى بعد القتال فى الجنود المنتصرين لمجدهم وفى المغلوبين لخزيهم .

(٧) شروط تتميم كل سر من الاسرار ودحض الآراء الفاسدة فى هذا الشأن .

ولتتميم كل سر من الاسرار ثلاثة شروط وهي (١) مادة ملائمة للسر كالماء للمعمودية ، والخبز والخمر لسر الشركة . والزيت للمسحة وهكذا (٢) كاهن مشرطن قانونياً بوضع اليد (٣) إستدعاء الروح القدس من الكاهن بالعبارات المعينة لتقديس السر لحلول الروح القدس .

فيجب أولاً تتميم الأسرار تتميماً قانونياً حسب الترتيب ا[illegible] سر الله . فان مخلصنا له المجد الذى أسسها ورتبها ، هكذا شاءوه [illegible] الواجب أن سر من الاسرار مادته الملائمة واقواله الخاصة . و[illegible] [illegible]ين ذلك فى كلامنا ولا يفعل في المؤمنين إلا اذا كان على وجه[illegible] ناتيوس وزعم أتباع لوثر

http://coptic-treasures.com

المعلنة فى أنجيله .

وثانياً — أن يتممها كاهن مشرطن قانونى سواء أكان أسقفاً أو قساً . وهذا واضح من أن الرب أعطى لرسله ولخلفائهم الكهنة هذا السلطان . وأقامهم لهذا الغرض نفسه . وعلى ذلك قد ضل ضلالاً فظيعاً مخالفاً للكتاب اولئك الذين يعلّمون أن كل مسيحي يقدر أن يتمم الاسرار ، وإن لم يكن حاصلاً على درجات الكهنوت ، حتي سمحوا للعامة وللنساء أيضاً بأتمام الأسرار . وهذا ظاهر البطلان لمخالفته للكتاب ، والوضع الرسولى ، والعادة الكنسية ، فضلا عن إهانته للديانة وشرفها إذ يجعل الكنيسة فوضى لا ترتيب ولا نظام لها .

وقد زعم البعض أنه يُشترط لصحة إتمام السر إيمان المسيحي المتقدم اليه . وأن هذا الايمان هو الذى يجعل السر حقيقياً ، متوهمين أن السر لا يكون سراً ، ولا يأخذ قوته الا فى البرهة التى فيها يقتبله . كما زعم البعض الآخر بأنه من الشروط الضرورية لتتميم الأسرار وفاعليتها أن يكون خادم السر صالحاً . وأنكروا أهمية فعل الاسرار المتممة من خدام غير صالحين

فنرد على الزعم الاول الذى يجعل قوة السر متوقفة على إيمان ونية المتقدمين اليه فنقول : إنه من الواجب على المتقدمين الى الاسرار المقدسة أن يؤمنوا إيماناً حياً ويستعدوا الاستعداد اللائق لاقتبالها . ولكن هذا
[illegible] هذا الايمان لا يجعلان السر سراً . وعدمهما لا يُعدم السر قوته
اغسطينوس »
(مقالة فى يوحنا هما فرضان واجبان وضروريان يجب على المؤمنين أتمامها
الكنيسة يُحرم قداسة استحقاق ، حتى لا يأخذوا لأنفسهم دينونة ، فقد
ة من مواهب الروح القدس مرتبطة أرتباطاً

http://coptic-treasures.com

ملاك أو رئيس ملائكة أو واحد غيرهما أن يدنو منك ويلمسك ، هكذا الآن أيضاً لانه عند ما يخلق الله تكون الموهبة منه وحده » (مقالة ٥ : ٣ على متى) وقال « لأنه يتفق أن يكون الرؤساء أشراراً ومدنّسين ، ويكون المرؤسون ودعاء لطفاء . وأن يكون العلمانيون عائشين بالتقوى والكهنة بالخبث . فلو كانت النعمة فى كل واحد متوقفة على الأستحقاق لما كانت باولئك معمودية ولا جسد المسيح ولا قربان . وأما الله فانه إعتاد أن يفعل بواسطة غير المستحقين أيضاً من دون أن تضر سيرة الكاهن شيئاً بنعمة المعمودية . وإلا فيكون الذى يأخذ السر هو الخاسر . نعم هذا الامر نادر ولكنه على ذلك يجرى . هذا أقوله لكى لا يرتاب أحد من الحاضرين في الطقوس المتممة اذا بحث في سيرة الكاهن ، لأن الأنسان لا يضيف شيئاً الى ما هو موضوع (لأمانة السر) بل كل شيء هو عمل الله ، وهو الذى يمنحكم نعمة السر » (مقالة ٨ : ١ على ١ كو)

وقال القديس غريغوريوس الثاولوغوس « كل واحد مستحق أن تصدقوا أنه يطهركم ، ويكفيه لذلك أن يكون واحداً من الذين أخذوا السلطان ليغفروا الخطايا ، ولم يصيروا مرفوضين علانية (من الكنيسة) فأنتم الذين تطلبون الشفاء ، لا تدينوا قضاتكم ، ولا تبحثوا عن أهلية الذين يطهرونكم ، ولا تجروا انتخاباً على والديكم ، لأنه أمر قلما يعنيكم إن كان هذا أفضل وذاك أدنى . وكل واحد من هؤلاء أفضل منكم . فأنظروا أنتم كيف يجب أن تفتكروا : عندى خاتمان أحدهما من ذهب والآخر من حديد . وعلى كل منهما الصورة الملكية نفسها . فأطبع بكل منهما طبعة على شمع . فبماذا تمتاز طبعة الواحد عن طبعة الآخر ، إنها لاتمتاز بشيء . فان

http://coptic-treasures.com

جوهرياً بعلامة معينة منظورة ، حتى اذا تُمّم كل سر بحسب وضعه منح قابله الهبة الخاصة به . وقد رأينا آباء الكنيسة منذ القديم يمنحون بعض هذه الاسرار للاطفال ، موقنين كل اليقين بأنها تفعل فعلها فيهم ، وإن كانوا غير قادرين أن يعلنوا إيمانهم وأعترافهم بالمسيح . وبولس الرسول يشير الى الذين يقتربون من الاسرار بدون أستحقاق « بأنهم يأكلون ويشربون دينونة لانفسهم غير مميّزين جسد الرب » (١ كو ١١ : ٢٩) وهذا دليل على أن السر فى ذاته له قوته الخاصة ، ولكن المقترب إليه بدون استحقاق لا يستحقه . ولو صحّ أن لا فعل للاسرار ولا قوة إلا فى الذين يؤمنون بها فقط ، لكانت بركات الاسرار استحقاقات المؤمنين ، لا بركات وأستحقاقات الفادى ، وهذا مخالف لروح الانجيل الذى يعلمنا أن جميع الهبات والنعم إنما هي بركات الفادى له المجد .

ونرد على الزعم الثانى الذى ينكر صحة الاسرار المتممة من خدام غير صالحين . ونبين بطلانه عند كلامنا على خادم الاسرار

(٨) خادم الاسرار

إن خادم الأسرار هو من يتمّمها باسم المسيح على انه قائم مقامه ، وهو الكاهن المعتبر كوكيل الله والامين على سرائره . ومن واجب الخادم بالنسبة الى إتمامه عمل الأسرار ان يكون ذا إيمان وصلاح ونية حسنة لاتمام السر ، وبما أن الكاهن منتدب من قبل الله تعالى لاتمام الأسرار المقدسه وتوزيع بركات الله ونعمه على المؤمنين ، فيدعوه هذا الواجب أن يكون ذا سيرة حسنة ومثالاً للكمال والقداسة كما سنبين ذلك فى كلامنا عن سر الكهنوت ، ولكننا نرد هنا على زعم دوناتيوس وزعم أتباع لوثر

http://coptic-treasures.com

كنت أنت ممتازاً بحذاقة عقلك فأحكم فى طبع المعدن على الشمع ، وقل لى أية صورة من هاتين الصورتين هي صورة الخاتم الذهبي ، وأية هي صورة الحديدى ، ولماذا الصورتان كلتاهما متشابهتان . فقابلوا على ذلك كل واحد من الكهنة الذين يعمّدونكم . فالواحد يمكن أن يسمو على الآخر بالسيرة الروحانية . غير أن قوة المعمودية واحدة . والقادر أن يعلمكم الايمان الواحد نفسه يقدر أن يرشدكم إلى الكمال » (خطاب فى المعمودية)

وقال القديس أغسطينوس « إن السر أيضاً يتعلق بالله وما الانسان إلا خادم بسيط . فان كان الأنسان صالحاً فيكون موافقاً لله ويفعل بالله ، وان كان شريراً فالله يمنح ايضاً به نعمته غير المنظورة كما بآلة . ولا تظنوا أن الأسرار تتعلق بآداب البشر وأعمالهم ، فانها مقدسة ونابعة من الله القدوس » (فصل ٣٧ : ٨٨)

وقال أيضاً « لا فرق بين أن توزع الاسرار من خدام ابرار او خطاة . فمثلها مثل البذور تلقى على الأرض بيد الفلاح ، سواء كانت يده نظيفة ، او وسخة ، فتأتى بالثمرة على حد سواء . ولو تعلقت فاعلية الأسرار بقداسة الخادم او عدمها لتعلق خلاصنا بحريتهم »

وقال بعد أن أورد قول يوحنا المعمدان يو ١ : ٣٥ « هذا هو الذى يعمّد بالروح القدس » وان لم يعمد المسيح بنفسه بل بواسطة تلاميذه إن بطرس يعمد فهذا هو (أى المسيح) الذى يعمد . أن بولس يعمّد فهذا هو الذى يعمد . إن يهوذا يعمد فهذا هو الذى يعمد . فما أعطى واحد ، لا مختلف باختلاف الخدام بل متساو . فانه قال هذا هو الذى يعمد . ويؤيد ذلك قول بولس الرسول « ليس الغارس شيئاً ولا الساقي

http://coptic-treasures.com

بل الله الذى يُنمى » (١ كو ٣ : ٧) لان كل ما فى السر من السلطان والقوة فهو للمسيح . وأما الكاهن اى الخادم فله الخدمة فقط ، وهو لا يقدر أن يقاوم قوة الله وقال «قد عمّد يهوذا فلم يعمّد بعده ، وعمّد يوحنا فعُمّد بعده ، وذلك لان معمودية يهوذا كانت معمودية المسيح . امّا معمودية يوحنا فكانت معمودية يوحنا . فلو تعلقت صحة الأسرار على استحقاقات الخادم لوجب إعادة من عمدهم يهوذا ، ولما فُضّلت معموديته على معمودية يوحنا »

فمن هذه الأقوال الجلية يُستدل على أن التعليم الصحيح هو أن الخدام ما هم إلاّ آلات فى يد الرب . يُتمم بهم المسيح نفسه بقوة فعل روحه القدوس جميع الأسرار اى أنه هو الذى يعمّد ، ويجدّد الانسان ثانية ، وهو الذى يحل الخطايا ، وهو الذى يمنح درجات الكهنوت ، ويبارك القرابين ، ويقدس الذبيحة ، ولا تتوقف قوة الأسرار أو فعلها مطلقاً على استحقاقات خادمها ولا على قداسته أو عدم استحقاقه . فان النعمة كالنهر الجارى او كالماء النقى الذى يمكن ان يمر وينقل فى أنابيب وقنوات من بلور أو من فخار ، مهما كان نوعها وحالها دون ان تمس طهارته ، وكبذور نقية تُزرع في الارض سواء بذرت بأيدٍ طاهرة او دنسة ، وكالشمس التى لا تتدنس اذا حلّت ومرت فى أماكن غير طاهرة

(٩) عدد الاسرار

أما عدد الاسرار فقد شاءت عناية الله وإرادته أن تكون سبعة لتكون موافقة ومناسبة لحاجات الأنسان فى هذه الحياة . وهى سر المعمودية . وسر المسحة المقدسة أو الميرون . وسر الشركة أو الأفخارستيا .

http://coptic-treasures.com

الله كان يرف على وجه المياة فى بدء الخليقة إشارة الى بث روح الحياة فى المادة (تك ١ : ٢) والطوفان الذى قال عنه بطرس « كانت أناة الله تنتظر مرة فى أيام نوح . إذ كان الفلك يُبنى . الذى فيه خلص قليلون أي ثماني أنفس بالماء . الذى مثاله يخلصنا نحن الآن أي المعمودية . لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح » (١ بط ٣ : ٢٠ و ٢١) وعبور بني أسرائيل فى البحر الأحمر وغرق فرعون مع مركباته (خر ١٤ : ١٩ ـ ٢٩) فان البحر كان رمزاً الى ماء المعمودية ، والسحابة إشارة الى نعمة الروح القدس وفرعون كان رمزاً الى الشيطان الذى ينسحق فى مياه المعمودية . ولذلك قال بولس الرسول « لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة وجميعهم أجتازوا فى البحر وجميعهم أعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر (١ كو ١٠ : ١ و ٢) ولم يُعطِ الرب الكهنوت لهرون إلاّ بعد أن غسل جسده أولاً بالماء (خر ٢٩ : ٤) وكذلك أمر الكهنة عند دخولهم خيمة الاجتماع أن يغتسلوا أولاً فى المرحضة المقدسة التى بين خيمة الاجتماع وبين المذبح (خر ٣٠ : ١٨) وذبيحة إيليا لم تنزل عليها النار من السماء إلاّ بعد أن أهرق عليها الماء ثلاث دفعات (١ مل ١٨ : ٣٣ ـ ٣٥) ولم يصعد إيليا إلى السماء إلاّ بعد أن عبر نهر الأردن (٢ مل ٢ : ٢ ـ ٨) وأشعياء النبي ينادي قائلاً « تستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص » (اش ١٢ : ٣) « أيها العطاش جميعاً هلمّوا الى المياة » (اش ٥٥ : ١) ويوحنا المعمدان لما أبتدأ يكرز عن قرب ملكوت الله كان يعمّد بمعمودية التوبة قائلاً « أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذى يأتى بعدي هو أقوى مني .... هو سيعمدكم بالروح القدس ونار »

http://coptic-treasures.com

وسر التوبة . وسر مسحة المرضى . وسر الزيجة . وسر الكهنوت

فبالمعمودية يُولد الانسان ولادة ثانية من فوق بالماء والروح : وبالميرون ينال نعمة حلول الروح القدس لتثبيته فى الحياة الروحية : وبالشركة يقتات ويغتذى بالأتحاد بالمسيح : وبالتوبة يُشفى من أمراض الخطية وينال الحل من خطاياه : وبمسحة المرضى ينال الشفاء من أمراضه الجسدية والروحية : وبالزيجة ينال نعمة الأقتران للولادة الجسدية وتربية الأولاد التربية المسيحية : وبالكهنوت ينال موهبة الأستحقاق لخدمة الأسرار لتجديد الاخرين

قال العلامة اللاهوتى الشهير القديس توما الاكويني « إن بين الحياة الطبيعية والحياة الفائقة الطبيعة تناسباً ، لان الانسان يولد ويتقوى ويقات وإن مرض يعالج بالأدوية ويرد الى صحته الاولى بازالة بقايا المرض ، ويعيش فى الالفة الاجتماعية تحت ولاية رؤساء شرعيين . وهذا عينه تفعله الاسرار فى الحياة الفائقة الطبيعة . ولا تهمل الانسان أصلاً من اكتساب هذه الحياة وترافقه دائماً حتى تبلغه وتنقله الى العالم العلوى الغير المنظور » (قسم ٢ بحث ٦٥ جزء ١)

وليس فى الكنيسة أكثر أو أقل من هذه الأسرار : وقد اعتبرت الكنيسة منذ بداءتها هذه الأسرار السبعة : ولم ينكرها سوى البروتستانت الذين أنشقوا عن الكنيسة فى الجيل السادس عشر . ولم يحصل بينهم اتفاق على عدد الأسرار : فان لوثر وميلانكتون قبلا ثلاثة أسرار فقط وهى المعمودية والشكر والتوبة : واعتقدا أن السرين الأولين أصليان (لوثر فى سبى بابل صفحة ٢٧٦) و (ميلانكتون فى أحتجاجاته ٥ : ١٦٧ و ٧ :

http://coptic-treasures.com

٢٠٠) وأما زوينكل فلم يقبل سوى سر الزيجة عوضاً عن التوبة . وكالفينوس قبل سر الكهنوت (كتاب ٤ : ١٨) لكن أتباعهم إرتأوا اخيراً أنه لا يوجد إلا سران أثنان فقط وهما المعمودية والعشاء الرباني : وحجتهم فى ذلك أن الكتاب لم يذكر أن الأسرار سبعة ، ويُرد عليهم بأن الكتاب لم يقل إن الأسرار أثنان فقط

أما كون الأسرار سبعة فنبرهن عليه بما يأتى :—

(أولاً) من شهادة الكتاب : فانه وان لم يذكر عددها صريحاً إلا أنه أوضح كل سر منها على حدته ، مبيناً تأسيسه من السيد ، وفعله وشروطه كما سنبين ذلك ونشرحه عند كلامنا عن كل سر من الأسرار : أضف الى ذلك أن عدم إتفاق المعترضين فى بادىء الأمر على عددها دليل أكيد على صحة تعليم الكنيسة الأصلى .

(ثانياً) شهادة التقليد : فان لدينا أقوالاً من جميع آباء الكنيسة فى كل العصور الأولى تُثبت أعتقاد الكنيسة وتسليمها الاسرار السبعة . وهنا لا محل للاعتراض ، بأن بعض الآباء لم يتكلموا فى مؤلفاتهم عن الأسرار جملة ، بل أن بعضهم إما لضرورة وإما لمقاصد خاصة أو لأسباب أخرى لم يتكلموا عنها دفعة واحدة ، بل تكلم بعضهم عن سرين ، وبعضهم عن ثلاثة ، وغيرهم عن أربعة وذلك تبعاً لما اقتضاه مقام الكلام وقتئذ ، لأن شرح سر منها أو أكثر لا ينفى عدم الأعتقاد بباقي الأسرار . والخلاصة أن جميع الآباء يشهدون لهذه الأسرار السبعة شهادات صريحة

(ثالثاً) شهادة الاتفاق العام بين جميع الكنائس الشرقية والغربية . ومع وجود الاختلاف بينها فى أمور كثيرة فأنها فى هذا التعليم على اتفاق تام .

http://coptic-treasures.com

(مت ٣ : ١١) والتلاميذ في حياة المسيح كانوا يعمّدون (يو ٤ : ٢)

وهذه المعموديات المذكورة لم تكن سوى رموز الى معمودية المسيح، ورسوم ومقدمات سابقة لظهور سر المعمودية المسيحية. وفرق كبير بين معمودية يوحنا ومعمودية المسيح. لأن الأولى كانت للتوبة والأستعداد. وأمّا هذه فللغفران الخطايا. ولذلك قال بولس الرسول لتلاميذ أفسس لما سألهم. «هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم. قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس. فقال لهم فبماذا أعتمدتم فقالوا بمعمودية يوحنا. فقال بولس إن يوحنا عمّد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده أي بالمسيح يسوع. فلما سمعوا أعتمدوا باسم الرب يسوع ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم الخ» (اع ١٩ : ١ ـ ٦) قال القديس يوحنا ذهبي الفم عن ذلك «لأنه لم تكن الذبيحة قُدمت بعد. ولا انحدر الروح القدس. ولا أنحلت الخطية. ولا ارتفعت العداوة. ولا مُحيت اللعنة فكيف أزمع الغفران أن يكون. وأنظر كيف حرر ذلك بكل تدقيق لأنه لما قال إنه أتى لينذر بمعمودية التوبة في برية اليهودية، أضاف الى ذلك قوله لمغفرة الخطايا (مر ١ : ٤) كان يقول لهذا السبب كان يقنعهم أن يعترفوا بخطاياهم ويتوبوا عنها. لا لكي يعذبوا بل لكي يقبلوا الغفران بعد ذلك بأكثر سهولة. لأنهم لو لم يدينوا أنفسهم لما كانوا طلبوا النعمة. ولو لم يطلبوا لما نالوا الغفران. فكانت من ثم هذه المعمودية (أى معمودية يوحنا) تفتح طريقاً لتلك المعمودية (أى معمودية المسيح)» (تفسير انجيل متى مقالة ١٠ : ١ و ٢)

لذلك لافرق بين معمودية التلاميذ وبين معمودية يوحنا، لأنها كانت

http://coptic-treasures.com

وهذا أكبر دليل على أن التعليم بالأسرار السبعة تسليم رسولي تسلمته الكنيسة منذ ابتدائها ، ولم تأخذه كنيسة من أخرى بدليل وجوده في الكنائس قبل انشقاقها . ولا يمكن تعيين العصر الذى شرع فيه بمباشرة الاسرار السبعة . وأقوال جميع الآباء والآثار القديمة تدل على أن الأسرار السبعة كانت معروفة وجاري العمل بها منذ العصر الرسولي . قال العلامة اوريجانوس وعنه أخذ القديس أغسطينوس وأشار اليه ترتليانوس بقوله « هل يعقل أن الكل يتفقون على الضلال ، فأننا نعرف حق المعرفة أن لا وحدة فى الكذب والبهتان . وعلى ذلك فان ما نراه واحداً لدى الجميع لابد أن يكون تعليماً إلهياً منزهاً عن الغلط قد أخذ عن المسيح ورسله »

(رابعا) لأن الأسرار السبعة التى تُمنح بها مواهب الروح القدس ونعمه كافية ومناسبة لحاجات الانسان اللازمة له فى حياته . فكما أن الانسان يولد ميلاداً جسدياً هكذا بالمعمودية يولد ميلاداً روحياً ثانياً . والمولود يحتاج إلى قوى تثبّته فى حياته فينال هذه القوة بتثبيته بسر الميرون . ولشدة حاجته الى طعام روحي يغذيه فقد وُهب له سر الشركة ، الغذاء والشراب الروحي . وبما أنه عرضة للخطأ والأمراض فقد أعطى له سر التوبة لمغفرة خطاياه ، وسر المسحة لأمراضه الجسديه . وبسر الزيجة يُقدس رباط الزواج لحفظ أعضاء الكنيسة ونموها بواسطة الولادة الطبيعية . ولحاجة الكنيسة الى رعاة ومعلمين ومدبرين وخدّام لخدمة الأسرار ورعاية الشعب أعطي سر الكهنوت . فمن ذلك يتضح أن الأسرار ملائمة وموافقة لحاجات الانسان .

(خامساً) إن الأسرار سبعة لا أقل ولا أكثر مقابلة لمواهب الروح

http://coptic-treasures.com

السبعة (اش ١١ : ٢) وللمنارات الذهبية السبعة (رؤ ١ : ١٢ و ١٣) وللكواكب السبعة التى كان السيد ضابطاً إياها بيده (رؤ ١ : ١٦) وللأختام السبعة التى كان مختوماً بها الكتاب الذى رآه النبي فى يمين الله (رؤ ٥ : ١) وللأبواق السبعة التى أعطيت بعد فتح الكتاب السري (رؤ ٨ : ١ و ٢) ولا يخفى أن عدد سبعة مشهور فى الكتاب وهو دليل الكمال فالأسرار السبعة هى الأعمدة التى نحتتها الحكمة فى بيتها (ام ٩ : ١)

سر المعمودية

الفصل الاول

(١) تعريف سر المعمودية وأسماؤه

المعمودية سر مقدس به نُولد ميلاداً ثانياً ، بتغطيسنا فى الماء ثلاث دفعات ، على اسم الثالوث الأقدس ، الآب والأبن والروح القدس

وبناء على مفاعيله باعتبار قسمه المنظور دُعي حميماً ، وينبوعاً مقدساً ، وبالنظر إلى نتائجه غير المنظورة ، دعاه الآباء ولادة جديدة ، وتقديساً ، وختم الايمان ، وختم الدين المسيحي ، وحميم الخلاص ، والولادة الثانية ، وحميم الحياة وماء الحياة الدائمة وهكذا من الأسماء الدالّة على تأثيراته ومنحه

(٢) رتبة المعمودية بين الاسرار .

ولسر المعمودية الرتبة الاولى بين الأسرار السبعة المقدسة . لأنه بمثابة باب يدخل منه المؤمن إلى الكنيسة وملكوت النعمة طبقاً لقول

http://coptic-treasures.com

للتوبة والاستعداد أيضاً لأن المعمودية لم تأخذ قوتها إلاّ بعد موت المسيح وقيامته من بين الأموات وحلول الروح القدس ، لأنها مثال موت المسيح ودفنه وقيامته ، ولم تكن تلك المعموديات إلاّ لاعداد اليهود لقبول المسيح

(٥) تأسيس سر المعمودية

أما سر المعمودية المسيحية فقد أسسه السيد المسيح بعد قيامته، إذ كان قد تمم فداءنا واشترانا بدمه الكريم ، وامتلك بذلك الحق فى توزيع نعمة روحه القدوس علينا (١بط ١ : ٣ و ١ كو ١ : ٤) وقد قال لتلاميذه علناً بعد قيامته « دُفع اليّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس » (مت ٢٨ : ١٨ و ١٩) « من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يدن » (مر ١٦ : ١٦) فمن ذلك يتضح : —

(١) إن المعمودية سر عام لجميع البشر على السواء

(٢) إنها سر سيتمم الى انقضاء الدهور غير محصورة فى مكان ولا فى زمان

(٣) إنها شرط لازم للحصول على الخلاص . وقد تممها الرسل للمؤمنين لتطهيرهم وأعادة ولادتهم بالماء والروح القدس في يوم الخمسين قال بطرس الرسول : « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس ... فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » (اع ٢ : ٣٨ — ٤١) وعمّد فيلبس الخصيّ (اع ٨ : ٣٨) وعمّد بطرس كرنيليوس قائد المائة وعائلته وأشخاصاً آخرين (اع ١٠ : ١ — ٤٨) وعمّد بولس امرأة اسمها ليدية

http://coptic-treasures.com

الرب يسوع « إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) ولذلك يُمنح هذا السر للمؤمن قبل أي سر آخر . ومن لا يقتبله فلا حق له فى الاشتراك فى باقي الأسرار

(٣) لماذا عين الرب الماء للمعمودية

بما أننا مؤلفون من جسد وروح ، لذلك عيّن الله تعالى أن تكون وسائط خلاصنا وأسرار النعمة التى يفيضها علينا الروح القدس ، تحت علامات حسّية وأشارات منظورة كما قلنا سابقاً . ففى سر المعمودية عيّن الرب لميلادنا الثانى الماء . وذلك لأسباب: —

(١) لأن الماء يغسل كل الأقذار ، والمعمودية تنقّى من جميع الخطايا

(٢) الماء يجدّد وينعش الجسم ، والمعمودية تحيي خواص النفس

(٣) لأن بالماء قوام الحياة ، والمعمودية تمنح الخلاص

(٤) لأن المعمودية مثال موت المسيح ودفنه ولا بد أن نماثله فى الدفن .

فأين نُدفن ؟ أفى الهواء ونحن محاطون به من كل جهة ؟ أم فى النار وهى محرقة لا تصلح لذلك ؟ أم فى التراب والدفن فيه يقتضي الموت حقيقة لا مجازاً ؟

فلا سبيل أذن إلاّ بالدفن فى الماء فى جرن المعمودية ولذلك قال الرسول « أعتمدنا لموته فدفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الاموات بمجد الآب ، هكذا نسلك نحن أيضاً فى جدة الحياة ، لأنه إن كنّا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته » (رو ٦ : ٤ و ٥)

(٤) رموز المعمودية فى العهد القديم وأنواع المعموديات

وقد رُمز إلى المعمودية فى العهد القديم بأمور كثيرة ، منها أن روح

http://coptic-treasures.com

(اع ١٦ : ١٥) وعمّد حافظ السجن وعائلته (اع ١٦ : ٣٣) وكريسبس رئيس المجمع وكل بيته وغيرهم من سكان كورنثوس (اع ١٨ : ٨) وتلاميذ افسس (اع ١٩ : ١ — ٥) وهكذا من ذلك الوقت تُتمّم المعمودية فى الكنيسة المسيحية ، على المثال الذى وضعه الرسل الأطهار للكنيسة .

الفصل الثاني

ضرورة المعمودية ولزومها للخلاص

أما ضرورة المعمودية ولزومها للخلاص فيظهر من الأدلة الآتية :—

(أولاً) من قول يوحنا المعمدان « أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذي يأتى بعدى هو أقوى مني . . . . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » (مت ٣ : ١١) فمعمودية يوحنا كانت للتوبة . وأما معمودية المسيح فللتوبة وغفران الخطايا وعطية الروح القدس (اع ٢ : ٣٨) الأولى كانت تُمارس بالماء فقط . وأما هذه فباسم الآب والابن والروح القدس (مت ٢٨ : ١٩) الأولى كانت قاصرة على التائبين من شعب اسرائيل (مت٣:٥، ٦، ١٠:٥و٦) وأما الثانية فلجميع المؤمنين من اليهود والأمم (مت ٢٨ : ١٩) الأولى كانت رمزية للتوبة والايمان بالمسيح الآتي (مت ٣ : ١ ، اع ١٩ : ٤) والثانية للايمان بالمسيح الذى أتى ولغفران الخطايا (اع ٢ : ٣٨) الأولى كانت معموديةوقتية والذين اعتمدوا بها التزموا أن يعتمدوا ثانية حين آمنوا بالمسيح (اع ١٩ : ٥) وأما معمودية المسيح فهي المعمودية الدائمة الوحيدة الى انقضاء الدهر (مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠ ، اف ٤ : ٥)

http://coptic-treasures.com

(ثانياً) من أقوال السيد المسيح عنها : قال له المجد « إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » (يو ٣ : ٥) « من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدن » (مر ١٦ : ١٦) فواضح هنا أن من لا يعتمد يُدن ولا يستحق الدخول الى ملكوت الله .

(ثالثاً) من أقوال الرسل الاطهار : قال بطرس الرسول لما سأله الذين قبلوا الايمان بالمسيح في أورشليم ماذا نصنع . قال لهم « توبوا وليعتمد كل منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » (اع ٢ : ٣٧ و٣٨) وقال بولس الرسول « لا باعمال في بر عملناها نحن ، بل بمقتضى رحمته خلصنا ، بغسل الميلاد الثاني ، وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥) وقوله « كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ، لكي يقدسها مطهراً اياها بغسل الماء بالكلمة ، لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن ، أو شيء من مثل ذلك . بل تكون مقدسة وبلا عيب » (اف ٥ : ٢٥ — ٢٧) وقوله « لكن اغتسلتم ، بل تقدستم ، بل تبررتم باسم الرب يسوع وبروح الهنا » (١ كو ٦ : ١١) وقوله « لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح ، قد لبستم المسيح » (غل ٣ : ٢٧) وقول بطرس الرسول « الذى مثاله يخلصنا نحن الآن ، أى المعمودية لا إزالة وسخ الجسد ، بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح » (١ بط ٣ : ٢١)

فهذه النصوص الصريحة ناطقة بأن المعمودية لازمة للخلاص وبدونها لا يمكن للانسان أن يخلص

(رابعاً) يتضح من النصوص المتقدمة ، أن المعمودية ليست علامة تميز المسيحي من غيره ، كما يزعم البروتستانت . اذ انها ليست علامة ظاهرية

http://coptic-treasures.com

تترك أثراً في الوجه ، أو في غيره حتى تصلح لان تكون علامة لتميز المسيحي ولكنها عمل يترك أثراً في النفس ، هو التطهير ومغفرة الخطايا والولادة الثانية

(خامساً) هذا التعليم كان ولا يزال تعليم الكنيسة في جميع العصور . فقد قال القديس يوستينوس الشهيد « يجب أن نفتش ونعرف من أي طريق يمكننا أن ننال صفح الخطايا ، ونمتلك رجاء ميراث الخيرات الموعود بها . ولنا في ذلك طريق واحدة فقط ، وهي أن نعرف يسوع ونتوسل بالمعمودية لغفران الخطايا ، وهكذا نبتدىء أن نعيش بالقداسة » (خطابه إلى تريفون فصل ٤٤)

وقال القديس كيرلس الأورشليمي « عظيمة هي المعمودية المعدة فداء عن المأسورين ، وصفحاً للأوزار ، وموتاً للخطية ، وولادة ثانية للنفس وثوباً نيراً ، وختماً مقدساً لا ينفك ، ومركبة الى السماء ، وتعليم الفردوس وعلة الملكوت ، ومنحة التبني » (تعليم ابتدائي للموعوظين فصل ١٦)

وقال القديس غريغوريوس النيسى « فالمعمودية اذاً هي تنقية من الخطايا وترك المآثم وعلة التجديد والولادة الثانية » (في معمودية المسيح)

وقال أيضاً « حينما تدخلون في الماء لا تجدون بعد ماء بسيطاً ، بل تنتظرون خلاصاً بالروح القدس ، لأنكم تستطيعون بلا مانع أن تصلوا إلى الكمال . وهذا الكلام ليس كلامي بل كلام الرب يسوع نفسه ، الذى له السلطة التامة في هذا السر ، كما في كل سر غيره . وهو إن كان أحد لا يولد من الماء والروح فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله . الذي معناه أن لا تكون المعمودية بماء فقط ، لأن الذى يعتمد بالماء فقط لا يستحق

http://coptic-treasures.com

نعمة الله ولا ينالها كاملة كما أن الذى لم ينل ختم الماء مهما كان صالحاً بأعماله لايستطيع أن يدخل ملكوت السموات . هذا الكلام صعب ولكنه ليس كلامي لأن الرب يسوع هكذا تكلم . واليك البرهان في الكتاب وأورد حادثة كرنيليوس وعماده وختم كلامه بقوله : إن بطرس عمدهم باسم الرب يسوع ، فاعاد ولادة النفس بالايمان لينال الجسد أيضاً النعمة بواسطة الماء » (عظة ٣ : ٢)

وقال القديس اغسطينوس « إننا بميلادنا من الماء والروح القدس نتطهر من كل خطية ، سواء كانت من آدم الذى به أخطأ الجميع ، أو بفعلنا وقولنا لأننا نُغسل منها بالمعمودية » (رسالة ١٧٨ : ٢٨)

وقال « إن لنا ميلادين أحدهما أرضىّ والآخر سماوىّ . الاول من الجسد ، والثانى من الروح . الأول صادر عن مبدأ قابل الفناء ، والثانى عن مبدأ أبدى . الأول عن الرجل والمرأة ، والثانى من الله والكنيسة . الأول يجعلنا أبناء الجسد ، والثانى أبناء الروح . الأول يصيّرنا أبناء الموت ، والثانى أبناء القيامة . الأول يجعلنا أبناء الدهر ، والثانى أبناء الله . الأول يجعلنا أبناء اللعنة والغضب ، والثانى أبناء البركة والمحبة . الأول يقيّدنا باغلال الخطية الاصلية ، والثانى يحلنا من رباطات كل خطية » (تفسير انجيل يوحنا فصل ١٩)

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم للموعوظين المرشحين للعماد « إن الذين كانوا قبل عمادهم أسرى ، فانهم يتمتعون الآن بهاء الحرية . وصاروا أعضاء الكنيسة سالكين فى نور البر البهىّ ، بعدما كانوا سائرين فى فيافى الضلال الحالك وظلام الخطية القاتم . حقاً إنهم الآن محررون ، وليس ذلك فقط بل قديسون فأبرار فأبناء ورثة فأخوة المسيح وارثون معه فأعضاء لجسده

http://coptic-treasures.com

الطاهر ، فيها كل الروح القدس . فتأمل فى العطايا الجزيلة والمواهب الثمينة التى يمنحها سر العماد . إن كثيرين يظنون أنه يغفر الخطية فقط ، وأما نحن فقد أحصينا له عشرة مفاعيل تجعل النفس فى مركز سام ومقام جليل لا يُوصف »

قال موسهيم المؤرخ البروتستانتى عن سري المعمودية والعشاء الربانى « لا ينبغى أن يُعتبرا مجرد طقس ، أو كأن لهما معنى رمزياً فقط ، بل كأن لهما فاعلية مقدسة للعقل » (ك ١ قسم ٢ فصل ٤)

الفصل الثالث

وجوب تعميد الاطفال

أوضحنا فيما سبق أن المعمودية ضرورية للخلاص ، طبقاً لوضع السيد المسيح له المجد ، وأنها هى الباب الاول والوحيد لدخول الانسان الى ملكوت النعمة ، لذلك وجب تعميد الجميع على السواء كباراً وصغاراً ، غير أن بعض المحدثين زعموا وعلّموا بعدم لزوم المعمودية للأطفال ، وأنكروا فاعليتها . ويتضح خطأ هذا الزعم من الأدلة الآتية : —

(أولاً) إن المعمودية ضرورية ولازمة ، وبدونها لا يمكن الدخول إلى ملكوت النعمة . ففي منعها عن الأطفال منعهم من الدخول للاستحقاق لهذا الملكوت ، بينما لا يوجد مانع يمنعهم من الاشتراك فى هذه النعمة ، وبالاخص لطهارة نفوسهم .

(ثانياً) إن الاطفال مشتركون فى الخطية الجدّية مثل الكبار ،

http://coptic-treasures.com

ولا يمكنهم التطهير منها والدخول الى ملكوت النعمة إلا من هذا الباب بشهادة الرب نفسه « إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح » (يو ٣ : ٥ و ٦) فيجب أن يُولد الأطفال هذه الولادة الثانية الروحية ، ليكونوا مستحقين الدخول الى ملكوت الله

(ثالثاً) من المشابهة بين الختان والمعمودية — من المعلوم أن الختان كان عند اليهود هو العلامة التى بها يدخلون فى عهد الله ، لا فرق بين الأطفال والكبار . ولذلك تعيّن أن يُختن الطفل في اليوم الثامن . ومن المعلوم أن الختان كان رمزاً إلى المعمودية . وإلى ذلك أشار بولس الرسول بقوله « وبه أيضاً خُتنتم ختاناً غير مصنوع بيد ، بخلع جسم خطايا البشرية بختان المسيح . مدفونين معه فى المعمودية ، التى فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله ، الذى أقامه من الاموات ، وإذ كنتم أمواتاً فى الخطايا وغلف جسدكم ، أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا » (كو ٢ : ١١ — ١٣) فاذا كان الله نفسه منح الأطفال نعمة الدخول فى عهده القديم ، أفيليق بنا نحن أن نخرجهم من العهد الجديد ، عهد النعمة ونحرمهم هذا الاحسان ؟ واذا اعترض المعترض بأن الأطفال لا يدركون ولا يعرفون ما هو الايمان أو ما هي المعمودية ؟ فجوابنا على ذلك أن عدم ادراكهم لا ينفي عمادهم ، أو يوجب تأخيره . والدليل على هذا ماورد فى الكتاب من المشابهة لذلك فقد قيل عن ابراهيم « فآمن ابراهيم بالله فحُسب له براً ، ... وأخذ علامة الختان ختماً لبر الايمان » (رو ٤ : ٣ و ١١) وذلك فى الوقت الذى فيه وضع ابراهيم على ابنه اسحق هذه العلامة نفسها ، وهو طفل أبن ثمانية أيام ،

http://coptic-treasures.com

لا يدرك ولا يفهم ولا يعرف ماهو الايمان ولا ماهو الختان. فكما ختم ابراهيم واسحق بختم البر، هكذا لا يجب منع هذا الختم عن الاطفال المسيحيين

(رابعاً) إن المسيح نفسه بارك الأطفال بركة خاصة، ودعاهم اليه قائلاً «دعوا الأولاد يأتون الىّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات» (مت ١٩ : ١٤ و ١٨ : ٣ ومر ١٠ : ١٥ ولو ١٨ : ١٥ — ١٧) وقد سبق وقدّس بعضهم وملأهم من روحه كما قدّس أرميا (١ : ٥) ويوحنا الذى امتلأ من الروح القدس من بطن أمه (لو ١ : ١٥ و ٤١) فلا مانع مطلقاً يمنع الأطفال من تجديدهم وامتلائهم بالروح القدس، لا من جهة الله تعالى ولا من جهة طبيعتهم. واذا تأملنا فى أقوال المسيح الحلوة عنهم، نرى فيها مافى قلبه القدوس من المحبة والاعتبار لهم، فنرى: —

(١) أنه جعلهم مقياساً لاكبار فى الدخول إلى ملكوت السموات بقوله «إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الاولاد فان تدخلوا ملكوت السموات» (مت ١٨ : ٣)

(٢) أوضح أن قبولهم بمنزلة قبول شخصه المبارك فقد قال «ومن قَبِل ولداً واحداً مثل هذا باسمي فقد قبلني» (١٨ : ٥)

(٣) نهانا عن احتقارهم لاعتبارهم فى عينىّ الله بقوله «أنظروا لاتحتقروا أحد هؤلاء الصغار لأنى أقول لكم أن ملائكتهم فى السموات ينظرون وجه أبى الذى فى السموات» (١٨ : ١٠)

(٤) أن الاولاد بمنزلة الحملان الصغار، والمسيح كراعٍ صالح يقود الخراف الكبار والحملان الصغار. ولا تخفى علاقة الاولاد بوالديهم. وقد سبق أشعياء النبي فوصف المسيح بقوله «كراعٍ يرعى قطيعه، بذراعه يجمع

http://coptic-treasures.com

الحملان وفى حضنه يحملها ويقود المرضعات » (اش ٤٠ : ١١) ولما قدموا الأطفال إلى الرب يسوع احتضنهم ووضع يديه عليهم وباركهم (مر ١٠ : ١٦) ولا يجب أن ننسى أن الله تعالى لما دعا شعبه للخروج من مصر للدخول إلى أرض كنعان أرض الموعد ، وقاومهم فرعون وأراد منع أولادهم بقوله اذهبوا أنتم الرجال واعبدوا الرب (خر ١٠ : ٧ — ١١) لم يسلّم موسى بذلك بل قال له « نذهب بفتياننا وشيوخنا نذهب ببنينا وبناتنا » فبمثل هذا القول يجب أن نجاوب أولئك الذين يحاولون منع الأولاد من الدخول الى ملكوت النعمة معنا ، ويريدون فصلهم عنا . وإذا كان الرب باركهم وقبلهم ودعاهم اليه ودافع عن حقوقهم ، فمن ذا الذى يحتقرهم ويرفض عمادهم ، وقبولهم فى الاشتراك فى الكنيسة وعضويتها ، وهو الذى قد أمر بتربيتهم والاعتناء بهم (راجع تث ٤ : ٩ و ١٠ ، ٦ : ٧ ، ٢ تي ٣ : ١٥ ، اف ٦ : ٤ ، غل ٤ : ١)

(خامساً) من تعليم الرسل وقدوتهم فى ذلك فانهم إتبعوا هذه القاعدة وسلكوا على هذا المبدأ . حيث نرى بطرس الرسول فى يوم الخمسين صرح بعماد الذين قبلوا المسيح من الكبار ولم يتأخر أن يُعلن لهم قبول أولادهم معهم بقوله لهم « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا ، فتقبلوا عطية الروح القدس ، لأن الموعد هو لكم ولأولادكم » (اع ٢ : ٣٨) فى قوله « لكم ولأولادكم » تصريح واضح بقبول الأولاد فى الايمان والمعمودية . وحيثما كرز الرسل بالانجيل قبلوا عائلات وعمدوهم مع أهالي بيوتهم . ومن ذلك ليدية بائعة الارجوان التي قبلت الايمان واعتمدت هي وأهل بيتها (اع ١٦ : ١٤ و ١٥) وبيت استفانوس (١ كو ١ : ١٦) والسجّان الذى اعتمد هو والذين له أجمعون

http://coptic-treasures.com

(اع ١٦ : ٣٣) ولا شك فى أن عائلات هذا عددها ، قد تعمدت بأجمعها ، لم تكن خالية من الأولاد الذين دون البلوغ أو أنهم تُركوا بلا عماد ، وهذا بعيد الاحتمال ، ويكاد يكون مستحيلاً ، اذ يندر أن توجد عائلات خالية من البنين والبنات

(سادساً) إن معلمي الكنيسة وآباءها الذين أستلموا التعليم من الرسل الأطهار هكذا سلكوا وهكذا علّموا بوجوب منح المعمودية للاطفال ويذكرون صريحاً أن ذلك تقليد رسولي واليك مايدل على هذه الحقيقة :

قال القديس ايريناوس : « إن يسوع المسيح أتى لكي يخلّص جميع البشر أعني الذين به ولدوا ثانية لله . سواء أكانوا أطفالاً أو شباناً أو شيوخاً » (ضد الهراطقة ١١ : ٢٢ فصل ٥ : ١٥)

وقال العلامة أوريجانوس « إن الكنيسة تسلّمت من الرسل تقليد عماد الاطفال أيضاً ، فالأطفال يُعمّدون لمغفرة الخطايا ليُغسلوا من الوسخ الجدي بسر المعمودية »

وقال القديس كبريانوس « إذا كان الذين أخطأوا سابقاً أمام الله ، إذ يؤمنون يأخذون صفح خطاياهم ، ولا يُمنع أحد منهم عن المعمودية والنعمة وإن كان قد فعل خطايا غير محصاة . فالأطفال الذين ضميرهم غير متفتح ولم يخطئوا فى شيء ، والذين نظراً للخطية الجدية الكامنة فيهم وتدنسوا بها وصاروا مشاركي الموت الآدمي ، يحتاجون أيضاً إلى المعمودية ، لأنها شرط لنوال الخلاص والصفح ، ليس عن الخطايا الشخصية بل الابوية . وقد حدد مجمعنا « بانه لا يجوز أن نمنع أحداً من المعمودية ونعمة الله الذى هو صالح ورؤوف بالجميع . فالمعمودية هي للجميع وخصوصاً للأطفال

http://coptic-treasures.com

ونقوله حقيقي ، ويعدون أنهم يستطيعون أن يعيشوا هكذا ، يعلّمون أن يصلوا ويطلبوا من الله بصوم مغفرة خطاياهم السالفة ، ونحن نصلى ونصوم معهم ، بعد ذلك نأتى بهم إلى حيث يوجد ماء ، وتُعاد ولادتهم بأسلوب إعادة الولادة الذى أعيدت به ولادتنا ، لأنهم يستحمون حينئذ فى الماء على اسم أبى الكل الاله السيد ومخلصنا يسوع المسيح والروح القدس » (احتجاج ٧ صفحة ٧٩)

والقديس كيرلس الأورشليمي يقول « كما أن الذى يدخل فى الماء ويُعمّد ينغمر بالمياه من كل جهة ، هكذا قد اعتمدوا تماماً من الروح أيضاً لكن الماء يغمر المعمد من الخارج ، وأما الروح فانه يعمد النفس داخلياً بلا انقطاع » (عظة ٣ : ٢) وغير ذلك من أقوال الآباء التى لا متسع لذكرها

أما سكب الماء ورشه الذى بدأت الكنيسة الغربية باستعماله حديثاً فيكفى أن نقول أن أحواض المعمودية لا تزال موجودة فى أقدم كنائس رومه دليلاً على صحة تعليمها قديماً ، ولا حق لها فى تحويل معموديتها إلى رش ، ولا صحة للادعاء بأن الكنيسة قديماً أجازت أحياناً المعمودية بالرش ، فان الكنيسة القديمة لم تسمح بذلك إلا في بعض ظروف استثنائية لامناص منها ، وعلى الخصوص للمرضى والمقعدين الذين لا يمكن عمادهم بالتغطيس (ترتوليانوس فى التوبة فصل ٦ وتاريخ أوسابيوس ٦ : ٤٣ وأوغسطينوس فى تفسير يوحنا ٨٠) ومع ذلك فقد حدثت مشاجرات عنيفة بين مسيحى ذلك العصر ، إذ كان كثيرون منهم لا يقبلون اعتبار مثل ذلك العماد الذى تمّ بالرش ، وكانوا يطلبون إعادة معموديتهم. حتى اضطر القديس كبريانوس إلى أن يكتب فى هذا الموضوع لنزع الخلاف بينهم فقال « إن سر العماد

http://coptic-treasures.com

الصغار ، الذين بنوع خصوصى يستميلون انتباهنا وصلاح الله »
(رسالة ٥٩)

وقال القديس غريغوريوس الثاولوغوس « هل عندك طفلاً ، فلا يأخذن فيه الشر فرصة ، بل ليُقدّس وهو رضيع وليُكرّس للروح منذ نعومة أظفاره ، انك تخافين أيتها الأم من الختم بسبب ضعف الطبيعة بما أنك ضعيفة النفس وقليلة الايمان ، لكن حنة قبل أن تلد صموئيل وعدت الله به وبعد ولادته حالاً كرّسته وبالحلة الكهنوتية ربته ، ولم تخف من الضعف البشرى بل آمنت بالله » (خطاب فى المعمودية)

ويشهد القديس أغسطينوس فى خطاب ١٧٦ « بأن المعمودية تقليد رسولي ، وأن الكنيسة دائماً تتمسك بتعميد الأطفال ، متسلّمة إياه من السلف ، ولم تزل حافظة إياه الى الآن ، وسوف تحفظه الى الانقضاء أيضاً »

وقد قرر آباء مجمع قرطاجنه سنة ٤١٨ فى الفانون ١٢١ هكذا « أيضاً حُكم أن كل من ينكر أن المعتمدين من الأولاد الصغار ، المولودين حديثاً من بطون أمهاتهم يعتمدون لمغفرة الخطايا ، أو يعترف بذلك ولكنه يزعم أنهم لم يشتركوا بشيء من الخطية الجدية المحتاجة إلى التطهير بحميم الولادة الثانية ، وينتج من هذا الزعم أن رسم المعمودية التى لمغفرة الخطايا في هؤلاء الأطفال ليس بحقيقي بل مخترع ظاهرى ، فليكن مفرزاً لأن عبارة الرسول القائلة « بانسان واحد دخلت الخطية العالم وبالخطية الموت وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس إذ أخطأ الجميع » لا يجب أن تُفهم بمعنى آخر إلا كما فهمتها دائماً الكنيسة الجامعة الممتدة والمنتشرة فى كل مكان ، أعنى أن الاطفال أيضاً الذين لا يستطيعون أن يرتكبوا بذواتهم خطية ما من الخطايا

http://coptic-treasures.com

يُعمَّدون بناء على قانون الايمان هذا معمودية حقيقية لمغفرة الخطايا، ليتطهر فيهم بالولادة الثانية ما ورثوه من أجدادهم »

ينتج مما تقدم أن منع الاطفال عن المعمودية بدعة غريبة مضادة للكتاب ولتعليم الرسل وقدوتهم ولنظام الكنيسة منذ ابتدائها .

الفصل الرابع

كيفية ممارسة سر المعمودية ووجوب اتمامها بالتغطيس وادحاض طريقة الرش .

لقد عيّن الرب مادة هذا السر وهي الماء، بقوله « إن كان أحد لا يولد من الماء والروح الخ » (يو ٣ : ٥) والرسل لم يستعملوا غير الماء (اع ٨ : ٣٦ — ٣٨ ، ١٠ : ٤٧ و ٤٨) فسارت الكنيسة حسب تعليم الرب وتسليم الرسل ، ولم تستعمل فى العماد إلا الماء القراح ، دون استعمال أى سائل آخر مهما كان نوعه

ثم طبقاً للتسليم الرسولى تمارس الكنيسة سر المعمودية بتغطيس المعتمد ثلاثاً في الماء ، باسم الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس ، إشارة إلى موت المسيح ودفنه وقيامته ، فقد قال العلامة ترتوليانوس « حين نأتى إلى الماء نُغطّس ثلاث مرات » (فى الاكليل ٣) وقال أيضاً « لأننا نُغطّس لا مرة واحدة بل ثلاث مرات باسم كل واحد من الأقانيم » (ضد براكسيالس ٢٦) . وقال القديس باسيليوس الكبير « فبثلاث غطسات ودعاء مساوٍ لها فى العدد يتم سر المعمودية العظيم ، لكى يتصور رسم الموت

http://coptic-treasures.com

لا يعدم قوته ولا صحته إذا تمم عند الضرورة بالرش ولا حاجة إلى إعادته (رسالة ٧٦) ولذلك فان الكنيسة الأرثوذكسية لا تُعيد معمودية من اقتضى عمادهم بالرش لداعي المرض ، ولكنها لا تسمح باتمام السر اعتيادياً إلا كما أمر به المسيح وكما سلّمنا الرسل

الفصل الخامس

الاعتماد باسم الثالوث الاقدس ومعنى الاعتماد باسم المسيح

إن الكنيسة حسب تعليم الرب وامتثالا لأمره تتمم سر العماد باسم الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس . وتذكر أسماء الأقانيم الثلاثة عند تغطيس المعتمد ، وهذا واضح من أمر الرب الصريح القائل « عمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس »(مت ٢٨ : ١٩) وقد ورد فى القوانين الرسولية « إن كل أسقف أوقس لا يُعمّد حسب أمر الرب بالآب والابن والروح القدس بل بثلاثة (آباء) عديمي الابتداء أو بثلاثة بنين أو بثلاثة معزيين يُقطَع » وعن ذلك يقول العلامة أوريجانوس « معمودية الخلاص لا ينبغي أن تُتمم على وجه آخر إلاّ باسم الثالوث الأقدس أعني باستدعاء الآب والابن والروح القدس » ويقول القديس كبريانوس « إن الرب ذاته أوصى بأن نعتمد باسم الثالوث الأقدس بجملته (رسالة ٧٣) ويقول القديس اثناسيوس الرسولى « مَن يرفض هذا الأقنوم أو ذاك من الثالوث الأقدس ، ويعتمد باسم الآب فقط ، أو الابن وحده ، أو الآب والابن خلا الروح القدس ، فذاك لا يشترك بالسر أصلاً ،

http://coptic-treasures.com

وتستنير نفوس المعمَّدين بتسليم معرفة الله» (فى الروح القدس لامفيلوشيوس فصل ١٥) . والذهبي الفم فى تفسير يوحنا (مقالة ٢٥ : ٢) . وامبروسيوس فى الأسرار (٢ : ٧) وايرونيموس ضد لوكيفروس (فصل ٤) وغيرهم من الآباء .

أما المعمودية فيجب ألاّ تمارس إلا بالتغطيس وذلك يتضح مما يأتى :-

(أولاً) إن السيد المسيح له المجد الذى شرع هذا السر المقدس هكذا اعتمد ، ليضع لنا مثالاً نحتذيه ، فيقول الانجيل عن عماده « فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء » (مت ٣ : ١٦) وفى ذلك برهان جلي على أنه كان مغموراً بالماء ونازلاً فيه حتى أنه صعد منه

(ثانياً) إن يوحنا المعمدان والرسل الذين سلّمونا وديعة الايمان هكذا مارسوا العماد ، فيوحنا المعمدان عمّد الذين أتوا اليه فى نهر الأردن ، ولو جاز العماد بسكب الماء أو رشه لما كانت هناك حاجة للاتيان بهم إلى النهر ، بل كان قليل من الماء يكفي فى هذه الحالة . وفيلبس عمّد الخصيّ وزير كندا كة ملكة الحبشة بالتغطيس ، حيث جاء فى سفر الأعمال قوله « فأمر أن تقف المركبة فنزلا كلاهما إلى الماء فيلبس والخصيّ فعمّده . ولما صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس فلم يبصره الخصيُّ أيضاً » (اع ٨ : ٣٦ — ٣٩) فلو كان العماد بالرش جائزاً لقنع فيلبس بقليلٍ من الماء يرشه على الخصيّ ، وهو فى المركبة دون أن يكلفه النزول إلى الماء .

نعم ان البعض استنتج من حادثة عماد الثلاثة آلاف نفس يوم الخمسين (اع ٢ : ٤١) ومن عماد بعض الأشخاص فى البيوت ، كعماد ليدية وأهل بيتها ، والسجان وأهل بيته والذين له (اع ١٦ : ١٥ و ٣٣) أن العماد فى

http://coptic-treasures.com

هذه الحالات كان بالرش . ولكن الجزم بذلك متعذر ،لأن الكتاب سكت عن ذكر الكيفية . على أن العماد فى تلك الحوادث بطريقة التغطيس لم يكن مستحيلاً

(ثالثاً) من التشبيهات الرمزية التى وردت عن المعمودية :فقد أشار بطرس الرسول إلى حادثة الطوفان والفُلك ، الذى فيه خلص قليلون أى ثمانى أنفس بالماء ، وقال «الذى مثاله يخلّصنا نحن الآن أى المعمودية ، لا إزالة وسخ الجسد ، بل سؤال ضمير صالح عن الله بقيامة يسوع المسيح (١ بط ٣ : ٢١) ووجه التشبيه هو أنه كما دخل الثمانى أنفس الى الفُلك ، واجتازوا فى الماء ، فخلصوا من الهلاك وخرجوا إلى حياة جديدة، هكذا بدخولنا إلى الماء فى المعمودية باعتبارها موتاً ودفناً وقيامة مع المسيح ، نخلص من الهلاك ونخرج إلى حياة البر

وأشار بولس الرسول إلى معمودية الاسرائيليين فى البحر الأحمر بقوله «وجميعهم اجتازوا في البحر ، وجميعهم اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر » (١ كو ١٠ : ١ و ٢) ووجه التشبيه ظاهر فى هذا المثال وهو انه كما أن الاسرائيليين اعتمدوا لموسى بعبورهم فى بحر الموت الرمزى، وخرجوا إلى شاطيء النجاة ، هكذا الذين يعتمدون للمسيح فى ماء المعمودية ، يعبرون بحر الموت ويخلصون ويخرجون إلى شاطىء الحياة بالقيامة من الأموات (رو ٦ : ٣ و ٤) . وفى هذا الدليل المبني على قياس التمثيل إشارة واضحة إلى ممارسة المعمودية بالتغطيس

(رابعاً) مما جاء فى أقوال الرسل عن معنى المعمودية : فقد قال بولس الرسول « أم تجهلون أننا كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته

http://coptic-treasures.com

لأن الكمال والخلاص هما فى الثالوث » (رسالة إلى سرابيون صفحة ٣٠)

أما ما ورد فى الأناجيل من العبارات التى تروى عن المعمودية باسم المسيح ، أو فى المسيح يسوع ، (اع ٢ : ٣٨ ، ٨ : ١٦ ، ١٠ : ٤٨ ، ١٩ : ٢٠) فلا يُقصد منها نفى العماد باسم الثالوث الاقدس بل المعنى فى ذلك أننا نعتمد بالمعمودية التى أسسها ورسمها ربنا يسوع المسيح . وقد قال فى ذلك القديس افلوجيوس « إن الاعتماد بيسوع المسيح هو الاعتماد حسب وصية يسوع المسيح وتسليمه الصريح أعني باسم الآب والابن والروح القدس » وقال القديس باسيليوس « لا يعثرنّ أحداً كلام الرسول حيث يسكت أحياناً عن ذكر اسم الآب والروح القدس فى المعمودية ، ولا يظن لهذا السبب أن أستدعاء الأسماء أمر ليست ملاحظته واجبة ، لأنه يقول أيها الذين أعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح ، وأيضا أيها الذين اعتمدتم بالمسيح بموته أعتمدتم . فذكر المسيح هو اعتراف بالجميع لأن هذا الاسم المقدس يدل على الاله الذى مَسح ، والابن الذى مُسح ، والمسحة وهي الروح القدس ، كما يقول بطرس الرسول « يسوع الذى من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس » (فى الروح القدس فصل ١٥)

الفصل السادس

نتائج سر المعمودية غير المنظورة واثبات وأنها هي الولادة الثانية

قلنا فيما سبق أن الأسرار تمنح نعماً غير منظورة ، تحت مواد وعلامات

http://coptic-treasures.com

فدفنا معه بالمعمودية للموت ، حتى كما أقيم المسيح من الأموات بمجد الآب هكذا نسلك نحن أيضاً في جدة الحياة ، لأنه إن كنا قد صرنا متحدين معه بشبه موته نصير أيضاً بقيامته » (رو ٦ : ٣ ـ ٥) وقال « مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله ، الذى أقامه من الأموات (كو ٢ : ١٢) ففى أقوال الرسول تشبيهات تامة حيث شبّه المعمودية بالقبر ، والتغطيس بالدفن ، والانتشال من الماء بالقيامة : ولا يصح تشبيه الموت مع المسيح إلاّ بذلك : فحيث ان المعمودية هي مثال موت المسيح ودفنه وقيامته ، فلا يصح اتمامها إلا بالتغطيس الذى به نتحد مع المسيح بشبه موته ودفنه ، لانها تمثل موتنا ودفننا وقيامتنا معه

وأيضاً يدعو الرسول المعمودية « غسلاً » بقوله « لا بأعمال فى بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥) وقد أشار حنانيا إلى هذا المعنى حيث قال لشاول « والآن لماذا تتوانى ، قم واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب » (اع ٢٢ : ١٦) راجع أيضاً (١ بط ٣ : ١٨ ـ ٢١ ، اف ٥ : ٢٦) والغسل لا يمكن أن يتم بالسكب أو بالرش بل بانغمار الجسم كله فى الماء .

(خامساً) من مدلول لفظة « معمودية » فان هذه اللفظة فى الأصل اليونانى « فابتزما » وهي صيغة مبالغة من كلمة « فابتين » التى معناها « الصبغ » وصبغ الشىء لا يتم إلا بوضعه فى السائل وغمره به . أما السكب والرش فلا يؤديان هذه الغاية

(سادساً) إن جميع آباء الكنيسة هكذا علموا وهكذا مارسوا : قال القديس يوستينوس « إن جميع الذين يقتنعون ويصدّقون أن ما نعلّمه

http://coptic-treasures.com

منظورة . وقد ثبت مما تقدم من إيضاح سر المعمودية فعله غير المنظور ، وهنا نشير الى نتائجة السرية وفعله فى نفوس قابليه :—

(أولاً) المعمودية تُعيد الولادة الثانية وتجدّد خلقة الأنسان روحيّاً ، وهذا ظاهر من قول الرب يسوع لنيقوديموس « الحق الحق أقول لك إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن يرى ملكوت الله » فلم يفهم نيقوديموس قصد المسيح وفسّره تفسيراً حرفياً ، وقال كيف يمكن الأنسان أن يولد وهو شيخ ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويُولد ؟ ففسر له الرب معنى كلامه بقوله « الحق الحق أقول لك إن كان احد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » وأردف هذا الكلام ببيان الفرق بين الولادة الجسدية والولادة الروحية بقوله : « المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح » ونظراً لأن هذه الولادة الروحية سرية لا تُدرك كيفيتها قال له « لا تتعجب إنى قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق . الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا إلى أين تذهب ، هكذا كل من وُلد من الروح » (يو ٣ : ٣ـ٨) فظاهر من هذا الكلام الصريح أن الرب يسوع يدعو المعمودية ميلاداً ثانياً ، ويبيّن فعلها السري غير المنظور . والى ذلك أشار يوحنا المعمدان الذى كرز عن معمودية المسيح وقال عنه « هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » (مت ٣ : ١١) وبولس الرسول يقول « لا بأعمال فى برّ عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥)

(ثانياً) من نتائجها غير المنظوره ، التبرير وغفران الخطايا . وهذا واضح أيضاً من كلام المخلّص نفسه بأن المولود من الجسد جسد هو ، واما

http://coptic-treasures.com

المولود من الروح فهو روح» وقول بطرس الرسول « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على أسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس» (اع ٢: ٣٨) وقوله أيضاً « الذى مثاله يخلّصنا نحن الآن أي المعمودية». موضحاً بأن المراد بها « لا إزالة وسخ الجسد ، بل سؤال ضمير صالح عن الله » (١ بط ٣ : ٢١) وقول بولس الرسول «أيها الرجال أحبّوا نساءكم كما أحبّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها ، لكي يقدّسها مطهّراً إياها ، بغسل الماء بالكلمة ، لكي يُحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن ، أو شيء من مثل ذلك ، بل تكون مقدسة وبلا عيب » (اف ٥: ٢٥ ـ ٢٧) فيسميها الرسول هنا « غسل الماء » وفي (١ كو ٦: ١١) يقول « لكن اغتسلتم بل تقدّستم بل تبرّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا » فالمعمودية إذن هي غسل الماء، وهي مقدّسة ومطهّرة ومبرّرة من الخطية الجسدية بفعل الروح القدس وعمله غير المنظور (راجع ما جاء فى صحيفة ٣١ـ٣٥ عن لزومها وضرورتها للخلاص)

(ثالثاً) إن المعمودية تمنح الانسان نعمة التبنّي حسب قول بولس الرسول « لأنكم جميعاً أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع ، لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح ، قد لبستم المسيح ، ليس يهودي ولا يوناني ، ليس عبد ولا حر ، ليس ذكر وأنثى ، لأنكم جميعاً واحد في المسيح يسوع . فان كنتم للمسيح فأنتم إذاً نسل ابراهيم وحسب الموعد ورثة » (غل ٣: ٢٦ـ٢٩) وقوله ايضاً « لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا الى جسد واحد يهوداً كنّا أم يونانيين ، عبيداً أم أحراراً . وجميعنا سُقينا روحاً واحداً » (١ كو ١٢ : ١٣) راجع ايضاً اع ٢ : ٤١ ، رو ٦ : ٣ و ٤

http://coptic-treasures.com

(رابعاً) من نتائجها العتق من عقوبة الخطية ، وأخذ ميراث الحياة الأبدية، حسب قول السيد « من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدن » (مر ١٦ : ١٦) وقول بولس الرسول « خلّصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس ، الذى سكبه بغنىً علينا بيسوع المسيح مخلصنا ، حتى اذا تبررنا بنعمته نصير ورثةً حسب رجاء الحياة الأبدية » (تى ٣ : ٥ – ٧) وقول بطرس الرسول « ولدنا ثانية لرجاء حي بقيامة يسوع المسيح من الاموات ، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلكم » (١بط ١ : ٣ و ٤)

فمن هذه النصوص المقدسة يتضح جلياً أن نتائج المعمودية غير المنظورة بفعل روح الله القدوس هي الولادة الثانية ، والتبرير ، والتبنّي ، وإرث الملكوت. وهذه المنح والنتائج مرتبط بعضها ببعض ، لأن نعمة الله إذ تلد الانسان ثانيةً تبرره وتقدسه وتجعله ابناً لله مستحقاً لوراثة الحياة الأبدية

وهذا التعليم هو تعليم المسيح ورسله ، وعليه سارت الكنيسة فى كل الاجيال ، وهكذا أعتقد آباء الكنيسة منذ الأجيال الاولى وإليك بعض شهاداتهم :—

قال القديس برنابا فى رسالته فصل ١١ « تُتمم المعمودية لغفران الخطايا، فننزل فى الماء موعيين من الخطايا والوسخ، ونصعد مُثمرين الخوف في قلوبنا، ومالكين الرجاء بيسوع فى روحنا » وقال القديس يوستينوس (فى خطابه الى تريفون فصل ٤٤) « يجب أن نفتّش ونعرف من أى طريق يمكن أن ننال صفح الخطايا ، ونمتلك رجاء ميراث الخيرات الموعود بها ، ولنا فى ذلك طريق واحدة فقط ، وهي أن نعرف يسوع ونغتسل بالمعمودية لغفران

http://coptic-treasures.com

الخطايا ، وهكذا نبتدىء أن نعيش بالقداسة »

وقال القديس اكليمنضس الاسكندري « هذا الأمر عينه يحصل لنا أيضاً نحن الذين قد صار لنا المسيح مثالاً فاذ نعتمد نستنير ، وإذ نستنير نتبنّى ، وإذ نتبنّى نكمل ، وإذ نكمل نضحى غير مائتين كما يقول « أنا قلت إنكم آلهة وبنو العلي جميعكم » ويُدعى هذا الفعل بأسماء كثيرة أعنى نعمة وأستنارة وكمالاً وحميماً . فهو نعمة إذ به تترك عقوبات خطايانا ، وأستنارة إذ به نرى النور القدوس الخلاصى ، أعنى أننا نشخص به الى اللاهوت ، وكمال لأنه لايحتاج الى شيء ، وحميم لاننا به نغسل خطايانا » (المربى كتاب ١ فصل ٦ : ٢٢٦)

وقال القديس غريغوريوس الثاولوغوس « إن نعمة المعمودية تنقي الانسان من كل خطية وتغسله غسلاً كاملاً من الأوساخ والأقذار اللاحقة به من الرذيلة ... وهي من حيث أنها نجدة للولادة الأولى تجعلنا جدداً من عتق ، وإلهيين بدلاً مما نحن عليه » (خطبة في المعمودية)

وقال القديس باسيليوس الكبير « المعمودية فدية المأسورين ، وصفح الأوزار ، وموت الخطية ، وإعادة ولادة النفس ، وثوب نيّر ، وختم لاينفك ، ومركبة الى السماء تؤدى الى الملكوت ، ومنحة التبنّي » (تعليم إبتدائى للموعوظين فصل ١٦)

وقال القديس يوحنا ذهبي الفم « إن معمودية النعمة تطهّر كل انسان ، سواء كان فاسداً أو زانياً ، عابداً للأصنام أو غير ذلك ، لانه مهما كان غارقاً فى الخطية فالما يدخل مياه المعمودية يخرج من هذه المياه الالهية أنقى من أشعة الشمس عينها ، وليس نقياً فقط بل قديساً بل باراً أيضاً ، لان الرسول

http://coptic-treasures.com

لم يقل « وأغتسلتم » فقط بل قال « وتقدستم وتبررتم باسم الرب يسوع » ثم إنه فضلاً عن نوالنا بالمعمودية صفح الخطايا والتنقية من المآثم والمظالم، فاننا نولد بعد المعمودية ولادة ثانية ونُخلق ونُصوّر بها » (عظة ثالثة)

وقال القديس اغسطينوس « إننا بميلادنا من الماء والروح القدس نتطهّر من كل خطية، سواء كانت من آدم الذى به أخطأ الجميع، أو بفعلنا وقولنا لأننا نُغسل منها بالمعمودية » (رسالة ١٧٨ : ٢٨)

وهكذا علّم باقي الآباء القديسين معلّمى الكنيسة في كل الأجيال

الفصل السابع

وحدة المعمودية وعدم اعادتها

إن الكنيسة تعترف وتعلّم طبقاً لتعليم الرب ورسله بأن المعمودية واحدة، ولذلك قررت فى قانون الايمان هكذا « نعترف بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا » وتعني بذلك عدم جواز إعادتها ثانية، متى تمت قانونياً حسب الشروط التى ذكرناها سابقاً، وذلك لسببين :—

(أولاً) لأن المعمودية ولادة روحية، فكما أن الانسان لا يولد جسدياً إلاّ مرة واحدة، هكذا يجب أن تكون ولادته الروحية مرة واحدة. وكما أن الأنسان بميلاده الجسدي يأخذ صورة وهيئة خاصة يبقى عليها مدى حياته، هكذا فى ميلاده الروحي يأخذ رسماً وختماً لا يُمحى

(ثانياً) لأن المعمودية هى مثال موت المسيح ودفنه وقيامته. فكما أن المسيح مات مرة واحدة مقدماً ذاته كفارة أبدية (رو٦ : ٤-٦، كو٢ : ١٢؛ عب٦ : ٤، ٧ : ٢٧، ٩ : ١٢، ١٠ : ١٠) وكما أنه وُضع للناس أن يموتوا مرة

http://coptic-treasures.com

واحدة (عب ٩ : ٢٧) هكذا لايجوز أن تعاد المعمودية مرة ثانية

ولذلك يقول آباء الكنيسة عن سر المعمودية « إنه ختم لا يُمحى وختم لا ينكسر »(أوامر الرسل ك ٣ فصل ١٦) « وإنه ختم الله ، وكما خُلق الانسان الأول على صورة الله ومثاله هكذا الذى يتبع الروح القدس يُختم منه ويأخذ صورة الخالق » (ايرونيموس على رسالة افسس ١ : ١٣) ويقول القديس اوغسطينوس « إن السمة السيّدية لا تُمحي البتة عن الذين نقتبلهم ولا نعمّدهم ثانية » (رسالة ١٨٥ الى بونيفاتيوس فصل ١٣) ويقول ترتوليانوس « لايجوز أن تعاد المعمودية » (فى العفّة) ويقول القديس يوحنا الذهبى الفم « قد دُفنا معه بالمعمودية للموت وكما أنه غير ممكن أن يُصلب المسيح مرة ثانية ، هكذا لا يقدر من قد أعتمد مرة واحدة أن يقبل معمودية ثانية » (مقالة ١١ : ٣ على رسالة العبرانيين) ويقول القديس افرام السريانى « إن الرب أوصى تلاميذه أن ينقّوا بمياه المعمودية خطايا الطبيعة البشرية مرة واحدة » (كتاب الايمان ٤ : ٩)

الفصل الثامن

معمودية الدم أو الشهادة

ومن الواجب أن نبيّن هنا أن الكنيسة تعتبر معمودية أخرى تسميها « معمودية فوق العادة » أو « معمودية الدم والشهادة » . وتقصد بها الذين يُقدّمون أنفسهم للشهادة على اسم المسيح قبل أن يقتبلوا معمودية الماء ، وذلك بناء على قول الرب نفسه « كل من يعترف بى قدام الناس اعترف أنا ايضاً

http://coptic-treasures.com

يتكفلون بتربيتهم التربية المسيحية وتعليمهم حقائق الايمان ، ويتعهدون بذلك أمام الكنيسة .

أما كلمة « أشبين » فانها سريانية الأصل ومعناها الحارس أو الوصي وتعيين الأشابين قديم جداً ويرجع الى زمن الرسل ، فقد ورد فى سفر الأعمال أن الرب نفسه عهد الى حنانيا تعليم شاول وإرشاده قبل عماده (اع ٩) وبعد ذلك مكث فى دمشق عند حنانيا مع التلاميذ أياماً (اع ٩ :٢٨) وكذلك عهد الى بطرس الرسول تعليم كرنيليوس القائد الرومانى قواعد الايمان وإرشاده الى طريق الحياة الأبدية بالمسيح يسوع (اع ١٠) وقد قال القديس ديوناسيوس الاريوباغي تلميذ بولس الرسول عن هذه العادة « إن هذا الامر افتكر به معلمونا الالهيون (الرسل) ورأوه موافقاً أن يُقبل الأطفال على هذا الوجه الشريف أعنى أن يسلم الوالدان الطبيعيان ولدهما لمربٍ صالحٍ وأن يبقى الولد فيما بعد تحت أدارته كأنه تحت عناية أب إلهي وكفيل لخلاصٍ مقدس ، فتتم السر يرفعه وهو معترف الى الحياة المقدسة طالباً رفض الشيطان والاقرار الشريف » (فى رئاسة الكهنوت ٧ : ١١) وقال القديس يوحنا الذهبي الفم « وإن كان المعمدون أطفالاً أو طرشاً لايستطيعون استماع التعليم فليجاوب أشابينهم عنهم ، وهكذا يُعمّدون حسب العادة » (على مز ١٤) وقال القديس أغسطينوس « إننا نؤمن ونصدق بتقوى وصواب أن إيمان الوالدين والأشابين يفيد الأطفال ، وعلى هذا الايمان يُعمّدون » (فى السلطة الذاتية ٢٣ : ٦٧ ورسالة ١٩٣ : ٣)

http://coptic-treasures.com

به قدام أبي الذى فى السموات » (مت ١٠ : ٣٢) «وان من أراد أن يخلّص
نفسه يهلكها ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها » (مت ١٦ : ٢٥) « طوبى
للمطرودين من أجل البر لأنّ لهم ملكوت السموات » (مت ٥ : ١٠)
« قد غُفرت خطاياها الكثيرة لأنها أحبت كثيراً » (لو ٧ : ٤٧) « الذي
يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي » (يو ١٤ : ٢١) « ليس لأحد
حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه . أنتم أحبائى إن فعلتم
ما أوصيكم به » (يو ١٥ : ١٣و١٤) وبهذه المعمودية التى نحن بصددها قد
أعتمد جمهور كثير من الشهداء الذين قدموا ذواتهم وسفكوا دمهم لأجل المسيح

وقد أعتبر آباء الكنيسة هذه المعمودية أعتباراً كثيراً . فقد قال
القديس كبريانوس « لا يجهل أحد أن الموعوظين بعد أستشهادهم لا يكونون
غير معمّدين، لانهم اصطبغوا أعظم صبغة وأشرفها ، أى صبغة الدم التى تكلم
عنها المخلص . والرب يؤكد أيضاً أن المعتمدين بدمهم والمقدّسين بالتعذيبات
يضحون كاملين ويأخذون نعمة الموعد الالهي » وقال القديس كيرلس
الأورشليمي « من لا يقبل المعمودية فلا خلاص له ، ماعدا الشهداء وحدهم
الذين بدون الماء ينالون الخلاص، لأنّ المخلّص لما كان يفتدي العالم كله بالصليب
نخس في جنبه فخرج منه دم وماء ، ليعتمد البعض بالماء فى أوقات السلام،
والبعض الآخر بدمهم في أوقات الاضطهادات . إن المخلّص نفسه دعا
الشهادة صبغة بقوله : هل تستطيعان أن تشربا الكأس التى أشربها أنا وأن
تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها » (عظة ٣ : ٨) وقال القديس باسيليوس
«إن بعضاً نالوا الموت بالجهادات التى عن حسن العبادة لأجل المسيح حقيقة
لا اقتداء، ولم يحتاجوا الى شيء من الرسوم التي من الماء لخلاصهم ، لأنهم تعمدوا

http://coptic-treasures.com

بدمهم»(لامفيلوشيوس فى الروح القدس رأس ١٥)وقال القديس غريغوريوس الثاولوغوس « إنني أعرف معمودية أخرى أيضاً وهي معمودية الشهادة والدم،المعمودية التى تعمّدها مخلصنا نفسه . هذه المعمودية هي أكثر مجداً من غيرها » (خطاب فى عيد الظهور) وقال القديس اغسطينوس عن أطفال بيت لحم«الطوبى لكم لانكم بعد الولادة وقبل المحاربة قد تكللتم بالظفر ، وأنى لا أرتاب فى أن استشهادكم قد أستحق لكم أكاليل عدم الموت ، كما لا ارتاب فى أن المعمودية مفيدة للأطفال »

الفصل التاسع

(١) من له حق التعميد

إن الرب يسوع قد جعل حق التعميد للرسل حيث قال لهم« اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم الخ » (مت ٢٨ : ١٩ ومر ١٦ : ١٦) وقد انتقل هذا الحق من الرسل الى خلفائهم الأساقفة ،ومن الأساقفة الى القسوس ، أي أن الذين لهم حق التعميد هم الأساقفة والقسوس لاغير مع خدمة الشماس معهم.وقد نصت القوانين الرسولية هكذا « إننا لانسمح بحق التعميد لأحد من الاكليروسيين مثل القارئين والمرتلين والبوابين والخدمة.إلا للأساقفة والقسوس وحدهم ، الذين يخدم معهم الشمامسة » وقد اثبت ذلك جميع آباء الكنيسة . قال القديس اغناطيوس الشهيد فى رسالته الى أهل أزمير« لايُسمح لكم أن تعمّدوا بدون أسقف ولا أن تقربوا قرابين ولا أن تقدموا ذبيحة » وقال العلامة ترتوليانوس « إن السلطة فى تتميم

http://coptic-treasures.com

سر الميرون

أو المسحة المقدسة

الفصل الاول

(١) ارتباط هذا السر بسر المعمودية وتعريفه وأسماؤه

إننا بسر المعمودية نولد ولادة ثانية من فوق . ومن وُلد ولادة جديدة يحتاج الى قوة تثبته وتحفظ وجوده ونموه فى الحياة الروحية ، ولهذا منح الرب يسوع هذا السر للمؤمنين لثباتهم في الايمان وتقويتهم ونموهم فى التقوى ، وبناء عليه يكون لهذا السر الرتبة الثانية بين الأسرار ، ولهذا السبب يُمنح بعد المعمودية حالاً

وهو سر مقدس به ننال ختم موهبة الروح القدس

وبالنظر الى طبيعة السر ومفاعيله دُعي «وضع الأيادي» لأن الرسل كانوا يتممونه فى العصر الأول بوضع الأيادي على المعتمدين ، وسمي غالباً مسحة ، ومسحة سرية ، وسر المسحة ، وسر الميرون ، ومسحة الخلاص ، وذلك لأنه يُتمم بمسح المعتمد بالميرون الذى هو طيب خاص . وأما بالنسبة لمفاعيله الداخلية الروحية فقد سُمي موهبة الروح القدس ، وسر الروح ، وعلامة الروح ، وسر التثبيت ، وختم الروح ، وختم الحياة الأبدية

(٢) الغرض من هذا السر

أما الغرض من هذا السر فواضح مما تقدم ، وهو التقدم والنمو فى

http://coptic-treasures.com

المعمودية منوطة بالأسقف ثم بالقسوس مع الشمامسة . ولكن ليس بدون إذن من الأسقف لشرف الكنيسة » وقال القديس ابيفانيوس « إنه حسب النظام الكنسي لا يتمم الشمامسة سراً من الأسرار ، ولكنهم يخدمون في خدمة الأسرار ، غير أنه حينما تدعو الضرورة يُسمح للعالميين أيضاً أن يعمّدوا » (ضد الهرطقات ٨٩) وقال ايضاً « لو كان التعميد مسموحاً به للنساء ، لما تقبّل ربنا يسوع المسيح المعمودية من يوحنا ، بل من أمه الكلية القداسة » (ضد الهراطقة ٧٩)

(٢) واجبات المعتمدين

الواجبات المطلوبة من المعتمدين هي : —

(اولاً) الايمان بالرب يسوع (مر ١٦ : ١٦ و اع ١٦ : ٣١)

(ثانياً) الاعتراف بهذا الايمان علناً وصريحاً

(ثالثاً) التوبة حسب قول بطرس الرسول « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » (اع ٢ : ٣٨ ، ٣ : ١٩)

(رابعاً) بما أن ابن الله أظهر لكي ينقض أعمال إبليس (١ يو ٣ : ٨) لذلك يجب على المعتمد قبل كل شيء أن يجحد الشيطان ويرفض أعماله ، ويتعهد بأن يترك كل أباطيل العالم ويكفر بأعمال الظلمة ، لأنه رجع من ظلمات الجهل والشر والخطية الى نور المعرفة والقداسة والبر ومن سلطان الشيطان الى الله (اع ٢٦ : ١٨) والمراد بجحد الشيطان ترك الخطية ورفض كل أعمال إبليس ، واتباع المسيح والسلوك بحسب تعليمه ، والسير

http://coptic-treasures.com

فى أثر خطواته . وهذا التعليم موافق كل الموافقة لروح الكتاب الذى ينادي هكذا « لينتهرك الرب ياشيطان » (زك ٣ : ٢) « اذهب ياشيطان » (مت ٤ : ١٠) وما جاء فى سفر أعمال الرسل من أن كثيرين من الذين آمنوا كانوا يأتون مقرّين ومخبرين بأفعالهم ، وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع الخ (اع ١٩ : ١٨ و ١٩) راجع أيضاً ١ كو ١٠ : ٢٠ ، ٢ كو ٦ : ١٥ ، اف ٥ : ١١ ، فى ٣ : ٨ و ١٣ ، كو ٣ : ٥ — ١٠

والكنيسة تمارس هذا الأمر من عهد تأسيسها وذلك بشهادة العلامة ترتليانوس (فى المعمودية ٢٠) والقديس إكليمنضس الاسكندري (فى الرسومات ٥ : ١١) وكيرلس الاورشليمي (عظة ١ : ٣٥) والقديس يوحنا الذهبي الفم (فى مقالة على رسالة افسس)

وقد ورد فى تاريخ موسهيم « كان الأسقف والقسوس تحت أمره يعمّدون مرتين في السنة ، أي فى الفصح والأحد الجديد الذي بعد الفصح. فمن جهة الطالبين يظن أنهم كانوا يُغطّسون بالماء كلياً مع الابتهال للثالوث الأقدس حسب أمر المخلص ، بعد أن يكونوا قد تلوا ما يسمونه قانون الايمان ويرفضوا كل خطاياهم ولا سيما الشيطان وجنوده ، وكان يُرسم الصليب على المعتمدين ويمسحونهم ويستودعونهم لله بالصلاة ووضع الأيادى وأخيراً يذيقونهم من اللبن والعسل . . . وكان على البالغين أن يروضوا عقولهم بالصلاة والصوم ورياضات اخر خشوعية . ووُضع الاشايين أولاً للبالغين ثم وضعوا للأطفال أيضاً (موسهيم كتاب ١ قرن ٢ قسم ٢ فصل ٤ عدد ١٣) وهذا الطقس لايزال جارياً فى جميع الكنائس الكاثوليكية

http://coptic-treasures.com

الحياة الروحية، فكما انه توجد فى الطبيعة البشرية للمولود جديداً قوة لازمة للنمو والنشؤ للوصول الى الكمال ،وكما انه توجد أيضاً فى القوى العقلية قوة كامنة ـ وإن كانت غير ظاهرة في الصغر ـ تنمو وتزداد شيئاً فشيئاً ، كذلك المولود روحياً بالعماد تلزمه قوة لينمو روحياً ، وتلك القوة تُمنح بسر الميرون . ولما كانت حياتنا الروحية تبدأ وتنمو فى دائرة روحية لزم أن تأتينا هذه القوة المكملة للحياة من روحٍ علوي ، وبما أن هذه الحياة هي إلهية لزم أن يُسمّيها روح الله نفسه . فاننا بالعماد نتطهر ،وبالميرون نتقوى . بالعماد ننجو من الموت ، وبالميرون نحيا ونثبت فى الحياة . بالمعمودية ننال الولادة الثانية ونقبل الروح القدس للتبرير ، وبالميرون ننال الروح الذى يهبنا الكمال . بالمعمودية ندخل فى ملكوت المسيح ، وبالميرون نتجند ونلبس أسلحة الحرب . بالمعمودية نتدرج ضمن عضوية الكنيسة ، وبالتثبيت نكون جنوداً للمسيح . المعمودية تجعلنا من رعايا المسيح ، وبالميرون ندخل فى صفوف الجيش

(٣) تأسيس هذا السر

وقد أسس الرب يسوع هذا السر عند ماقال « إن عطش أحد فليقبل اليّ ويشرب . من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه أنهار ماء حي . قال هذا عن الروح الذى كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه لأن الروح القدس لم يكن قد أعطي بعد . لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد » (يو ٧: ٣٧ ـ ٣٩) فمن هذا النص الشريف يتضح أن الرب يسوع يشير الى موهبةٍ كان مزمعاً أن يهبها للمؤمنين ، وهي عطية الروح القدس الضرورية لكل

http://coptic-treasures.com

والارثوذكسية والبروتستانتية. فقد جاء فى كتاب الصلاة العامة للكنيسة الأسقفية « بما أن هذا الوعد قد حصل من المسيح فينبغي لهذا الطفل أن يَعِد بأمانة على يدكم (أي الأشابين) معشر كفلائه الى أن يبلغ . فيتعين عليه وفاء ذلك بأن يرفض الشيطان وجميع أعماله ويؤمن بكلمة الله المقدسة راسخاً ، ويحافظ على وصاياه مطيعاً » ثم يسأل القسيس العراب (الأشبين) أبالنيابة عن هذا ترفض الشيطان وجميع أفعاله وزخارف الدنيا ومجدها الباطل الخ (راجع كتاب الصلاة العامة — باب معمودية الأطفال)

(٣) وظيفة الاشابين

كانت الكنيسة تلاحظ الذين يعتمدون وتراقبهم بكل حذر وتتلمذهم اولاً زمناً تحت التعليم حتى تتحقق من ثباتهم فى الايمان ، ولما كانوا يمكثون مدة تحت الارشاد والوعظ فقد سمتهم « الموعوظين » وكانت الكنيسة ولا تزال تصلى لأجلهم مستمدة لهم من الرب نعمة الاستنارة ، لأنهم كانوا كأطفال بالنسبة الى بقية المؤمنين . وعنهم قال القديس غريغوريوس الثاولوغوس فى مقالة يوم الخمسين « إنه لا يليق ولا يوافق للأعين الضعيفة أن تعاين الشمس ، ولا للرضع أن يتناولوا طعاماً كاملاً ، بل الأجدر أن يتدرجوا قليلاً قليلاً الى ماهو قدام ويرتقوا الى الأمور السامية ، فنحن بهذا الصنيع نمنح هؤلاء نوراً بعد نور مبينين لهم من الحق يقيناً »

ولما كان الاطفال لا يدركون ماهية الايمان ، ولا يستطيعون إعلان إيمانهم ، ولا يفقهون معنى المعمودية ، ولا يمكن أيضاً تلمذتهم ، فلذلك رأت الكنيسة منذ القديم أن تعمدهم على إيمان والديهم وتعهد أشابينهم ، الذين

http://coptic-treasures.com

مؤمن ، وليس إلى المواهب غير الاعتيادية التى تُمنح أحياناً الى بعض من المؤمنين لمقاصد خاصة ، كفعل المعجزات والتكلم بالألسنة وغير ذلك (راجع ١ كو١٢ : ٧ و ٢٩)

وللروح القدس أعمال عظيمة فى سر الفداء وفي حياة الكنيسة . فهو منذ البدء يبث روح الحياة فى المادة (تك ١ : ٢) وهو الذى أعلن الحقائق الالهية والنبوات إلى الأنبياء . وهو الذى قدّس السيدة العذراء لحلول المسيح فى أحشائها . وهو الذى كرّس ناسوت المسيح وجعل جميع أعماله العلنية مخصصة لله الآب . وقد أسس المسيح الكنيسة وجمعها وباركها وفداها، والروح القدس قدّسها وأنشأ فيها قوته المحيية وثبّتها ووحّدها ولايزال يحييها

ولذلك وعد الرب يسوع تلاميذه بحلول الروح القدس قائلاً « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ليمكث معكم الى الأبد . روح الحق الذى لايستطيع العالم أن يقبله لأنه لايراه ولايعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » (يو ١٤ : ١٦ و ١٧) « إن لم انطلق لايأتيكم المعزى ولكن أن ذهبت أرسله اليكم . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق الخ » (يو ١٦ : ٧ و ١٣) « وأوصاهم أن لايبرحوا من أورشليم بل ينتظروا موعد الآب ... لأن يوحنا عمّد بالماء واما انتم فستتعمدون بالروح القدس » (اع ١ : ٤ و ٥)

ولا ريب أن العنصرة كانت للرسل تثبيتاً ، وفي ذلك اليوم قبلوا هذا السر المقدس بمعجزة من الروح القدس مباشرة، اذ لم يكن فى الكنيسة أحد قبلهم ليمنحهم إياه . وأما الرسل فقد اعطوا أن يمنحوا هذا السر لغيرهم من

http://coptic-treasures.com

المؤمنين ، لأن المخلّص أقامهم خداماً لانجيله ووكلاء لأسرار نعمه ،وما تم للرسل فى يوم الخمسين يُمنح لكل مؤمن لدى قبوله سر التثبيت

الفصل الثاني

استقلال هذا السر عن سر المعمودية واثباته

هذا السر وإن كان يُمنح بعد المعمودية إلاّ أنه سر مستقل بنفسه كما يتضح ذلك مما يأتى:—

(أولاً) مما تقدم من مواعيد السيد له المجد عن هذا السر مما يبرهن على أنه شيء خاص خلاف المعمودية (راجع صفحة ٦٢)

(ثانياً) مما نراه واضحاً من أعمال الرسل عن هذا السر . فقد ورد صريحاً فى سفر الأعمال بأنه « لما سمع الرسل الذين في أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله ، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا ، اللذين لما نزلا صليا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس ، لأنه لم يكن قد حلّ بعد على أحد منهم غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع ، حينئذ وضعا الايادى عليهم فقبلوا الروح القدس » (اع ٨: ١٤ ـ ١٧) فمن قوله « غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع » يتضح أن سر المعمودية ليس هو قبول الروح القدس الذى لا يحل إلا بواسطة سر الميرون. وكذلك لما جاء بولس الرسول الى أفسس فاذ وجد تلاميذ قال لهم هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم . قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس . فقال لهم فبماذا اعتمدتم . فقالوا بمعمودية يوحنا . فقال بولس إن يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلاً للشعب

http://coptic-treasures.com

أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده أى بالمسيح يسوع . فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع . ولما وضع بولس يديه عليهم حلّ الروح القدس عليهم » (اع ١٩ : ٢ ـ ٦) فمن هذين النصين يتضح : —

(١) أن الرسل كانوا يتممون هذا السر بوضع اليد بعد المعمودية

(٢) أنهم بوضع اليد كانوا يمنحون للمؤمنين موهبة حلول الروح القدس

(٣) أن الرسل عندما كانوا يضعون أيديهم على المعتمدين كانوا يصلون الى الله ليحل الروح القدس . ومن ذلك يظهر أنه عمل سرى قائم بنفسه مستقل عن المعمودية

(٤) أن هذا السر المنفصل عن سر المعمودية ، هو سر مؤسس من المسيح نفسه ، لأن كلام الرسل وتعليمهم وأعمالهم ليست لهم لكنهم تسلموها من المسيح وألهموا بها من قبل روحه الأقدس

(ثالثاً) إن الرسل الأطهار يشيرون فى رسائلهم إلى هذا السر المقدس ، ويؤكدون للمؤمنين بأنهم أخذوا به موهبة الروح القدس ، وهذا صريح فى قول القديس يوحنا الانجيلي « وأما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء . . . وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم الى أن يعلمكم أحد بل كما تعلمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء . وهي حق وليست كذباً كما علمتكم تثبتون فيه »(١ يو ٢ : ٢٠ و ٢٧) واذا قابلت كلام يوحنا هذا مع وعد الرب يسوع عن الروح القدس بقوله « وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب بأسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ماقلته لكم » (يو ١٤ : ٢٦) رأيت أن المسحة التى

http://coptic-treasures.com

يشير إليها هي حلول الروح القدس بواسطة هذه المسحة . لاسيما وأن هذا هو اصطلاح الكتاب، فقد سبق اشعياء النبي وسمى حلول الروح مسحة بقوله « روح الرب علىّ لأن الرب مسحنى » (اش ٦١ : ١) وبولس الرسول يقول « ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا » (٢ كو ١ : ٢١و٢٢) وعند كلامه عن المعمودية يقول « لكن أغتسلتم — ثم يردفها بقوله — بل تقدستم »(١ كو ٦ : ١١)ويقول أيضاً «خلّصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس » (تى ٣ : ٥ ،اف ٥ :٢٦) وفى(عب ٦ : ٢) يشير الى تعليم المعموديات ووضع الأيادى ، وفي ذلك دلالة ظاهرة على أن وضع الأيادى خلاف المعمودية

ومما تقدم يتضح أن الرسل يشيرون إلى هذه المسحة ويسمونها تثبيتاً، وختماً ، ووضع الأيادى ، ومسحة . وذلك بالنظر إلى فعل السر الداخلى ، ويثبت ذلك أيضاً أقوال الآباء الرسوليين مثل ديوناسيوس الاريوباغي تلميذ بولس الرسول فى (كتاب رئاسة الكهنوت ٧: ٤ ـ ٧) وكيرلس الأورشليمي فى(مقالة عن الأسرار) ويوحنا ذهبي الفم في(تفسير ٢ كو فصل ٢) وامبروسيوس فى (الأسرار فصل٥)

وبما أن الرسل يذكرون المسحة ووضع اليد فى مقام واحد ، فيستنتج من ذلك إما أنهم كانوا عند ما يتممون هذا السر بوضع اليد يستعملون فى الوقت نفسه العلامة الثانية الظاهرة ، أى المسحة التى لم يُذكر عنها شيء فى سفر أعمال الرسل . وإما أنهم كانوا يتممون السر بوضع الأيادى فقط ثم استبدلوا ، بارشاد الروح القدس، وضع الأيادى بعلامة

http://coptic-treasures.com

المسحة ، آخذين مبدأها من تعليم الكتاب عن المسحة فى العهد القديم

(رابعاً) إن الآباء الرسوليين الذين تسلّموا التعليم من الرسل أنفسهم يشيرون فى أقوالهم الى هذا السر

قال القديس ديوناسيوس الأريوباغى فى كلامه عن سر الشركة « لكن توجد تكملة أخرى معادلة لهذه (أى للشركة) يسميها معلمونا الرسل تكملة الميرون » ثم أخذ فى شرح تجهيز الميرون وكيف تتم المسحة على المعتمدين والمواهب التى تمنحها إلى أن قال « إن مسحة التكميل بالميرون المقدس لمن استحق سر الولادة الثانية يمنحها حلول الروح ذى العزة الالهية » (كتاب رئاسة الكهنوت ٤ : ١ و ١١ ، ٢ : ٨)

وقال العلامة ترتوليانوس « بعد خروجنا من حميم المعمودية مُسحنا بزيت مقدس تبعاً للتكملة القديمة ، كما كانوا قديماً يُدهنون بزيت القرن لنوال الكهنوت . . . إن المسحة تتم علينا جسدياً لكننا نستثمر منها أثماراً روحية ، كما فى المعمودية حيث نعتمد جسدياً بالماء ونستثمر أثماراً روحية إذ نتنقى من خطايانا . وبعد ذلك توضع اليد التى مع البركة تستدعى الروح القدس وتحدره » (في المعمودية فصل ٧ وفى رفض الهراطقة فصل ٣٧ وضد مركيانوس ٣ : ٢٢)

ويذكر القديس اكليمنضس الاسكندرى في كلامه عن تلاميذ باسيليدس الهرطوقي أن فى هذا المذهب القتالى « اي الذى ينسب كل شىء الى المقدور » ليست معمودية حقيقية ولا ختم مضبوط (في البديعيات ١١ : ٣)

وقال القديس كبريانوس « من اعتمد ينبغى أن يُمسح أيضاً لكى يصير بواسطة المسحة ممسوحاً لله ويأخذ نعمة المسيح » (رسالة ٧٠) وقال

http://coptic-treasures.com

فى (رسالة ٧٢ عن الهراطقة) « لأنهم لا يستطيعون أن يتقدسوا تماماً ويصيروا أبناء الله بدون إعادة ولادتهم بواسطة السرين » وقال أيضاً في (رسالة ٧٣) « كما أن الرسولين بطرس ويوحنا بعد صلاة واحدة استحدرا الروح القدس على سكان السامرة بوضع الأيادي ، هكذا فى الكنيسة أيضاً من ذلك الحين جميع المعمدين ينالون الروح القدس ويُختمون بختمه عند دعاء الكهنة ووضع أياديهم »

وقد ورد فى أوامر الرسل « بعد هذا فليعمده الكاهن باسم الآب والابن والروح القدس وليمسحه بالميرون » (كتاب ٧ : ٤٣)

وقال القديس كيرلس الأورشليمى « قد صرتم مسحاء اذ قبلتم الروح القدس ، وكل شيء قد صار عليكم بحسب الرسم إذ أنكم رسوم المسيح ، فانه لما استحم في نهر الأردن وصعد منه انحدر الروح القدس عليه جوهرياً ، واستراح المثيل على مثيله ، ونحن أيضاً بعد أن صعدنا من جرن الينابيع المقدسة مُنحت لنا المسحة رسمياً لما مسح بها المسيح أعنى الروح القدس . . . لكن أنظر واحترس من أن تظن ذلك الميرون بسيطاً ، لأنه كما أن خبز الشكر بعد استدعاء الروح القدس ليس خبزاً بسيطاً ، بل هو جسد المسيح ، هكذا هذا الميرون المقدس لا يُعد ميروناً بسيطاً ولا عمومياً بعد الدعاء ، بل هو موهبة المسيح وحضور الروح القدس فاعلاً فعل ألوهيته فتُمسح به على جبهتك وسائر حواسك ، والمسيح هو الذى رسم . فان الجسم يُدهن بالميرون الظاهر ولكنّ النفس تتقدس معاً بالروح القدس المحيي » (تعليم الاسرار ٣ : ٣)

وقال القديس افرآم السريانى « إن سفينة نوح كانت تبشر بمجيء

http://coptic-treasures.com

في مقدماته فى اللاهوت جزء ٦ صحيفة ١٣٢)

(خامساً) إن تأخير هذا السر يحرم الأطفال من هذه النعمة التى تمنحهم هبة حلول الروح القدس وسمة التثبيت التى يحق لهم الاشتراك فيها كما يشتركون فى غيرها من الأسرار ، وإلاّ فاذا كان من الضرورى أن يشترك الانسان فى الأسرار بعقل بالغ لزم أن لا يشترك فى باقي الأسرار المقدسة كالمعمودية وغيرها وهو طفل . وما الذى يمنع الأولاد من قبول هذا السر ونحن نرى أن يوحنا المعمدان قد امتلأ من الروح القدس وهو فى بطن أمه (لو ١ : ١٥)

(سادساً) إن الكنيسة لا تضمن حياة الأطفال حتى تجاوزهم سن الطفولة ، فلربما فاجأهم الموت قبل أن يبلغوها كما يحصل كثيراً ، وبذلك تكون الكنيسة قد حرمتهم أسنى المواهب وأفضل الخيرات

الفصل الرابع

الميرون واستعماله وتاريخه

الميرون كلمة يونانية معناها « طيب » وتطلق فى الاصطلاح الكنسي على المزيج السائل المركب من نحو ٣٠ صنفاً من أصناف الطيوب والعطور كالمر والعود والسليخة وقصب الذريرة وعود اللبان (راجع مز ٤٥ : ٨ ، خر ٣٠ : ٢٢ ـ ٣٣) وقد روى آباء الكنيسة بأن الرسل الاطهار أخذوا الحنوط التى كانت على جسد الرب يسوع ، مع الحنوط والاطياب التى ابتاعتها النسوة (لو ٢٣ : ٥٦ ، ٢٤ : ١) وأضافوا إليها من زيت الزيتون وغيره وقدسوها بكلمة الله والصلاة وجعلوها ميروناً لسر المسحة ، ووزعوه

http://coptic-treasures.com

المزمع أن يسوس كنيسته فى المياه، وأن يرتد أعضاؤها إلى الحرية باسم الثالوث الاقدس. وأما الحمامة فكانت ترمز الى الروح القدس المزمع أن يصنع مسحة هى سر الخلاص » (خطاب ١٩ ضد الفاحصين)

وقال القديس كيرلس الاسكندرى « إن الميرون يُشير حسناً إلى مسحة الروح القدس » (على يوئيل ٢ : ٢٣)

(خامساً) ومما يستحق الاعتبار أن هذا السر وكذا باقى الاسرار السبعة المقدسة محترمه ومعتبرة هكذا عند جميع الكنائس الشرقية والغربية ، مع اختلاف هذه الكنائس في أمور عقائدية كثيرة . فهذا الاتفاق العام دليل على أن هذا التعليم لم يصل الى الكنائس إلاّ من تسليم رسولىّ منذ بداءة الكنيسة

(سادساً) أما شهادة التاريخ فنكتفى هنا بما ذكره المؤرخ البروتستانتى موسهيم حيث قال « وكان الأسقف أو القسوس تحت أمره يعمدون مرتين فى السنة أى فى الفصح والأحد الجديد الذى بعد الفصح . فمن جهة الطالبين يُظن أنهم كانوا يغطسون بالماء كلياً مع الابتهال للثالوث الاقدس حسب أمر المخلص ، بعد أن يكونوا قد تلوا مايسمونه القانون ويرفضوا كل خطاياهم ومعاصيهم ولا سيما الشيطان وجنوده . وكان يُرسم الصليب على المعمدين ويُمسحون ويُستودعون لله بالصلاة ووضع الايادى » (كتاب ١ قرن ٢ قسم ٢ فصل ٤ عدد ١٣)

(سابعاً) إن كنائس كثيرة من الكنائس الحديثة التى اتبعت تعاليم لوثر وكلفن قد قبلت هذا السر وتمارسه . قال القس جيمس انس الأمريكاني في كتابه (نظام التعليم فى علم اللاهوت القويم) عن سر التثبيت « إن الكنائس

http://coptic-treasures.com

اللوثرية والانكليزية الأسقفية والمصلحة الجرمانية تقبله نظير عمل يضاف إلى معمودية الأطفال بعد تعليمهم التعليم المسيحي» (جزء أول صحيفة ١١٧) والكنيسة الأسقفية تتممه بوضع الأيادى للذين اعتمدوا و بلغوا سن التمييز، وله عندها طقس خاص كما هو واضح فى كتابهم (الصلاة العامة)

قال القس بنيامين شنيدر الانكليزى فى كتابه (ريحانة النفوس فى اصل الاعتقادات والطقوس صحيفة ١٦١) عن المسحة « قد أبتدىء باستعمالها قديماً . فان ترتوليانوس الذى توفى سنة ٢٢٠ يشير إليها (فى المعمودية رأس ٧) ولهذا يتضح أنها كانت موجودة فى آخر الجيل الثانى أو أول الجيل الثالث . . . إلا أن وجودها في ذلك العصر كعادة مقبولة من عامة الكنيسة يتضح من كيرلس (تعليم مسيحى لكيرلس) ومن الكتاب المدعو القوانين الرسولية (كتاب ٣ رأس ١٧ و كتاب ٧ رأس ٢٢) ومن إيرونيموس (فى نبوة حزقيال ص ٩) إلى أن قال . بعد ذلك لم يكتفوا بهذه التشابيه بل أخذوا يستعملون عبارات تُشعر أن الروح القدس كان يُعطى مع الزيت حتى أننا نجد عبارات مثل هذه فى كبريانوس (رسالة ٧٠ إلى يانواريوس) وامبروسيوس (فى الداخلين رأس ٧) واغسطينوس (فصل ٦ في تفسير رسالة يوحنا) »

وقال العالم ادورد وليم الانكليزى فى كتابه (القلائد الدرية فى الحياة المسيحية) « ولعل مما يزيل الاشكال من أذهان بعض الناس إيراد الأسماء المختلفة للمعمودية بالروح القدس ، فعبر عنها احياناً « بالحلول » وأحياناً « بالنزول » وأحياناً « بالقبول » وأحياناً « بالختم » وأحياناً « بالمسحة » أى مسحة الروح القدس ، فعبر عنها بالمسحة فى (١ يو ٢ : ٢٧) كما عبر بطرس

http://coptic-treasures.com

على الكنائس وكانوا يمسحون به المعتمدين . وأمروا أن يكون مادة محسوسة وعلامة ظاهرة فى سر التثبيت ، وما زال الرسل وخلفاؤهم من بعدهم يستعملونه . وقد جاء فى أوامر الرسل (ك ٧ ف ٣٢) مايدل على ذلك « أيها الاسقف أو القس يجب أن تمسح بزيت ثم تعمّد بماء وأخيراً تختم بالميرون » وقولهم « بعد ذلك فليعمده الكاهن وليمسحه بالميرون » (ف ١٤٣) وقال القديس ديوناسيوس الاريوباغى تلميذ بولس الرسول « توجد تكملة أخرى معادلة لهذه (أي للشركة) يسميها معلمونا الرسل تكملة الميرون » وغير ذلك من أقوال الاباء التى أوردنا بعضها فى صحيفة ٦٦ — ٦٨ مما يدل على أن هذا الاستعمال مأخوذ من الرسل

أما الذى حدا بالرسل إلى استعمال الميرون فهو : —

(أولاً) لأن لكل سر علامة ظاهرة ومادة منظورة ، فالمسح إشارة إلى المسحة الروحية ، وكما أن المعمودية لها علامة ظاهرة وهي الماء مشابهة لفعلها فى الجسد تمام المشابهة لفعلها فى النفس ، هكذا المسحة علامة منظورة مشابهة لفظاً ومعنىً للمسحة الداخلية التى من القدوس

(ثانياً) إن اسم المسيح مشتق من كلمة مسح حيث كان رؤساء الكهنة والملوك يُمسحون بالزيت قبل نوالهم رتبتهم الكهنوتية أو الملوكية (راجع خر ٢٨ : ٤١ ، لا ٦ : ٢٢ ، ١ صم ١٠ : ١ ، ١٢ : ١٣)

(ثالثاً) إن كلمة مسحة وردت فى أقوال الرسل ، فقد قال يوحنا الرسول « لكم مسحة من القدوس ... وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم الخ » (١يو ٢ : ٢٠ و ٢٧) وقال بولس الرسول « الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا الخ » (٢ كو ١ : ٢١ و ٢٢) راجع أيضاً (اش ٦١ : ١)

http://coptic-treasures.com

عن معمودية ربنا «بمسح الله إياه بالروح القدس والقوة» (اع ١٠ : ٣٨) وعبر عنها ربنا نفسه «بالحلول» أي حلول الروح القدس (اع ١ : ٨) وبهذا عبّر عن قبول الأنفسيين للروح القدس (اع ١٩ : ٦) وأكاد لا أدرى الى أى حد يجب أن أتقدم فى هذا البيان. لأن مايحتاج إليه من الايضاح أقل مما نحتاج اليه من الاشواق الى الله نفسه. ومما يساعد بعض الناس ملاحظة أن الكنائس المسيحية القديمة تشهد بأنها قبلت الروح القدس بقانون التثبيت، ولكن هذا القانون قلما فُهم، وكثيراً ما أحتقر واعتزل مع أنه قانون الرسل (انظر اع ٨ و ١٩) وما اهتمت به الكنائس القديمة كل الاهتمام وحسب القانون الدائم الذى لابد منه الى نهاية الايام، ومراعاة هذا القانون تدفع اعتراضات كثيرة قامت على تعليم المعمودية بالروح، وهي المعمودية الواحدة بدليل قوله «إننا جميعنا بروح واحد ايضاً اعتمدنا إلى جسد واحد» (١كو ١٢: ١٣) وقوله «رب واحد إيمان واحد معمودية واحدة» (اف ٤ : ٥) ويُحل ذلك المشكل ايضاً برجوعنا إلي الأصحاح الثامن من الأعمال، حيث ورد فيه «ولكن لما صدّقوا (أى اهل السامرة) فيلبس وهو يبشر بالأمور المختصة بملكوت الله وباسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالاً ونساء» (اع٨ :١٢) ولكن ماذا كان بعد المعمودية «إن الروح لم يكن قد حل بعد على أحد منهم» (اع ٨: ١٦) فنرى أنه قد مرّ وقت بين أعتمادهم ودخولهم الكنيسة وبين قبولهم الروح القدس (اع ٨ : ١٤ و ١٥) فلننظر هنا حسناً أنه كما لايُنكر أن امتيازات المعمودية متوقفة على قانون التثبيت لاينكر أن المعمودية الواحدة قبول الروح القدس» (صحيفة ١٦ ـ ١٨)

http://coptic-treasures.com

الفصل الثالث

منح هذا السر حالا بعد المعمودية وخطأ الذين يؤخرونه

إن الكنيسة الأرثوذكسية تمنح سر الميرون بعد المعمودية حالاً ، متبعة فى ذلك تعليم الرب يسوع ورسله الأطهار ، وما استلمته منذ العصر الرسولي . ولكن الكنائس الغربية بدأت منذ الجيل الثالث عشر أن تؤخر منحه للأولاد المعتمدين حتى تجاوزهم سن الطفولة ، أى فى السنة السابعة او الثانية عشرة حتى يشتركوا فيه بعقل بالغ ومعرفة كافية . ولكن الأدلة الآتية تثبت الحقيقة الأرثوذكسية في منحه بعد المعمودية حالاً :—

(أولاً) إن السيد المسيح له المجد لما اعتمد صعد للوقت من الماء ، واذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه (مت ٣ : ١٦) وهذا يدل على أن الروح القدس يحل بواسطة سر الميرون بعد المعمودية حالاً

(ثانياً) إن الرسل الأطهار الذين سلّمونا وديعة الايمان كانوا يتممون هذا السر المقدس بوضع الأيادي بعد المعمودية حالاً ، كما نرى ذلك فيما عمله بولس الرسول مع تلاميذ افسس إذ قال لهم « هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم . قالوا له ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس . فعمدهم باسم الرب يسوع ولما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم » (أع ١٩ : ١ — ٦) وكما نشاهد ذلك أيضاً من أنه حين سمع الرسل الذين في أورشليم أن أهل

http://coptic-treasures.com

(رابعاً) يظهر مما تقدم أن الرسل الاطهار هم الذين استعملوا المسحة فى سر التثبيت مع وضع اليد الذى كان خاصاً بهم (اع ٨ : ١٤ – ١٧ ، ١٩ : ٦) وخولوا الكهنة حق مسح المعتمدين ولذلك قال القديس كيرلس الأورشليمي « من الضروري أن تعلموا أن رسم هذه المسحة هو فى العهد القديم لأن موسى لما جاء بأمر الله الى أخيه وجعله رئيس كهنة بعد أن غسله بالماء مسحه، وكان يُدعى مسيحاً من المسحة الرمزية . وهكذا رئيس الكهنة لما أقام سليمان ملكاً مسحه بعد غسله فى جيحون غير أن هذه الأمور جرت على أولئك رمزياً ولكنها عليكم ليست رمزية بل هي حقيقية لأنكم مُسحتم حقيقة من الروح القدس » (فى الأسرار ٣ : ٦)

(خامساً) إن استعمال المسحة حُسب أمراً جوهرياً لازماً للمعتمدين بدليل ما ورد في أقوال آباء المجامع المسكونية دون أن يذكروا شيئاً عن وضع اليد ، وهذا يدل على أن سر المسحة كان قائماً فى الكنيسة القديمة بمسح الميرون لا بوضع الايادى ، وقد أضافت بعض كنائس الغرب وضع الأيادي فى تتميمه ، فان القديس كبريانوس يذكر المسحة ويذكر وضع الأيادي ويصرح بأنه من الضرورى أن ينال المسحة كل واحد من المستنيرين حديثاً . والبابا اينوشنسيوس الثالث يقول « إن وضع الأيادى يشار اليه بمسح الجبهة وهو من وجه آخر يُدعى مسحة » . والبابا اجانيوس الثالث يقول « عوضاً عن وضع اليد تُمنح المسحة فى الكنيسة »

قال المطران جراسيموس مسرة صاحب كتاب الانوار فى الأسرار « مادام من المؤكد والثابت أن الرسل القديسين سلّموا الكنيسة سر المسحة بالمسح بالميرون لايكون محل للقول بأن الرسل أبدلوا وضع

http://coptic-treasures.com

السامرة قد قبلوا كلمة الله واعتمدوا على يد فيلبس الذى لا حق له فى وضع الأيادى ، أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا اللذين لما نزلا صليا لأجلهم لكى يقبلوا الروح القدس ، لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم ، غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع . حينئذ وضعا الايادي عليهم فقبلوا الروح القدس (اع ٨ : ١٤ – ١٧) فمن ذلك يتضح أن الرسل كانوا يتممون هذا السر بعد المعمودية حالاً

(ثالثاً) إن آباء الكنيسة فى الأجيال الأولى كانوا يتممونه حسب التعليم الرسولى بعد المعمودية حالاً وذلك بشهادة العلامة ترتوليانوس الذى عاش فى الجيل الثانى فقد قال « بعد خروجنا من حميم المعمودية مُسحنا بزيت مقدس تبعاً للتكملة القديمة ، كما كانوا قديماً يُدهنون بزيت القرن لنوال الكهنوت ... إن المسحة تم علينا جسدياً لكننا نستثمر منها اثماراً روحية كما فى المعمودية حيث نعتمد جسدياً بالماء ونستثمر أثماراً روحية اذ نتنقى من خطايانا وبعد ذلك تُوضع اليد التى مع البركة تستدعي الروح القدس وتحدره » وكما قال القديس كيرلس الأورشليمي فى مقالته الثالثة على الأسرار « بعد خروجنا من جرن المجاري المقدسة أعطيت المسحة وهي رسم المسحة التى مسح بها المسيح فهذه هي الروح القدس » وورد فى مجمع اللاذقية « يجب على المستنيرين أن يُمسحوا بعد المعمودية بمسحة سمائية ويشتركوا فى ملكوت المسيح »

(رابعاً) إن علماء الكنيسة الرومانية أنفسهم يقرون ويشهدون أن المسحة المقدسة كانت تتمم مدة إثنى عشر قرناً على المستنيرين حديثاً بعد المعمودية حالاً ، ليس ذلك في الشرق فقط بل وفى الغرب أيضاً (بيرون

http://coptic-treasures.com

الأيدى بالمسحة . لأن البحث إنما هو فى الكيفية التى بها تسلّمت الكنيسة الأسرار المقدسة من الرسل لا أكثر . ولا أظن أن الرسل تسلموا وضع اليد ثم أبدلوه بغيره وأبطلوه مع أن وضع اليد لم يزل فى الكنيسة الى الآن ، لكنهم كانوا يستعملون وضع اليد لغاية أعلى من الغاية المقصودة من سر المسحة ، أعنى أنهم كانوا يضعون أيديهم على المؤمنين الحقيقيين لا للتثبيت وحده فقط بل ليمنحوهم مع التثبيت مواهب خصوصية أيضاً كموهبة التعليم والنبوة والكهنوت الخ . وأما التثبيت العمومي فكان محصوراً بالمسحة كما تفعل الكنيسة الأرثوذكسية ... وهذا يمكن إثباته بأن هذا السر يُسمى مسحة وسر المسحة ورمزاً ورسماً وتثبيتاً وختماً . ومعلوم أن لفظ المسحة والختم لا يدل على وضع اليد بل على الدهن والطبع بالميرون .وقد قال بعض اللاهوتيين إن وضع اليد الذي كان الرسل يمنحون به للمؤمنين مواهب الروح القدس لم يكن منفصلاً عن المسح فى تتميم سر المسحة، بل كان ولم يزل متحداً معه لأن راعى الكنيسة حين يتمم السر داهناً بيده جبهة المعتمد وسائر أعضاء جسده يرفع يمينه عليه ليدهنه فبرفعه يمينه يكون قد وضع يده عليه وتمّ وضع اليد » (صحيفة ٧٧ و ٧٨)

تاريخ الميرون

قلنا في الفصل السابق ان عمل الميرون بدأ من أيام الرسل ، وقد روى مؤرخو الكنيسة القبطية بأن الميرون الذى أتى به مار مرقس الانجيلي بقي حتى زمن القديس اثناسيوس الرسولى العشرين فى عدد باباوات الاسكندرية ، فى أوائل القرن الرابع إلى أن نفد أكثره ولم يبق

http://coptic-treasures.com

منه شيء فى كنائس روميه وانطاكية والقسطنطينية . ولما علم رؤساء تلك الكنائس بوجود بقية منه فى كنيسة الاسكندرية بعثوا برسائل إلى القديس اثناسيوس يطلبون منه امدادهم بجزء منه ، فأخبرهم بأن ما عنده لا يكفيه واياهم وأشار عليهم بعمله من الطيوب التى أمر بها موسى مضافاً إليها من زيت الزيتون الصافي مع أطياب أخرى ، وبعد تقديسه يُضاف إليه ماعنده من الذخيرة الباقية من الميرون الأصلي . فأستحسنوا هذه الفكرة وأرسلوا إليه يشكرونه وسألوه الاسراع فى هذا العمل . فاعتمد على الله وباشر عمله وتقديسه بحضور لفيف الأساقفة ورؤساء المجامع وبعد تقديسه أضاف اليه ما عنده ووزعه على الكنائس وبعث اليهم بطريقة العمل لتكون مثالاً يسيرون عليه فى عمل الميرون ، فاستقبلوه بفرح وابتهاج بالتراتيل الكنسية أما كيفية عمله فواضحة فى الكتاب الخاص الذى لا يزال موجوداً بالكنيسة

الفصل الخامس

(١) نتائج سر المسحة

إن نتائج سر المسحة غير المنظورة هي قبول الروح القدس ومواهبه التى أشار اليها أشعياء النبي بقوله « ويحلّ عليه روح الرب روح الحكمة والفهم ، روح المشورة والقوة ، روح المعرفة ومخافة الرب » (اش ١١ : ٢)

(أولاً) يمنحنا هذا السر انارة العقل والمعرفة وقد أشار يوحنا الرسول الى ذلك بقوله « أما أنتم فلكم مسحة من القدوس وتعلمون كل شيء . . . وأما أنتم فالمسحة التى أخذتموها منه ثابتة فيكم ولا حاجة بكم

http://coptic-treasures.com

الى أن يعلّمكم أحد بل كما تعلّمكم هذه المسحة عينها عن كل شيء وهى حق وليست كذباً كما علّمتكم تثبتون فيه » (١ يو ٢ : ٢٠ — ٢٧) وقال القديس كيرلس الأورشليمى « هذه المسحة إحفظوها طاهرة لأنها تعلّم كل شيء اذا لبثت فيكم كما سمعتم أقوال يوحنا المغبوط الذى قال أقوالاً حكمية كثيرة في هذه المسحة لأن الروح القدس حرز للجسد وخلاص للنفس » (فى الاسرار عظة ٣ : ٧)

(ثانياً) يمنحنا تقوية الارادة فى العبادة وفي مخافة الرب حسب قول بولس الرسول « ولكن الذى يثبتنا معكم فى المسيح وقد مسحنا هو الله الذى ختمنا أيضاً وأعطى عربون الروح فى قلوبنا » (٢ كو ١ : ٢١ و ٢٢) وعن ذلك قال القديس كيرلس الأورشليمى « بعد ذلك يمسحكم على صدوركم لكى تلبسوا درع العدل وتثبتوا لدى حيل الشيطان . وكما أن المسيح بعد المعمودية وحلول الروح القدس خرج وحارب المعاند ، هكذا أنتم بعد المعمودية المقدسة والمسحة السرية تثبتون لدى القوة المضادة لابسين سلاح الروح القدس الكامل وتحاربونها قائلين : إنى أستطيع كل شيء فى المسيح الذى يقويني » (فى الأسرار ٣ : ٤)

(٢) عدم اعادة السر

وبما أن هذا السر يطبع فينا ختم موهبة الروح القدس كما قال بولس الرسول (٢ كو ١ : ٢٢) فقد أعتبر منذ القديم مثل المعمودية لا يُتمم للانسان إلاّ مرة واحدة .

http://coptic-treasures.com

(٣) هو اتمام السر

إن الكنيسة الارثوذكسية تُعلّم أن تكريس سر الميرون هو من حق الأساقفة فقط ، أما اتمامه فلا يختص بالأساقفة وحدهم بل بالقسوس أيضاً . فقد ورد في أوامر الرسل « أيها الأسقف أو القس قد رتّبنا سابقاً والآن نقول . . . . ينبغي أن تدهن أولاً بزيت ثم تعمد بماء وآخيراً تختم بالميرون » والقديس امبروسيوس يؤكد أن مسحة الميرون تتم من القس وأنه عند مايصلي يحل الروح القدس وقال « فعندما تتقدم بعد هذا (أي بعد المعمودية) إلى الكاهن، تأمل ماذا يتم . أليس ما قاله داود: مثل الدهن على الرأس النازل على اللحية لحية هرون ، هذا هو الميرون الخ » (فى الأسرار فصل ٧) وقال القديس يوحنا ذهبي الفم « لأنهم (أي الأساقفة) يعلون على القسوس بالشرطونية وحدها فقط ، وبها وحدها يظهر أنهم يسمون عليهم » (مقالة ١٠ : ١ على ١ تى) وقال القديس ايارونيموس « ما الذى يصنعه الأسقف ولا يصنعه القس غير الشرطونية » (رسالة١٤٥:١)

اما استناد الذين يقولون إن حق المسحة للأساقفة وحدهم على بناء ما جاء فى (اع ٨ : ١٤ ـ ١٦) من جهة إرسال بطرس ويوحنا إلى أهل السامرة لوضع أيديهما عليهم لحلول الروح القدس ، فهذا لأن فيلبس الذى عمّدهم كان شماساً ولم يكن قساً ، ولذلك قال يوحنا ذهبي الفم « لماذا لم يكن هؤلاء السامريون قد نالوا الروح القدس بعد التعميد ؟ إما لأن فيلبس لم يمنحهم إياه إعتباراً للرسل على رأي بعضهم . وإما لأنه لم تكن له هذه السلطة بما أنه كان واحداً من الشمامسة السبعة وهذا هو الأرجح » (مقالة ١٨ : ٣ على سفر الأعمال)

http://coptic-treasures.com

سر الشكر أو الأفخارستيا

الفصل الاول

(١) تعريف السر وسموه على باقي الاسرار

سر الشكر هو سر مقدس به يأكل المؤمن جسد المسيح الاقدس، ويشرب دمه الزكي تحت أعراض الخبز والخمر. ولهذا السر المقام الأسمى بين الأسرار السبعة المقدسة:—

(اولاً) لغزارة نعمه وسموّه عن الادراك، لأن النعمة بواسطة باقي الأسرار تفعل بحالة غير منظورة تحت مادة منظورة وتلبث تلك المادة غير متغيرة ولا مستحيلة، أما في هذا السر الأقدس فيستحيل جوهر المادة لأن الخبز والخمر مع حفظهما شكليهما وأعراضهما يستحيلان بوجه سريّ عجيب الى جسد المسيح ودمه

(ثانياً) لفرط محبة ربنا يسوع المسيح التي أظهرها في هذا السر، وسمو المواهب التي يهبها لنا بتناوله، فان المخلص له المجد يمنح المؤمنين بواسطة باقي الأسرار بعضاً من مواهبه الخلاصية بحسب طبيعة كل سر منها، ولكنه في سر الشكر يقدم لنا ذاته غذاء مقدساً، بتناوله نتحد به إتحاداً تاماً ونثبت فيه الى الأبد

(ثالثاً) لأن كل سر من الأسرار يفعل في الشخص الذي يقبله، ولكن سر الشكر فضلاً عن كونه اكثر سموّاً عن الأدراك وأكثر

http://coptic-treasures.com

خلاصاً بين الأسرار ، فهو أيضاً ذبيحة تقدم لله كفارة عن الجميع أحياءً وأمواتاً

(٢) أسماء السر

وقد سُمي هذا السر منذ القديم بأسماء متعددة فدُعي « سر الشكر » و « العشاء الربانى » و « العشاء السرى » و « العشاء الالهي » و « مائدة الرب » و « مائدة المسيح » و « المائدة المقدسة » و « والمائدة السرية » و « سر المذبح » و « خبز الرب » و « خبز الله » و « الخبز السماوى » و « الخبز الجوهرى » و « جسد المسيح » و « الجسد الربانى والخلاصي والمقدس » و « دم المسيح » و « الدم الكريم » وسُمي أيضاً « شركة » و « اتحاداً » و « كأس الحياة الخلاصية » و « الأسرار المقدسة » و « الأسرار الالهية » و « الأسرار المخوفة السموية » و « الذبيحة المقدسة السرية » وهكذا من الأسماء الرهيبة

(٣) الوعد بهذا السر المقدس

قد شاء مخلصنا له المجد أن يهيء الناس لقبول هذا السر السامي قبل تأسيسه بزمن ، فوعدهم به وأوضح لهم طبيعته وضرورته وقوته . وقد أنبأنا بذلك القديس يوحنا الانجيلى فى الأصحاح السادس بعد ما صنع الرب معجزة إشباع الخمسة آلاف رجل من خمسة أرغفة وسمكتين . فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا إن هذا هو بالحقيقة النبيّ الآتى إلى العالم . وأما يسوع فاذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكاً إنصرف أيضاً إلى الجبل وحده . ولما تبعه الناس وأتوا اليه أراد أن يجذب

http://coptic-treasures.com

أفكارهم فوعدهم بتأسيس هذا السر المقدس ، وأخذ ينقل أفكارهم من القوت الجسدي الى القوت الروحى غير الفاسد ، فقال لهم « أنتم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم . إعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الانسان ، لأن هذا الله الآب قد ختمه » ولما قالوا له « اباؤنا أكلوا المنّ فى البرية كما هو مكتوب أنه أعطاهم خبزاً من السماء ليأكلوا » قال لهم يسوع « الحق الحق أقول لكم ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء . لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له ياسيد أعطنا فى كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع أنا هو خبز الحياة ، من يقبل الىّ فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبداً » ولما تذمروا من كلامه قال لهم « آباؤكم أكلوا المنّ فى البرية وماتوا . هذا هو الخبز النازل من السماء لكى يأكل منه الانسان ولا يموت . انا هو الخبز الحى الذي نزل من السماء ، إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد ، والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذي أبذله من أجل حياة العالم » . ولما خاصم اليهود بعضهم بعضاً قائلين كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل عاد فأكّد لهم كلامه قائلاً « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم ، من يأكل جسدى ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ، لأن جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق . من يأكل جسدي ويشرب دمي يثبت فىّ وأنا فيه . كما أرسلنى الآب الحي وأنا حي بالآب فمن يأكلنى فهو يحيا بى . هذا هو الخبز الذي نزل من السماء ليس كما اكل آباؤكم المن وماتوا . من

http://coptic-treasures.com

عن التأويلات . فالسيد المسيح له المجد أمر تلاميذه قائلاً « خذوا هذا هو جسدي وهذا هو دمي » فمَن يقدر أن يغيّر كلامه او يدخل فيه نوعاً من المجاز ويقول إنه شبه جسده أو رسم جسده أو رمز الى جسده . وإذا كانت الأوامر الملكية تُقبَل كنصها الظاهر ولا يدخلها التأويل والمجاز فكيف يجوز للانسان أن يؤول أوامر الله ويحولّها من الحقيقة إلى المجاز . فلو صّح ذلك لأصبحت كل أوامره مجازية وقابلة للتأويل وبالتالى أمكننا أن نفسر كل شيء حسب غرضنا . وليس من يقول بذلك

ولنرجع الآن الى تلك الأوقات والظروف التى فيها وعد السيد بهذا السر وظروف تأسيسه لنرى هل كان كلام السيد مجازاً أم حقيقة : —

(أولاً) إن اليهود أنفسهم الذين خاطبهم السيد بتلك الأقوال قد فهموها فهماً حرفياً لا رمزياً ولا مجازياً . لأنهم عند ما سمعوه يقول « انا هو الخبز الحي الذى نزل من السماء إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد والخبز الذي أنا أعطي هو جسدي الذى أبذله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٢٧ ـ ٦٩) إبتدأوا يتخاصمون ويتساءلون فيما بينهم لعدم إمكانهم فهمه . وقالوا ـ كما يقول المعترضون اليوم ـ كيف يستطيع هذا أن يعطينا جسده لنأكله . فلولم يفهموا كلام السيد فهماً حرفياً لما كان محل لهذا الأعتراض ولا وجد داع لهذا الخصام

(ثانياً) إن الرب يسوع كان من عادته متى تكلم عن أمر ورأى أن اليهود قد فهموه على غير المقصود، يبادر له المجد ويوضح لهم المعنى الحقيقى ويرفع من أمامهم كل إبهام (راجع يو ٣ : ٣ ـ ٥ ، ٤ : ٣٢ ، ٨ : ٢١ ـ ٤٠ ، ١١ : ١١ ، ١٦ : ١٨ ، مت ١٦ : ٦ ، ١٩ : ٢٤) فلو رأى الرب

http://coptic-treasures.com

يأكل هذا الخبز فانه يحيا إلى الأبد » حتى أن كثيرين من تلاميذه قالوا إن هذا الكلام صعب، من يقدر أن يسمعه . فقال لهم يسوع « أهذا يعثركم. فان رأيتم ابن الانسان صاعداً الى حيث كان اولاً » . ومن هذا الوقت رجع عنه كثيرون من تلاميذه لعدم احتمالهم هذا الكلام . فقال المسيح لتلاميذه الاثنى عشر ألعلكم انتم أيضاً تريدون أن تمضوا . فأجابه سمعان بطرس يارب الى من نذهب . كلام الحياة الأبدية عندك ، ونحن قد آمنا وعرفنا أنك انت المسيح ابن الله الحي

بهذا الكلام وبهذا الوعد قد هيأ الرب تلاميذه لقبول هذا السر، حتى أنه عند تأسيسه وتسليمه لهم ليلة آلامه قبلوه ولم يظهر أحد منهم أدنى إشارة للشك فى حقيقته ولا سألوه شيئاً بخصوصه لأنهم كانوا متأهبين لقبوله

(٤) تأسيس السر فى ليلة الآلام

وكما شاء الرب أن يهيء تلاميذه لقبول هذا السر ، هكذا سُرّ وأرتضي أن يؤسسه ويسلّمه لهم فى ظروف هامة . فانه له المجد لما قرب عيد الفصح الذى كان أعظم أعياد اليهود وكان رمزاً الى حمل الله الذى يرفع خطايا العالم ، وجاء الوقت الذي فيه يقدم المسيح نفسه ذبيحة لله أبيه لأجل خلاصنا . ففى ذلك الوقت قبل أن يقدم اليهود فصحهم بيوم واحد أرسل الرب اثنين من تلاميذه إلى أورشليم ليعدّا الفصح . وفى الليلة التى فيها أسلم حضر مع تلاميذه الاثني عشر إلى علية صهيون وهناك غسل أرجل تلاميذه معلّماً إياهم التواضع ثم سلمهم سر جسده ودمه الأقدسين كما يقول القديس متى الانجيلي « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك

http://coptic-treasures.com

وكسّر وأعطى التلاميذ وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً إشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمي الذي للعهد الجديد الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » (مت ٢٦ : ٢٦ ـ ٢٨) وقد كتب بولس الرسول قائلاً « لأني تسلّمت من الرب ما سلّمتكم أيضاً أن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسّر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدى المكسور لأجلكم إصنعوا هذا لذكري . كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي إصنعوا هذا كلما شربتم لذكري ، فانكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء . إذاً أيّ من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه . ولكن ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب . من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون »(١ كو ١١ : ٢٣ ـ ٣٠)

الفصل الثاني

(١) ايمان الكنيسة الارثوذكسية فى هذا السر

إننا نؤمن أنه بعد تقديس سر الشكر واستدعاء حلول الروح القدس على القرابين يستحيل الخبز والخمر إستحالة سرية الى جسد المسيح ودمه الأقدسين . حتى أن الخبز والخمر اللذين ننظرهما على المائدة ليسا خبزاً

http://coptic-treasures.com

أن اليهود أخطأوا فى فهمهم كلامه وقصده لاوضح لهم ذلك وابان لهم أنه يتكلم مجازياً ورمزياً . ولكنا نرى الأمر بالعكس فانه أخذ يردف كلامه بالأقوال المتكررة المشددة ، ويزيد الكلام قوة وإيضاحاً للمعنى الحرفي قائلا « الحقّ الحقّ أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الاخير . لأن جسدى مأكل حق ودمي مشرب حق » (يو ٦ : ٥٣ — ٥٥) فنلاحظ هنا :—

(١) إنه بدأ كلامه بقوله « الحقّ الحقّ » التى كان معتاداً أن يبدأ بها عندما يقصد ايضاح حقيقة من الحقائق وزيادة تأكيدها (٢) إنه يفرض الشركة فى جسده وفى دمه أمراً ضرورياً للحصول على الحياة الأبدية بقوله « إن لم تأكلوا . . . فليس لكم حياة فيكم . . . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية » (٣) إن كلمة « حق » فى قوله جسدى مأكل حق ودمي مشرب حق ، تشهد بأن موضوع التأكيد فى كلامه غير قابل للتغيير إلى معنى آخر غير معنى الجسد

(ثالثاً) إن تلاميذ المسيح قد فهموا هذا المعنى الحرفي ولذا ضاق فكرهم ولم يستطيعوا فهمه ، فطفق كثيرون منهم يتذمرون قائلين « إن هذا الكلام صعب من يقدر أن يسمعه » (يو ٦ : ٦٠) ولذلك أخذ المسيح يقنعهم بامكان شركتهم فى جسده ودمه مؤيداً كلامه بآية أخرى وهي صعوده إلى السماء حيث كان أولاً . وكان يأتي بهذا البرهان كلما اقتضى الحال إقامة برهان يدل على أقتداره

(رابعاً) إن كثيرين من تلاميذه رجعوا عنه لأنهم لم يقدروا أن

http://coptic-treasures.com

وخمراً بسيطين بل هما جسد الرب ذاته ودمه ذاته تحت شكلي الخبز والخمر. ونؤمن أن ربنا يسوع المسيح حاضر فى هذه الخدمة لا بوجه الرمز أو الاشارة أو الرسم أو الصورة أو المجاز. ولا بأنه مستتر في الخبز بل هو حاضر حضوراً فعلياً. وهذا الايمان هو إيمان الكنيسة كلها شرقاً وغرباً منذ ابتدائها. لأن الرسل الأطهار تسلّموا هذا الايمان وسلموه لجميع المؤمنين فى كل المسكونة. وظلّ هذا السر يمارس فى جميع الكنائس على هذا الايمان إلى الآن والى الأبد

(٢) الذين أنكروا حقيقة هذا السر

وحتى القرن الثامن لم يقم من يقاوم حقيقة هذا السر الأقدس، مع أنه قام كثيرون من الهراطقة وقاوموا أكثر التعاليم اللاهوتية. ولكن فى القرن التاسع قام يوحنا اريجانا الارلندى وأبتدع بدعة بأن هذا السر لا يحوى جسد المسيح ودمه حقيقة، زاعماً أن الأفخارستيا ليست إلاّ صورة يسوع المسيح. وفى هذه الهرطقة عينها وقع برنغاريوس رئيس مدرسة تورس بفرنسا في القرن الحادي عشر آخذاً هذا التعليم من كتاب اريجانا المذكور. وفى القرن الثاني عشر كان البطروبروسيون (تلاميذ بطرس دى بريز بفرنسا) واتباع هنريكوس الايطالى يعلّمون هذه الضلالة ايضاً قائلين إن سر الشكر ليس إلاّ إشارة محضة إلي جسد المسيح ودمه. وفى هذا الضلال وقع أيضاً الهراطقة المعروفون باسم الالبيجنسيين في القرن الثالث عشر. ثم نشر هذه المزاعم آخيراً يوحنا ويكلف الانجليزى وزوينكل وكلفن وتلاميذهم، الذين ينكرون حضور الرب يسوع فى هذا السر ويعلّمون أن الخبز والخمر

http://coptic-treasures.com

يلبثان بعد التقديس خبزاً بسيطاً وخمراً بسيطة ، وليسا هما سوى إشارة وصورة ورمزاً ومثالاً ومجازاً لجسد المسيح ودمه

أما أتباع لوثيروس فانهم يخالفون تلك الآراء ويعتقدون بحقيقة حضور الرب يسوع المسيح فى سر الشكر ، غير أنهم يزعمون أن حضوره إنما هو بواسطة دخوله فى الخبز والخمر اللذين يلبثان غير متغيرين ولا مستحيلين ، وفي ذلك قال لوثيروس « إن جسد المسيح هو فى الخبز مع الخبز تحت الخبز » ولكن الكنيسة الارثوذكسية تنكر وترفض كل هذه الآراء والمزاعم من أساسها

الفصل الثالث

اثبات صحة الحقيقة الارثوذكسية فى هذا السر

إن الكنيسة الأرثوذكسية قبلت هذا السر وما زالت تقبله مفسرة كلام المسيح على حقيقته تفسيراً حرفياً . ومن الأدلة الآتيه يتضح لك صحة هذا الايمان وخطأ الذين يزعمون بأن هذا الكلام رمز أو مجاز : —

(اولاً) إن كلام المسيح له المجد فى هذا السر يتضمن ثلاث قضايا أساسية أيجابية وهي الشهادة ، والميثاق ، والأمر . فالشهادة الصحيحة في سائر الأحكام الشرعية محكوم بها على حسب نطقها الصريح . ولا يدخلها المجاز ولا تقبل التأويل . وبمقتضاها يتبرر الانسان أو يُحكم عليه ، وإذا دخلها شيء من المجاز أو التأويل أو لم تكن متوفرة الشروط المعتبرة فانها تُرفض ولا يُحكم بموجبها . وكما قال القديس يوحنا الرسول « إن كنّا نقبل شهادة الناس

http://coptic-treasures.com

يفهموا كلامه وأستصعبوا الأمر ، فلو لم يكن المسيح يريد جسده الحقيقي ودمه الحقيقي ، بل يقصد الرمز إلى جسده ـ كما يتوهم البعض الآن ـ لكان فسّر لهم ذلك ولم يدع هؤلاء التلاميذ ينفصلون عنه ، وهو الذى يريد أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون

(خامساً) إن السيد المسيح سلّم هذا السر الأقدس فى ليلة آلامه لتلاميذه وأخصائه وأصفيائه الذين قال لهم انتم أصدقائى ، ونطق بكلامه فى برهة لم يكن يتكلم فيها بأمثال وألغاز ورموز ومجازات ، بل تكلم صريحاً وعلناً لأنها الساعة الأخيرة من حياته . ومن المعلوم أن الانسان فى مثل هذه الساعة يفتح قلبه لاصدقائه ويبين لهم ما يريده بكل إيضاح لا بألغاز ولا بمجاز . فهل يليق بالمسيح أن يأتي فى مثل هذه الظروف الحرجة التى لاتسمح للانسان إلاّ أن يوضح كلامه بكل صراحة ويستعمل المجاز والرمز ؟

(سادساً) إن جميع آباء الكنيسة شرقاً وغرباً قد فهموا هذا الكلام وقبلوه بمعناه الحرفي . وكذلك فسّرته المجامع . فلو فرضنا فرضاً مستحيلاً بأن المسيح قصد بكلامه المعنى الرمزى لا المعنى الحرفى ، فهل ياترى خدع المسيح تلاميذه الذين فهموا الكلام حرفياً ، والتلاميذ خدعوا الكنيسة كلها التى فهمت هذا الفهم عينه ؟ ومن يتجاسر ويقول ذلك؟ ومن يستطيع ان يغيّر الكلام الذى يقوله الله؟ .قال الرسول «فماذا إن كان قوم لم يكونوا أمناء . أفلعلّ عدم أمانتهم يبطل أمانة الله . حاشا . بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً (رو ٣ : ٣ و ٤)

(سابعاً) إن عبارة « أكل اللحم » فى الكتاب المقدس اذا وردت بمعنى رمزي فانها تدل على الوقيعة والسعاية والمذمة وعمل الشر (راجع مز ٢٦ :

http://coptic-treasures.com

فشهادة الله أعظم » (١ يو ٥ : ٩) فالسيد المسيح شهد لجسده بأنه مأكل حق ولدمه بأنه مشرب حق . ونظير هذه الشهادة شهد لأبيه قائلاً « كلامك هو حق » وشهد الآب لابنه قائلاً « هذا هو ابني الحبيب الذى به سررت » فمَن الذى يتجاسر وينكر شهادة المسيح . فاذا كانت شهادة المسيح لجسده مجازية تكون شهادة الآب لابنه مجازية وهذا كفر لا يقول به أحد من المسيحيين

أما الميثاق فهو عبارة عن عقد معاهدة بين اثنين فصاعداً . وحكمه كحكم الشهادة بالتمام . لأن المواثيق يحكم بمقتضاها فى سائر الأحوال الشرعية على حسب شروط المتعاقدين ويستحيل إدخال أقوال فى شروطها من قبيل المجاز أو أى قول يقبل التأويل . والشرط الذى يوجد فيه شيء من ذلك يُرفض ولا يصح أن يكون ميثاقاً . لأن ذلك يوجب وقوع الاشكال والتنازع بين المتعاقدين وفى هذه الحالة يؤول كل من المتعاقدين الكلام بحسب غرضه فيتعذر صحة الحكم . وإن لم تكن المواثيق متوفرة الشروط المعتبرة لا تُعتبر وتكون ملغاة لا عمل لها . وبحسب هذه القاعدة نرى المخلص له المجد فى كلمات العهد الجديد قرر ميثاقاً أبدياً عاقدنا به بقوله « من لم يأكل جسدى ويشرب دمي فليس له حياة أبدية » ونظير ذلك قرر أن « من لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يعاين ملكوت الله » « ومن لم يؤمن يدن » فاذا كان ميثاق السيد المسيح عن جسده مجازاً تكون كل عهوده ومواثيقه مجازية لا حقيقة فيها وهذا ضلال كبير

أما الأمر فشرطه أن يكون صريحاً خالياً من كل أبهام غير قابل تأويل والمجاز لأنه لو قبل ذلك لتوقف عمله . والأوامر الألهية منزهة

http://coptic-treasures.com

٢ ، أى ١٩ : ٢٢ ، مي ٣ : ٣ ، غل ٥ : ١٥) ولا تدل فى الكتاب على غير هذا المعنى فمن أراد أن يفسر كلام المسيح عن أكل جسده بهذا المعنى الرمزى يسقط فى اشنع تفسير

(ثامناً) إن قرائن الأحوال تدحض رأي المعترضين الذين يفسرون كلمة « أكل الجسد » بمعنى الاتحاد والاشتراك الروحي مع المسيح وبالتالى الايمان به . إذ يُرد عليهم بأن المسيح كان يتكلم وقتئذ مع سامعيه ، ويعدهم بطعام جديد لم يذوقوه إلى ذلك الوقت وأنه مزمع أن يعطيه لهم فى المستقبل « الخبز الذي انا أعطي هو جسدي » فلو كان يشير الى الايمان به لا إلى جسده لوجب أن نصدق أن جميع تلاميذه الى ذلك الحين لم يكونوا قد آمنوا به ، على أن ظروف الأحوال ونفس الكلمات التى كررها المسيح تنفى هذا الزعم الباطل

(تاسعاً) إذا التفتنا إلى كلام الانجيليين نجد فيه الأدلة القوية التى تزيل كل ريب ، حيث أن القديسين متى ومرقس ولوقا يوضحون المعنى بكلام صريح العبارة ، لا رمز ولا مجاز فيه ، وبولس الرسول الذى لم يكن حاضراً هذا السر وتسلّمه فيما بعد يقول لأهل كورنثوس « أقول كما للحكماء . احكموا انتم فى ما اقول . كأس البركة التى نباركها أليست هي شركة دم المسيح . الخبز الذى نكسره اليس هو شركة جسد المسيح » (١ كو ١٠ : ١٥ و ١٦) فمن هذا الكلام يتضح

« ١ » إننا نشترك فى جسد المسيح ودمه بواسطة اشتراكنا فى الخبز وفى الكأس .

« ٢ » إن الذي نشترك فيه هو جسد الرب ذاته لأن من يتناوله بدون

http://coptic-treasures.com

استحقاق يكون مجرماً فى جسد الرب . فاذا لم يكن هو جسد الرب ذاته فكيف يكون الانسان مجرماً فيه ؟ هل يعطينا الله حجراً ويطالبنا بجوهرة وهل يعطينا خبزاً بسيطاً ـ كما يقول المعترض ـ ويطالبنا بجسده ؟ لذلك تهدد الرسول الذين يتناولون بدون أستحقاق قائلاً « لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميز جسد الرب ». وأخيراً أتى الرسول بالأدلة المحسوسة على أن الذين يقتربون من تلك الأسرار بدون استحقاق يقعون فى الأمراض وفى الموت بقوله « من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون . لأننا لو كنا حكمنا على أنفسنا لما حُكم علينا »(١ كو ١١ : ٢٩ ـ ٣١) . وقد أخبر القديسان كبريانوس ويوحنا ذهبى الفم فى أيامهما أن بعضاً من الذين اكلوا ذبائح الأوثان ثم تقدموا إلى الأفخارستيا ، أختالتهم يد النقمة الالهية . فمنهم من بلي بالخرس . ومنهم من أكل لسانه . ومنهم من كان يُعذب بعذاب شديد إلى غير ذلك من البلايا التى حلّت عليهم

الفصل الرابع

اقوال آباء الكنيسة والمجامع وايمانهم بهذا السر

ذكرنا فى صحيفة ٩٠ أن جميع آباء الكنيسة شرقاً وغرباً قد فهموا كلام المسيح فهماً حرفياً ، وآمنوا إيماناً وثيقاً بحقيقة حضور الرب فى سر الشكر ، وأستحالة الخبز والخمر بعد التقديس إلى جسد الرب ودمه . ونكتفى هنا بايراد اقوال واعترافات اشهر آباء الكنيسة : —

http://coptic-treasures.com

قال القديس اغناطيوس عن الهراطقة « إنهم يبتعدون عن الأفخارستيا والصلاة لعدم اعترافهم بأن الأفخارستيا هي جسد مخلصنا يسوع المسيح الذى تألم لأجلنا والذى أقامه الآب بصلاحه » (رسالته إلى أهل أزمير ٧)

وقال القديس يوستينوس الفيلسوف الشهيد « لأننا لا نتناولهما بمثابة خبز عادي ولا بمثابة مشرب عادي ، لكن كما أنه بكلمة الله لما تجسد يسوع المسيح مخلصنا قد أتخذ لأجل خلاصنا لحماً ودماً ، هكذا تعلمنا أن الغذاء الذي شكر عليه بدعاء كلامه وبه يغتذى لحمنا ودمنا بحسب الاستحالة هو لحم ودم ذاك المتجسد » (إحتجاج ١ : ٦١)

وقال القديس ايريناوس عن الهراطقة « كيف يستطيعون أن يزكنوا أن الخبز الذي عليه تمّ الشكر هو جسد الرب ، وأن هذه الكأس هي كأس دمه ، ما لم يفهموا أنه هو ابن صانع العالم » (ضد الهراطقة ٤ : ١٨ : ٤و٥)وقال أيضاً « لو كانوا يتناولون الكأس وهي ممزوجة بالماء ويتناولون الخبز وهو معدّ ككلمة الله ذاته ، ولو كانت لهم هكذا شركة الخبز والخمر سرّ شكر جسد المسيح ودمه اللذين يغذيان ويثبتان وجود جسدنا ، فكيف يستطيعون أن يقولوا إن هذا الجسد الذى يغتذي من جسد المسيح ودمه لا يشترك بموهبة الله الذى هو الحياة الأبدية » (ضد الهراطقة ٥ : ٢ ، ٤ : ١٧ : ٥ ، ٢٣ : ٢)

وقال القديس كيرلس الأورشليمي « لكونه هو نفسه تكلم وقال عن الخبز هذا جسدي فمَن يجسر بعد ذلك أن يرتاب ؟ ولكونه هو نفسه ثبّت وقال هذا هو دمي فمَن يتوهم أو يقول أنه ليس دمه ؟ لأن الذى حوّل وقتاً ما الماء إلى خمر في قانا الجليل بإشارته أفليس مصدّقاً اذا قال إنه

http://coptic-treasures.com

حوّل الخمر إلى دم، وقد دُعي إلى عرس جسدي فصنع فيه تلك العجيبة الفائقة . فكيف لا نعترف له أنه بالأحرى منح بني العرس التمتع بجسده ودمه؟ فلنتناولهما إذن باليقين التام أنهما جسد المسيح ودمه . لأنه برسم الخبز يُعطى لك الجسد ، وبرسم الخمر يُعطى لك الدم ، لكي بتناولك من جسد المسيح ودمه تصير متحداً معه جسداً ودماً . لاننا بهذه الحالة نصير لابسي المسيح ، أي بامتزاج جسده ودمه في أعضائنا وبهذه الواسطة نصير مشاركي الطبيعة الالهية كما يقول بطرس المغبوط . فلا تنظر اذن الى الخبز والخمر كأنهما عاديّان، إذ هما جسد ودم حسب القول السيدي . لأنه وإن كان الحس يظهرهما لك عاديّين لكن الايمان يحقق لك أنهما جسد ودم . فلا تحكم إذن بحسب الذوق الحسي بل تحقق من الايمان وتأكد بلا ارتياب أنك قد أهلت لجسد المسيح ودمه » (في الأسرار ٤ : ١ و ٢ و ٣ – ٦)

وقال القديس يوحنا ذهبي الفم « كم منكم يقول الآن ليتني كنت أرى هيئة الرب وشكله وملابسه . فها أنت تنظره وتلمسه وتأكله هو نفسه ، وانت تشتهي أن ترى ملابسه مع أنه هو يعطيك ذاته ، لا لتراه فقط بل لتلمسه أيضاً ولتأكله ولتأخذه في داخلك ، فلا يتقدم أحد غافلاً ولا متراخياً ، بل فلنبادر جميعنا بحماسة وحمية ونهضة . . . ويجب أن نكون من كل جهة ساهرين ، لأن القصاص المعدّ للمشتركين على خلاف الأستحقاق ليس صغيراً . تفطّن كم انت تتمرمر من الذي خانه والذين صلبوه . فاحترس إذن من أن تصير أنت أيضاً مجرماً لجسد المسيح ودمه . فان اولئك قد ذبحوا الجسد الكلي قدسه ، وأما انت فتقتبله حينئذ بنفس دنسة بعد إحسانات كثيرة جداً . لانه لم يكتفِ بأن

http://coptic-treasures.com

يصير أنساناً ويُضرب ويُذبح عنّا بل أن يمزج ذاته فينا ، لا بالايمان فقط بل بالفعل أيضاً ، جاعلاً ايانا جسداً له . فأي شيء ينبغي أن لا يكون أقل نقاوة من الذى يتمتع بهذه الذبيحة . وأي شعاع شمسي يجب أن لا يكون أقل بهاء من اليد التى تقطع هذا الجسد ، والفم الذى يمتلىء من النار الروحانية ، واللسان الذى يصطبغ بالدم المخوف ؟ فتأمل الكرامة التى قد كرمتها والمائدة التى تتمتع بها . إن الذي تنظر اليه الملائكة وترتعد ولا تجسر أن تحدق به بلا خوف من البرق الساطع منه،هذا نفسه نحن نغتذى به وبه ننعجن وقد صرنا جسداً واحداً للمسيح لحماً ودماً . من يتكلم بعظائم الرب ويجعل تسابيحه مسموعة . أيّ راعٍ يغذي خرافه بأعضائه . ومالي أذكر الراعي . كثيراً ما دفعت أمهات أولادهن بعد أوجاعهن الى مرضعات أخر ، وهو لم يطق أن يفعل ذلك ، بل شاء هو نفسه أن يغذينا بدمه ويجعلنا مرتبطين ومتحدين بذاته بكل الوسائط » (تفسير متى مقالة ٨٢ : ٤ و ٥)

وقال القديس امبروسيوس « هذا الجسد الذى نقدمه فى سر الشكر قد جاء من البتول . ولماذا تبحثون هنا وتطلبون العمل الطبيعي والموضوع هو جسد يسوع المسيح . أفلم يولد الرب نفسه من البتول بحالٍ تفوق الطبيعة . هذه هي بشرة يسوع المسيح المصلوبة والمدفونة . فهذا هو إذن سر الجسد بعينه بكل الحقيقة » فى (الأسرار ٩ : ٥٣ ، ٨ : ٣٧ و ٤٨)

والخلاصة أن هذا الايمان هو إيمان جميع الآباء فى كل عصر منذ نشأت الكنيسة حتى الآن وتجد هذا التعليم فى مؤلفات القديس اكليمنضس الاسكندرى (كتاب المربي ١ : ٦١ ، ١١ : ٥) والعلامة

http://coptic-treasures.com

الفصل السادس

ادحاض الاعتراضات على هذا السر

إن بعض الفرق المسيحية الذين لا يؤمنون بهذا السر الأقدس يعترضون على تعليم الكنيسة فى شأنه ببعض اعتراضات نذكر هنا أهمها مع الرد عليها وهى : —

(أولاً) يزعمون بأن الخبز والخمر فى هذا السر ما هما إلاّ مثال ورمز لجسد المسيح ودمه .

ولدفع هذا الاعتراض نقول : جاء فى كتاب القواعد السنية فى تفسير الأسفار الالهية تأليف القس جيمس أنس الأمريكانى (صحيفة ١٦٢) ما يأتى : « إن الرمز هو ما عيّنه الله إشارة إلى أمر أعظم منه عتيد أن يكون فى نظام ملكوته سُمي المرموز إليه . وهذا الحد يتضمن ثلاثة شروط (الأول) وجود إشارة حقيقية فى الرمز إلى المرموز إليه وهي مبنية إما على مشابهة خارجية أو داخلية روحية . و(الثانى) تعيين الرمز من قِبَل الله للاشارة إلى المرموز اليه . وهذا التعيين من باب الاستعداد لاظهار المرموز إليه فى حينه . و(الثالث) إن المرموز إليه يكون من الأمور المتعلقة بمستقبل ملكوت الله » فاذا طبقنا هذا التعريف على ما نحن بصدده ظهر الفرق الواضح بين الرمز وبين هذا السر الذى وضعه السيد للعهد الجديد

قال الطيب الذكر المرحوم عريان مفتاح فى رده على هذا الاعتراض « المثال والرمز لا بد أن يكون بينهما وبين الممثل به والمرموز اليه تناسب

http://coptic-treasures.com

ترتوليانوس فى (كتابه ضد مركيون ٥ : ٨) وديوناسيوس الاسكندري في (مجموع القوانين) والقديس باسيليوس فى (رسالته ٩٣) والقديس ابيفانيوس والقديس كيرلس الاسكندرى فى (تفسيره يوحنا ٢٠ : ٣٧ وضد نسطور ٤ : ٥ : ٦) وغيرهم من الآباء

وكذلك ترى هذا التعليم واضحاً فى إقرار المجامع فقد ورد فى قرارات المجمع المسكوني الأول « لا ينبغي أن ننظر على المائدة المقدسة إلى الخبز والكأس كأنهما مقدمان على بسيط الحال ، بل يجب أن نرفع الروح فوق الحواس، ونتفهم بالايمان أن حمل الله الرافع خطية العالم يستريح ههنا مذبوحاً من الكهنة ،وأنهم يتناولون جسد الرب نفسه ودمه الكريم نفسه اللذين نؤمن بأنهما رسوم لقيامتنا »

وقد ثبّت المجمع الثالث المسكوني رسالة القديس كيرلس بطريرك الاسكندرية إلى نسطور ، وهذه الرسالة كتبت من قبل مجمع اسكندرية المكاني وجاء فى نصها هذه العبارة وهي « إننا ننادي بأن ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح مات بالجسد ، ونقر بقيامته وبصعوده إلى السموات، فنتمم في الكنائس الذبيحة غير الدموية ، وهكذا نقترب من الأسرار المباركة ونتقدس إذ نشارك جسد يسوع المسيح مخلصنا المقدس ودمه الكريم . . . لكن لا ينبغى أن ننظر إلى جسده كما إلى جسد إنسان يماثلنا من كل الوجوه فى أهوائنا ، بل يجب أن نوقن أنه بالحقيقة جسد الذى قد صار وسُمي لأجلنا ابن الانسان نفسه » (مجمع أفسس جلسة ١ وكيرلس الاسكندري جزء ٥ قسم ٢)

http://coptic-treasures.com

ومما يجب ذكره هنا أن مرتين لوثر زعيم المصلحين عند ما كان يجادله أصحابه جدالاً عنيفاً فى هذا السر لم يخرج عن الاعتقاد الصحيح ولم يتحول عن فكره ، بل كان يكرر قول الرب « هذا هو جسدي » ويكتبها فى المحضر بخطه أمام الجميع رافضاً كل فلسفة بشرية ويقول « إني اصرح بأنى أختلف عن خصومي فى تعليم عشية الرب ، وأنى اختلف دائماً عنهم فان المسيح قد قال هذا هو جسدي ، فليبينوا لى أن الجسد ليس هو جسده . وإني أرفض العقل والعرف والاحتجاجات اللحمية والبراهين التعليمية فان الله أعلى من الهندسيات . عندنا كلام الله فيجب علينا أن نكمّله ونحترمه » (راجع تاريخ الأصلاح للعلامة ميرل روبينياه جزء ٢ صحيفة ٣٨٢ .)

الفصل الخامس

كيفية حضور الرب فى هذا السر ومعنى الاستحالة

مما تقدم يتضح جلياً ان التقدمة المقدسة لا تبقى بعد البركة خبزاً بسيطاً ولا خمراً بسيطة بل يتناولهما المؤمنون بأنهما جسد المسيح نفسه ودمه نفسه حسب قوله الطاهر . وذلك يتم باستحالة وانتقال الخبز إلى جسد المسيح ، والخمر إلى دمه وهذه الاستحالة سرّية لا تُدرك بالحواس ويتضح ذلك مما يأتى : —

http://coptic-treasures.com

معنوي يدل على صفته التى يقصد تمثيلها والرمز اليها ، والقياس على ذلك ذبح اسحق حين أمر الله أباه ابراهيم بأن يقدمه له قرباناً (تك ٢٢ : ١ – ١٨) فالتناسب المعنوي الذى بينه وبين المسيح هو أنه كان الابن الحبيب لأبيه ، ولما أراد أبوه أن يقدمه ذبيحة أطاع أباه حتى الموت وحمل الحطب الذى كان مزمعاً أن يُرفع عليه ، هكذا السيد المسيح فانه الابن الحبيب الوحيد للآب ولما سُرّ الآب أن يقدمه ذبيحة عن خطايا العالم أطاع حتى الموت وحمل صليبه . كذلك كان خروف الفصح الذى بلا عيب الذى كان يقدمه بنو أسرائيل رمزاً الى المسيح ، فكما أنه بواسطة ذبحه وإراقة دمه نجا بنو أسرائيل من الهلاك الزمني ، هكذا بسفك دم المسيح حَمَل الله الذى بلا عيب ، خلصنا من الهلاك الأبدي . وقس على ذلك باقي الرموز والمثالات التى وردت في العهد القديم . ولكن فى أكل خبز وخمر بسيطين – كما يزعم المعترض – لا نجد أدنى مناسبة معنوية لمثال موت المسيح لا فى الصورة ولا فى الصفة ولا فى الفعل ، خصوصاً وأن الرمز يستعمل لأشياء لم تظهر فى عالم الوجود بعد ، وبظهور المرموز إليه يبطل الرمز ، ونحن نعلم أن بمجيء المسيح له المجد بطلت الرموز التى كانت تشير وترمز إليه . قال بولس الرسول : « ان طريق الأقداس لم يظهر بعد ما دام المسكن الأول له إقامة الذى هو رمز للوقت الحاضر الذى فيه تقدم قرابين وذبائح لا يمكن من جهة الضمير أن تُكمّل الذى يخدم » (عب ٩ : ٨ و ٩) وقال « لأن الناموس إذ له ظل الخيرات العتيدة لا نفس صورة الأشياء » (عب ١٠ : ١) فيلزم هنا أن نقول إما أن السيد المسيح أتى وبمجيئه أكمل الرموز التى تقدمت عنه وأبطلها بوجوده وأن الذى قدمه السيد المسيح لتلاميذه هو حقيقة

http://coptic-treasures.com

(أولاً) من عبارات الكتاب الالهي التى أوردناها سابقاً ، فان الرب جل ذكره لما وعد بهذا السر قال « أنا هو الخبز الحي الذى نزل من السماء . إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا إلى الأبد . والخبز الذى أنا أعطي هو جسدي الذى أبذله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٥١) وحين سلم تلاميذه هذا السر قال « خذوا هذا هو جسدي . وهذا هو دمي » وبولس الرسول كتب إلى أهل كورنثوس يقول « كأس البركة التى نباركها أليست هي شركة دم المسيح . الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح » (١ كو ١٠ : ١٦) وقال « إذن أىّ من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه . ولكن ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميّز جسد الرب » (١ كو ١١ : ٢٧ ـ ٢٩) والحقيقة هنا واضحة من كل هذه النصوص وهي أن الرب والرسول يسميان الخبز جسد المسيح والخمر دم المسيح بأصرح عبارة . ولم يقل الكتاب إن جسد المسيح يكون فى الخبز ، أو مع الخبز ، أو تحت الخبز . ولم يقل السيد إنّ الخبز الذى أعطيه يكون فيه جسدي بل قال « الخبز الذى أنا أعطي هو جسدي »

(ثانياً) إذا راجعنا جميع كتب القداسات المستعملة فى كل الكنائس شرقاً وغرباً وهي قديمة جداً . نجدها كلها متفقة فى تضرعاتها على هذه الكلمات « ليحلّ روحك القدوس على هذه القرابين الموضوعة ويطهرها وينقلها ويظهرها قدساً لقديسيك . وهذا الخبز يجعله جسداً مقدساً له وهذه الكأس أيضاً دماً كريماً للعهد الجديد الذى له الخ » وهذا مايدل على إيمان

http://coptic-treasures.com

الكنيسة الجامعة الذى لم يتغير منذ القديم حتى الآن .

(ثالثاً) مما ورد في أقوال الآباء التى سبق ذكرها حيث وردت فيها كلمات « ينتقلان ، يتغيران ، يستحيلان » كما قال القديس غريغوريوس « إنني أعتقد وأقر بالحقيقة أن الخبز يستحيل اليوم أيضاً إذ يتقدس بالكلمة الالهية الى جسد الأله الكلمة » (تعليمه فصل ٣٧) والقديس امبروسيوس « كلما تناولنا القرابين المقدسة التى تتحول سرياً بالطلبة المقدسة إلى جسد المسيح ودمه نخبر بموت الرب » (فى الايمان ٤ : ١٠ : ١٢٤) والقديس افرام السريانى « إنكم تشتركون في جسد الرب الكلي قدسه بايمان كامل غير مرتابين بأنكم تأكلون الحمل كله » وقال فى موضع آخر « إن جسد الرب يتحد بجسدنا على وجه لا يُلفظ به ودمه أيضاً الطاهر يصب فى شرايينا وهو كله بصلاحه الأقصى يدخل فينا » (جزء ٣ : ٤٢٤)

عدم انقسام القدسات مع تفصيل اجزائها ووحدة السر

وان كان الجسد المقدس يُفصّل ويُقسّم فى سر الشكر ، ويوزّع على المؤمنين تحت شكلي الخبز والخمر اللذين بهما يصير الجسد والدم منظورين وملموسين ، إلاّ أنهما كاملان بذاتهما وغير منقسمين . ولهذا نؤمن أن كل جزء من الخبز ومن الخمر فى هذا السر الأقدس حتى أصغر الاجزاء منها ليس هو جزء من جسد المسيح ودمه ، بل ينال به المؤمن جسد المسيح كله ودمه كله

كذلك وإن كان سر الشكر يتمّم فى جميع كنائس المسكونة ، فجسد المسيح هو واحد ودمه واحد فى جميع الأمكنة والأزمنة ، والمسيح حاضر فيه بذاته . ولا يمكن ادراك وفهم ذلك إلاّ بالايمان . كما نؤمن أيضاً أن

http://coptic-treasures.com

لا رمز، وإما ان المسيح لم يأت بعد وان الذى فعل الرموز هو غيره وبذلك نكون مع اليهود منتظرين مجيئه (حاشا لله) »

(ثانياً) يزعمون أن كلام السيد المسيح عن جسده ودمه مجازي لا حقيقي، ويوردون بعض عبارات مجازية وردت في الكتاب كقوله أنا هو الباب والطريق ، وتسميته سمعان بصخرة ، وهيرودس بثعلب ، وتسمية المعمدان للسيد بحَمَل ، وأن المسيح على هذا القياس قد سمى نفسه خبزاً ، وبناء عليه يعتقدون بأن تعليم السيد عن هذا السر مجازى

وندفع ذلك بأننا سبق ان أثبتنا فى صحيفة ٨٤ ـ ٩٢ أن كلام المسيح عن هذا السر حقيقي لا مجازي ونقول هنا : إن المجاز هو أستعارة اسم شيء لغيره لتناسب بعض صفاته ، والمقصود منه تشبيه شيء بشيء لتقريب المعنى المراد استعمال المجاز له ، فمثلاً يُستعار النور والظلمة للنجاح والضيق ، والفرح والحزن، والمعرفة والجهالة . وينابيع المياه والأمطار والظل وندى الليل لبركات الانجيل، وما أشبه ذلك . والمجاز فى الكتاب المقدس نوعان الأول ما يكون الغرض منه ظاهراً لسامعه كتسمية السيد المسيح لهيرودس بثعلب لما كان معروفاً ومتصفاً به من المكر والخديعة المتصف بهما الثعلب . وتسمية يوحنا بايليا لمشابهته له فى النسك والغيرة . وقد سبق النبي فأخبر بأنه يتقدم المسيح بروح إيليا وقوته (ملا ٣ : ١ ، ٤ : ٥) . وأما الثانى فهو ما يكون غامضاً على سامعيه فيلتزم المتكلم بايضاح قصده منه كقول السيد « أناهو الباب » الذى فسره بقوله « إن دخل بى أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعىً » (يو ١٠ : ٩) وقوله « أناهو الطريق » وفسره بقوله « ليس أحد يأتى الى الآب إلاّ بى » (يو ١٤ : ٦) وقوله « أنا الكرمة »

http://coptic-treasures.com

الخبز والخمر بعد تقديسهما وانتقالهما واستحالتهما سرياً إلى جسد الرب ودمه، يلبثان دائماً هكذا أي أن حضور الرب في الأسرار بعد التقديس هو ثابت وغير منقطع في وقت الشركة وبعده، خلافاً للذين يزعمون أن حضور الرب محصور في وقت اشتراك المؤمنين بالأسرار، وان القرابين بعد الشركة ليست سوى خبز وخمر بسيطين

وبما أن الخبز والخمر في هذا السر الأقدس هما جسد المسيح ودمه فيجب أن تقدم لهما العبادة والسجود. قال القديس يوحنا ذهبي الفم «هذا الجسد لما كان بعد في المذود خجل منه المجوس. ورجال كفرة وبرابرة تركوا أوطانهم وبيوتهم وقطعوا طريقاً طويلة، وأتوا بخوف وارتجاف كثير وسجدوا له، فلنقتدين إذن بالبرابرة على الأقل نحن أبناء السموات. لأن أولئك مع أنهم رأوه في مذود وضمن كوخ ولم يروا شيئاً مما تراه أنت الآن تقدموا برعب كثير. وأما أنت فلست تراه في مذود بل على مذبح، ولست ترى امرأة حاملة إياه بل كاهناً واقفاً وروحاً طاهراً على الموضوعات ونازلاً عليها بغزارة، لأنك لست تنظر الجسد وحده فقط على بسيط الحال مثل اولئك، لكنك تعلم ايضاً قدرته وكل التدبير وليس خافياً عليك شيء مما تم به لانك متعلم جميع الأسرار بتدقيق» (مقالة على تفسير ١ كو ٢٤ : ٥) وقال القديس اغسطينوس «ما من أحد يشارك جسد يسوع المسيح ما لم يقدم له عبادة إلهية» (على مزمور ٩٨)

---

http://coptic-treasures.com

وفسره بقوله « كما أن الغصن لا يقدر أن يأتي بثمر من ذاته إن لم يثبت في الكرمة كذلك أنتم أيضاً إن لم تثبتوا فيّ . . . بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً » (يو ١٥ : ١ -٦) وكتسمية يوحنا المعمدان السيد المسيح بحَمَل ثم تفسيرها بقوله « الذي يرفع خطية العالم » (يو ١ : ٢٩) وتسمية المسيح سمعان بصخرة بناء على اعترافه بأن المسيح هو ابن الله الحي وأن المسيح مزمع أن يؤسس كنيسته على صخرة هذا الايمان ، وتسميته تلاميذه بملح الأرض لأنهم يكونون بصفة مصلحين لفساد العالم ، وقس على ذلك . فهذه العبارات المجازية متضمنة معانيها ، وفيها قرائن تدل على المراد بها ، ولا ينطبق شيء منها على سر الاستحالة مطلقاً ، فلماذا نترك معنى الكتاب الواضح ونلتفت إلى تأويلات بعيدة عن الصواب ؟ قال لوثيروس : « إن معنى الكتاب المقدس البسيط هو أساس الايمان والأمر الوحيد الذي لا يتزعزع في وقت الضيق والامتحان » وقال القس جيمس أنس الامريكاني مؤلف كتاب القواعد السنية في تفسير الأسفار الألهية عند كلامه عن المجاز : « لا بد للمجاز من قرينة تدل عليه وهي إمّا لفظية أو معنوية فان انتفت القرينة حُمِلَ الكلام على الحقيقة ما لم يُعلم أو يُظن أن قائله لم يعتقد ظاهره » (صحيفة ١٣٢) وقال في القاعدة الأولى من قواعد التفسير « إن معنى الكتاب البسيط الواضح هو على الغالب المعنى الصحيح ، وفسر هذه القاعدة بأن البسيط الواضح هو الكلام المتبادر إليه فهم الجمهور ، ويؤيد ذلك كون الكتاب كُتب للعالم أجمع ، فلا بدّ أن معناه يطابق ظاهر الكلام » (صحيفة ٧٨) وقال في القاعدة السادسة من قواعد المجاز « إن المجاز وحده ليس أساساً كافياً لتعاليم مهمة ولا يناسب لأنه أحياناً يقود إلى الضلال » (صحيفة ١٤٥)

http://coptic-treasures.com

(ثالثاً) يقولون إن السيد المسيح قال عن هذا السر « إصنعوا هذا لذكري» فهو إذن تذكار لجسد المسيح ودمه، والشيء لا يكون تذكاراً لنفسه

وندفع هذا الاعتراض بعد أن نُعرّف انواع التذكار : قسّم المرحوم عريان مفتاح التذكار الى أربعة أنواع فقال التذكار يلزم ان يكون بأحد أربعة أشياء . إما عيناً (أى من عين الشيء) كالمنّ الذى أمر الله موسى بحفظه فى قسط من الذهب تذكاراً للمنّ (وهذا ينفي القول بان الشيء لا يكون تذكاراً لنفسه لأن المنّ كان تذكاراً لنفسه) وإما أثراً كالحجارة التى أمر يشوع بن نون بأخذها من أرض الأردن تذكاراً لمرورهم فيه (يش ٤ : ٩) وإما صورة كالكروبين اللذين أمر موسى النبي بصنعهما ووضعهما فى قبة الشهادة تذكاراً للسمائيات (خر ٢٥ : ١٧ ـ ٢٢) وإما خبراً كما فعل موسى النبي إذ قصّ على بنى اسرائيل ماورد فى سفري الخروج والعدد، عما صنع الله على يديه معهم والوقائع التى حدثت فى خلال ذلك . وإذا طبقنا تذكار موت المسيح على أحد هذه الأنواع الأربعة فانه يلزم أن يكون إمّا عيناً أي من عين جسده ودمه . وإمّا أثراً أى بالآلات التى أستعملت فى آلامه وموته . وإمّا صورة أى برسم هيئة الواقعة . وإمّا خبراً أي بخبرها الوارد فى الأناجيل المقدسة . فالخبز والخمر اللذان سلّمهما السيد لتلاميذه ليسا تذكاراً أثرياً ولا صورياً ولا خبرياً ، لانهما ليسا آلة من آلات موته ، ولا هما صورة مرسومة على هيئته ، ولا هما مجرد حكاية تاريخية تحفظ لنا تذكار الواقعة خبرياً ، وكيف يحصل تذكار موت المسيح من أكل خبز وشرب خمر، إذا كانا لا يزالان على بساطتهما ولا يتحولان إلى جسده الحقيقى ودمه الحقيقى . فلا بد إذن أن يكون السر تذكاراً من عين الشيء ، أى

http://coptic-treasures.com

من عين جسده ودمه، كما كان المنّ تذكاراً لنفسه . وقد يكون الذكر أيضاً لما يتصوره العقل ولا تدركه الحواس ، فان الله تعالى مثلاً حاضر فى كل مكان،ومع ذلك يقال إن الأبرار يتذكرونه دائماً ، كقول المرتل « ذكره إلى جيل الأجيال » فاذاً يقال بكل صواب إن هذا السر تذكار لموت المسيح لانه حاضر فيه بنوع سرىّ غير منظور ولا تدركه حواسنا »

(رابعاً) يزعمون أن السيد المسيح قصد بكلامه عن جسده ودمه فى الأصحاح السادس من إنجيل يوحنا الايمان به

وندفعه بأن قرائن الكلام وظروف الأحوال تنفى هذا الزعم ، لأن السيد له المجد كان يعدهم بطعام لم يذوقوه بعد ، بل وعدهم بأنه سيعطيهم إياه فى المستقبل . فلو كان كلامه يقصد منه الايمان به لا إلى جسده ودمه لوجب أن نسلّم بأن جميع الذين كانوا يسمعونه كانوا غير مؤمنين به ، والحال ان تلاميذه سبق فآمنوا به،وأن نعمة الايمان كانت قد أعطيت للكثيرين ولا محل للوعد بها فى المستقبل . ومن الملاحظات الجديرة بالاعتبار أن يوحنا الانجيلى اكتفى بما اورده عن هذا السر فى الاصحاح السادس،ولم يذكر تأسيسه عندما سلّمه الرب لتلاميذه كما كتب باقي الانجيليين ، وهذا دليل مقنع بأن يوحنا الانجيلي يقصد بكلامه جسد الرب ودمه لا الايمان به

(خامساً) يزعمون بأن كلام بولس الرسول فى (١ كو ١٠ : ١٥ - ٢٢) عن كأس البركة والخبز المقدس أنها شركة جسد المسيح،لا يترتب عليه أن يكون الخبز والخمر جسد المسيح ودمه بل شركة فقط،وأن تسمية الرسول لهما خبزاً وكأساً دليل على عدم الاستحالة

http://coptic-treasures.com

وندفع هذه المغالطة بأن الاشتراك فى الشيء هو الحصول عليه ، وإلاّ فلا يكون المسيح اشترك فى جسدنا. لأن الرسول يقول « فاذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم إشترك هو أيضاً كذلك فيهما » (عب ٢ : ١٤) ويقول « لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه » (ا ف ٥ : ٣٠) ويقول « أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح » (١ كو ١٠ : ١٨) بل إن كلام الرسول عن الشركة لا يقبل هذا التأويل ، لأنه يقول بصريح العبارة هكذا « أحكموا أنتم فى ما أقول . كأس البركة التى نباركها أليست هي شركة دم المسيح . الخبز الذى نكسره أليس هو شركة جسد المسيح » (١ كو ١٠ : ١٥ و ١٦) لاسيما وأنه قال بعد ذلك « لاننى تسلّمت من الرب ما سلمتكم ايضاً » إلى أن قال « إذاً أيّ من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً فى جسد الرب ودمه . ولكن ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس . لأن الذى يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميّز جسد الرب . من أجل هذا فيكم كثيرون ضعفاء ومرضى وكثيرون يرقدون الخ » (١ كو ١١ : ٢٣ — ٣٤)

وأما تسمية الرسول للجسد والدم خبزاً وخمراً فذلك بناء على ظهور السر أمام أعيننا هكذا ، وبناء على ما كانا عليه قبل التقديس ، وهذا أمر جائز فى كل لغة إذ يسمى الشيء باسم ما كان عليه أولاً ، وقد ورد مثل ذلك فى الكتاب المقدس ، كما ذكر عن الماء الذى حوله السيد المسيح إلى خمر فى عرس قانا الجليل حيث يقول « فلما ذاق رئيس المتكأ الماء » (يو ٢ : ٩) مع أنه كان قد تحوّل خمراً ، فسماه ماءً باعتبار ما كان أولا ، ومنه قول

http://coptic-treasures.com

الكتاب «ولكن عصا هرون ابتلعت عصيّهم» (خر ٧: ١٢) مع أنها كانت تحولت الى ثعبان، وقوله عن لعازر عند قيامته «فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقطة الخ» مع أنه خرج حيّا. فسماه «الميت» باعتبار ما كان، ولم يقل خرج الحي الذى كان ميتاً، ولا خرج الميت الذى صار حيًّا. فهل يترتب على ذلك أن لعازر كان لا يزال ميتاً حال خروجه، وبناء عليه لا تكون تسمية الرسول للسر خبزاً وخمراً دليلاً على عدم تغيره واستحالته إلى جسد المسيح ودمه

(سادساً) يعترضون بقولهم كيف أن الخبز والخمر اللذين هما من نباتات الأرض يستحيلان إلى جسد المسيح ودمه ويكونان هما جسد ودم المسيح

ونرد على ذلك بأن الاستحالة نوعان، حسيّة أى واقعة تحت الحواس، وسرّية لا يقع عليها حكم الحواس، والاستحالة هي انتقال الشيء الى غيره. فالحسية هي تحويل طبع وصورة وفعل شيء ما إلى طبع وصورة وفعل الشيء الذى يتحول اليه، كتحويل امرأة لوط إلى عمود ملح، وتحويل عصا هرون إلى ثعبان، وتحويل ماء النهر فى مصر إلى دم، وتحويل الماء فى عرس قانا الجليل إلى خمر. وأما الاستحالة السرية التى لا تدخل تحت الحواس فهى استحالة الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه فى سر الأفخارستيا، وذلك بناء على قول السيد الصريح «هذا هو جسدي وهذا هو دمي». وإن قال المعترض كيف يكون ذلك؟ فنرد عليه بأن أعمال الله لا يُسأل عنها بكيف. وقد اقتضت الحكمة الالهية أن تكون أستحالة أمرأة لوط إلى ملح والماء الى دم فى مصر والى خمر فى عرس قانا الجليل لضرورة اعتبار الحس، لأن الغاية منها ظهور قوة الله علناً. وأما الأستحالة فى سر الأفخارستيا فليس من الضروري ظهورها

http://coptic-treasures.com

منها ، يشهد بأن المسيحيين يقدمون لله ذبيحة حقيقية على مذبحهم ، ولهم وحدهم السلطان أن يأكلوا منها

(ثالثاً) إن ذبيحة العهد الجديد سبق الله فأنبأ بها على لسان ملاخي النبي قائلاً « ليست لى مسرة بكم قال رب الجنود ولا أقبل تقدمة من يدكم . لأنه من مشرق الشمس الى مغربها اسمي عظيم بين الأمم وفى كل مكان يقرّب لاسمي بخور وتقدمة طاهرة لأن اسمي عظيم بين الأمم قال رب الجنود » (ملا ١ : ١٠و١١) وواضح من هذا القول أن النبيّ يتكلم عن ذبيحة جديدة طاهرة . ولا يمكن أن نقول إنها ذبائح اليهود التى أعلن الرب كراهيته لها ، وهى محصورة ضمن حدود اليهودية . ولا يمكن القول أيضاً إنها ذبائح الأمم التى لاقيمة لها فى الكتب المقدسة لأنها رجسة ومرذولة عند الله . ولا يمكن الظن بأن النبيّ يشير الى الذبيحة الروحية التى أشير اليها فى المزمور (٥١ : ١٩) لأن هذه الذبيحة قدمها كثيرون من رجال الله الأتقياء منذ تأسيس العالم . لاسيما وان ملاخى النبي يخبر عن ذبيحة جديدة لم تكن موجودة من قبل . ذبيحة منظورة مدركة ومُعدّة لأن تبطل الذبائح اليهودية وتحلّ محلها . ولا يمكن الظن بأن النبيّ قصد بهذه الذبيحة تلك الذبيحة السامية التى قدمها المخلص على الصليب ، لأن هذه الذبيحة قُدّمت فى مكان واحد وهو الجلجثة . ولكن النبيّ يخبرنا عن ذبيحة طاهرة مزمعة أن تُقدم فى كل مكان على الأرض فلا يبقى اذن سوى ان نعترف بأن هذه الذبيحة هي سر الشكر الذى يقدم ذبيحة طاهرة لله في كل مكان

(رابعاً) إن الكنيسة المقدسة قد علّمت منذ نشأتها هذه الحقيقة وهي أن سر جسد يسوع المسيح هو ذبيحة حقيقية وتعترف بذلك في قداساتها

http://coptic-treasures.com

للحواس ، وليس أيضاً من المناسب إذ لا يمكن للانسان ان يأكل لحماً ويشرب دماً ، فهذه الاستحالة سرية لا تُدرك بالحواس، فمع أننا نأكل خبزاً ونشرب خمراً إلاّ أن هذا الخبز وهذا الخمر ليسا بعد التقديس خبزاً وخمراً بل هما جسد ودم المسيح كما قال الرسول « لأننا بالايمان نسلك لا بالعيان » (٢ كو ٥ : ٧) « ولاننا بالرجاء خلصنا . ولكن الرجاء المنظور ليس رجاء ، لأن ما ينظره أحد كيف يرجوه ايضاً » (رو ٨ : ٢٤) والايمان بأعمال الله السرية أعظم من الايمان بأعماله الظاهرة ، لأن هذه يُحكم عليها بالحواس ، وأما تلك فيراها العقل بنور الايمان . وقد سبق نيقوديموس وسأل المسيح له المجد عن سر الميلاد الثانى فأجابه موبخاً « المولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح (كيف يحصل ذلك . بسر لا يدرك وانما يفعله الروح القدس) لا تتعجب انى قلت لك ينبغي أن تولدوا من فوق . الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتى ولا الى أين تذهب . هكذا كل من ولد من الروح» (يو ٣ : ٦ ـ ٨)

أما قول المعترض بان الخبز والخمر هما من نباتات الارض فانه إذا تأمل فى فعل الطبيعة وجد أن كل جسد ودم هما من نبات الأرض ويعودان أيضاً نباتاً ، وهذا أمر مسلم به ، وأما صيرورتهما جسد المسيح ودمه فهذا موكول لفعل القدرة الالهية التى لا يُشك فيها

(سابعاً) يقولون كيف أن الذى سلّمه السيد المسيح لتلاميذه هو جسده ودمه ، مع أنه كان جالساً في وسطهم ولم يسلّمهم إلاّ خبزاً وخمراً منظورين

فنقول بأن هذا الاعتراض ليس موجهاً لنا ، وانما هو موجه لشخص السيد ، لأنه هو الذى قال هذا وفعل هكذا ، وقد سبق ان اعترض اليهود

http://coptic-treasures.com

بهذا الأعتراض قائلين « كيف يقدر هذا أن يعطينا جسده لنأكل » فسمعوا جوابه المسكت « إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . لأن جسدى مأكل حق ودمي مشرب حق » ونحن هكذا آمنا وقبلنا هذا السر بناء على شهادته الصادقة . أما الذين لا يؤمنون ولا يصدقون إلاّ بناء على شهادة الحواس فانهم يهدمون أركان الديانة المسيحية . لأن الحواس لا تستطيع أن تدرك شيئاً من أسرار الديانة . فمثلاً إن الله الآب قد شهد لأبنه قائلاً « هذا هو ابني الحبيب الذى به سررت » فاذا اعتمدنا على الحواس رأينا أن العين لم تشاهد إلاّ هيئة شخص مثل بنى البشر ، فاذا كنّا لا نؤمن الاّ بما تحكم به الحواس أنكرنا هذه الشهادة (حمانا الله من ذلك) وليفتنا الذين يهتمون بحكم الحواس كيف صيّر الله نار أتون بابل على الفتية الثلاثة كنسيم بارد ، حتى أنها لم تؤثر فى أجسامهم ولا فى شعورهم ولا فى رائحة ثيابهم . فان قالوا قد نُزعت منها قوة الاحراق ، فنجيبهم كيف اذاً أحرقت الكلدانيين الذين اقتربوا منها ؟ وإن كانت فيها قوة الأحراق فلِمَ لم تحرق الفتية ؟ وكيف تكون النار حارة باردة فى آن واحد ؟ هل يمكن أن يفهم ذلك بالحواس . وكيف أشبع السيد المسيح الألوف من خمسة ارغفة وسمكتين وفضل عنها أثنتا عشرة قفة من الكسر . وكيف تجسد المسيح فى بطن السيدة العذراء وهو ماليء الكون ، وكيف صُلب على الصليب وهو مع ذلك لا يزال فى حضن أبيه ، وكيف خرج من القبر وهو مختوم والحراس واقفون على بابه ، وكيف دخل على التلاميذ والأبواب مغلقة . ألا نعترف بأن الديانة المسيحية كلها أسرار فائقة لا قدرة للعقل ولا للحواس على ادراكها . ألم يقل السيد بان كلامه هو روح وحياة ، وبولس الرسول

http://coptic-treasures.com

بأنها تقدم لله ذبيحة مقدسة ناطقة غير دموية حيث تقول « ففيما نحن أيضاً نصنع ذكر آلامه ... نقرب لك قرابينك من الذى لك » وعندما يبسط الكاهن يديه يقول « ربنا والهنا ومخلصنا يسوع . . . يُعطى عنا خلاصاً وغفراناً للخطايا وحياة أبدية لمن يتناول منه » وقوله « هوذا كائن معنا على هذه المائدة اليوم عمانوئيل الهنا حمل الله الذى يحمل خطية العالم كله »

(خامساً) تجد هذا التعليم واضحاً في شهادات المجامع المسكونية فقد جاء في قوانين المجمع المسكونى الاول هذا التصريح « على المائدة المقدسة يُوضع حمل الله الرافع خطايا العالم ويُذبح من خدام الله ذبيحة غير دموية » وجاء فى شهادات مجمع أفسس هكذا « إننا نقدم فى الكنائس الذبيحة غير الدموية ، وهكذا نلمس الأسرار المقدسة والمباركة ونتقدس باشتراكنا بالجسد المقدس جسد المسيح مخلص العالم كله وبدمه الكريم » وجاء فى أعمال مجمع نيقية « لا الرب ولا الرسل ولا الآباء سموا « الذبيحة غير الدموية » المقدسة من الكهنة « صورة » بل هم يسمونها دائماً جسد الرب نفسه ودم الرب نفسه »

(سادساً) قد شهد جميع الآباء بهذه الحقيقة في تعاليمهم فقد قال القديس اغناطيوس « إن جسد الرب يسوع واحد هو ودمه المهرق عنا واحد . خبز واحد كُسر . وكأس واحدة وزعت للجميع . ومذبح واحد لكل الكنيسة » (رسالته لأهل فيلادلفيا فصل ٤ والى أهل مغنيسيا فصل ٨ والى أهل أفسس فصل ٥) وقال القديس يوستينوس الشهيد « نقدم باسمه « ذبيحة » قد أمر الرب يسوع أن تُقدّم ، وذلك في سر الخبز والكأس ذبيحة مقدمة من المسيحيين فى كل مكان على الأرض « ذبيحة » طاهرة ومرضية لله » (فى

http://coptic-treasures.com

يقول « كلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الانسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة . لكي لا يكون ايمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله » (١ كو ٢ : ٤ و ٥) وقوله « ونحن لم نأخذ روح العالم بل الروح الذي من الله لنعرف الأشياء الموهوبة لنا من الله . التي نتكلم بها أيضاً لا بأقوال تُعلّمها حكمة انسانية بل بما يُعلّمه الروح القدس قارنين الروحيات بالروحيات . ولكن الانسان الطبيعي لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة . ولا يقدر أن يعرفه لانه انما يحكم فيه روحياً » (١ كو ٢ : ١٢ـ١٤) فعلينا أن نرفع أسرار الديانة فوق العقل والحواس حتى نستطيع أن نؤمن بها .

ومالي أقول بوجود أسرار في الديانة وهو ذا الطبيعة كلها أسرار لا تزال فائقة لا تدرك ، مثال ذلك الانسان فاننا نعلم أنه مؤلف من نفس وجسد متحدين اتحاداً طبيعياً جوهرياً ، ولكن لا يوجد من يستطيع أن يدرك كيفية هذا الاتحاد العجيب . ونعلم أن نفسنا تأمر يدينا ورجلينا بالحركة ولا نعرف كيف ينفذ هذا الروح البسيط أمره بهذه السرعة العجيبة في الجسد الهيولي . ونرى أن حبة صغيرة تبذر في الأرض وبعد قليل نشاهدها شجرة كبيرة ذات أغصان مرتفعة ولا ندرك سر نموها . وأيضاً نرى صور المبصرات تنطبع في الأعين معكوسة ولكننا نراها مستقيمة ولا نقدر أن نبرهن علة ذلك . وها هي المآكل التي نأكلها ونتغذى بها كل يوم تتحول الى دم ينبث وينتشر في سائر أجزاء الجسد ولا نعلم كيف يكون ذلك . والمياه التي نشربها مركبة من الاكسيجين والهيدروجين ، فالأول عنصر بسيط يعين المواد على الاشتعال إذ يتحد بكربونها ، والثاني عنصر بسيط يشتعل باتحاده مع الاكسجين ويولد حرارة عظيمة ، ونفس هذا الاتحاد

http://coptic-treasures.com

يولد لنا المياة التى نروى بها عطشنا . فكيف أن المياة المؤلفة من مواد تذيب الجامود لشدة حرارتها نرتوى بها . فهذا الانقلاب الذى حدث فى طبيعة هذين العنصرين لا يعلم كيفيته إلاّ الله ، وهكذا من الأسرار الغريبة نظير القوة الكهربائية ، والقوتين الجاذبة والدافعة ، وسير النور العجيب ، والهواء المتحرك ، والنار المخيفة . وغير ذلك من الأسرار التى نؤكد وجودها فى الطبيعة ونجهل كيفيتها وعلتها الحقيقية . فهذه كلها تبكت دعوى الفهم البشرى وتبرهن على ضعفه . فاذا كانت الطبيعة مملؤة بالأسرار العسرة الفهم فهل من المستحيل وجود أسرار فائقة الادراك فى الديانة الالهية . فاما أن توجد حقائق فائقة الادراك البشرى ، وإما أن العقل قياس كل الحقائق . وبذلك نسقط فى مذهبى العقليين والماديين المرفوضين من كل المسيحيين ، ونسقط فى ضلال وخيم وهو أن معرفة الله لا تتميز عن معرفة البشر وهذا ظاهر البطلان

الفصل السابع

سر الشكر من حيث هو ذبيحة وصفات هذه الذبيحة ونسبتها الى الذبيحة التي قدمت على الصليب

ان الكنيسة الارثوذكسية تؤمن وتعترف بأن سر الشكر فضلاً عن كونه سراً ، فهو أيضاً ذبيحة تقدم لله ، والبراهين على ذلك هي : —

(أولا) تعليم المخلّص نفسه الذى أوضح هذه الحقيقة فقد قال عند

http://coptic-treasures.com

خطابه الى تريفن) وقال القديس ايريناوس « إن المسيح علّمنا « ذبيحة » جديدة للعهد الجديد فالكنيسة تسلمتها من الرسل وتقدمها فى كل المسكونة بحسب نبوة أحد الأنبياء الاثني عشر وهو ملاخي حيث يقول لا ارادة لى بكم الخ وينادى بأن الشعب الأول (أى اليهود) سيكفّ عن أن يقدم لله ذبائح وأنه فى كل مكان ستقدم ذبيحة طاهرة لاسمه المجد فى الأمم » (ضد الهراطقة) . وقال القديس ايبوليطس « إننا من بعد صعود المخلص نقدم بحسب وصيته « ذبيحة » طاهرة وغير دموية » (فى المواهب فصل ٢٦) وقال القديس كبريانوس « إن دم المسيح لا يُقدّم ما لم يكن فى الكأس خمر . وتقديس « ذبيحة الرب » لا يتم قانونياً ما لم يكن « قرباننا وذبيحتنا » مطابقين لآلامه ... لأنه إذا كان إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح وهو رئيس الكهنة العظيم للاله الآب قد قدّم نفسه ضحية للآب وأمرنا أن نصنع ذلك لذكره فلا يتمم الكاهن على الحقيقة عمل المسيح ما لم يعمل كما عمل يسوع المسيح نفسه . أعنى أن يقدّم فى الكنيسة للاله الآب « الذبيحة الحقيقية بتمامها » متبعاً فى ذلك مثال المخلص نفسه » (رسالة ٤٣) وقال القديس غريغوريوس « لأن المدبر كل شيء بحسب سلطانه السيدى لم ينتظر الاضطرار الناتج عن الخيانة ، ولا هجوم اليهود اللصيّ ، ولا محاكمة بيلاطس الخارجة عن الشريعة ، كي لا يكون شر هؤلاء بدءاً لخلاص الناس العام وعلة له . لكنه بتدبيره قد سبق هجومهم وهو نفسه قدم ذاته بعمل التقديس الذى لا يُنطق به وغير المنظور من البشر قرباناً « وذبيحة عنا » إذ هو كاهن معاً وحمل الله الرافع خطية العالم . وإن سألت متى كان هذا ؟ أجيبك : إنه كان عندما جعل جسده مأكلا بصريح العبارة وأعطاه للاكل وصارت ذبيحة الحمل كاملة . لأنه

http://coptic-treasures.com

وعده باعطاء هذا السر « أنا هو الخبز الحي الذى نزل من السماء . إن أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الابد . والخبز الذى أنا أعطي هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٥١) ومن هذا الكلام الالهي يتضح أن هذا السر الخلاصي هو ذبيحة غفران أمام الله . وكذلك عند تسليمه السر لتلاميذه قال لهم « هذا هو جسدى الذى يبذل عنكم . اصنعوا هذا لذكري... هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذى يُسفك عنكم » (لو ٢٢ : ١٩ و ٢٠) فهذا السر الذى يقام تذكاراً لذبيحة الاستغفار التى قُدمت على الصليب ، هو ذبيحة حقيقية فعلية

(ثانياً) إن الرسل الأطهار علّموا هذا التعليم . فقد كتب بولس الرسول الى أهل كورنثوس يقول « أنظروا اسرائيل حسب الجسد . أليس الذين يأكلون الذبائح هم شركاء المذبح . فماذا أقول . أإن الوثن شيء أو إن ما ذبح للوثن شيء . بل إن ما يذبحه الأمم فانما يذبحونه للشياطين لا لله . فلست أريد أن تكونوا أنتم شركاء الشياطين . لا تقدرون أن تشربوا كأس الرب وكأس شياطين . لا تقدرون أن تشتركوا فى مائدة الرب وفى مائدة شياطين » (١ كو ١٠ : ١٨ — ٢١) ففي هذه الآية يقابل الرسول مائدة الرب أى مذبح المسيحيين ، بمائدة الشياطين أى مذبح الأمم الذى كانت تُقدّم عليه ذبائح — وإن كانت رجسة وغير مقبولة — وبهذا يؤكد ان ما يُقدّم على مذبح المسيحيين فى سر الشكر هو ذبيحة حقيقية أمام الله . وهذا الرسول نفسه كتب فى رسالته الى العبرانيين يقول « لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن أن يأكلوا منه » (عب ١٣ : ١٠) وبمقابلته مذبح العهد الجديد بمذبح العهد القديم الذي كان الاسرائيليون يقدمون عليه ذبائح حقيقية يأكلون

http://coptic-treasures.com

لو كان الجسد ذا روح لما كان ضحية تصلح للأكل . فلما منح تلاميذه أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه «ضحّى جسده» بوجه لا ينطق به وغير منظور، مدبراً هذا السر كما أرادت سلطته » (على قيامة المسيح خطاب ١) وقال القديس يوحنا ذهبي الفم « ألسنا نحن نقدم كل يوم قرابين؟ نعم نقدم ولكننا نصنع تذكار موته ،وهذه «الذبيحة» التى كل يوم نقدمها هى واحدة لا أكثر لأنه قُدّم مرة واحدة مثل الذبيحة التى كانت تقدَّم إلى قدس القديسين . وكما أنه هو رسمٌ لتلك هكذا هذه «الذبيحة» رسمٌ لها. لأننا نقدمه دائماً حملاً واحداً نفسه ، ولا نقدم الآن خروفاً آخر بل الحمل نفسه دائماً. «فالذبيحة» إذن هي واحدة.أو هل المسحاء كثيرون لأن «الذبيحة» تقدم في محلات كثيرة؟ حاشا .لأن المسيح واحد فى كل مكان ، وهو هنا بكليته جسداً واحداً ، وكما أنه يقدَّم فى أماكن متعددة ولا يزال جسداً واحداً لا أجساداً كثيرة، هكذا «الذبيحة» أيضاً واحدة هي » (فى تفسيره العبرانيين مقالة ١٦ : ٧ وعلى ١ كو ٢٤ : ٤ وعلى رسالة افسس ٣ : ٥ وخطاب ٣ : ٤،٤ : ٤ فى الكهنوت) ونجد مثل هذه الأقوال فى تعاليم جميع آباء الكنيسة شرقاً وغرباً

وهذه الذبيحة التى نقدمها لله في سر الشكر ، هي الذبيحة التى قُدمت على الصليب لأن الذي يقدَّم على المذبح الآن هو حمل الله نفسه الذى قدم ذاته على الصليب لأجل خطايا العالم . وكما أن المخلص له المجد كان على الصليب مقدِّما ومقدّما هكذا الآن هو أيضاً المقرِّب والمقرَّب والضحية والمضحّي. وفى هذا المعنى قال القديس يوحنا ذهبي الفم « إن رئيس كهنتنا العظيم قدّم الذبيحة التى تطهرنا .ومن ذلك الوقت إلى الآن نقدم نحن أيضاً هذه الذبيحة نفسها وهذه الذبيحة غير الفانية وغير النافذة هى نفسها ستتمم إلى انقضاء

http://coptic-treasures.com

الدهر حسب وصية المخلص « هذا أصنعوه لذكري » غير أن بين ذبيحة سر الشكر والذبيحة التى قدمت على الصليب فرقاً بالنظر إلى ظروفهما وطريقة تقديمهما ، فان المخلص قدم لأبيه على الصليب جسده ودمه الكريمين ذبيحة منظورة. وأما في سر الشكر فلا يقدمهما تقديماً حسيًّا منظوراً بل سرياً تحت شكلي الخبز والخمر. على الصليب قدم الذبيحة الاستغفارية لأنه رئيس الكهنة الاعظم ، وهنا على المذبح تقدم تلك الذبيحة بواسطة كهنته . هناك على الصليب قُدمت ذبيحة حقيقية بذبح الجمل وهرق دمه، وهنا بما أنه قام من الاموات ولا يسود عليه الموت مرة ثانية تُقدم الذبيحة فى سر الشكر باستحالة سرية بدون هرق دم ولا موت . ولهذا سميت هذه الذبيحة « ذبيحة غير دموية » . بذبيحة الصليب حصل الخلاص لكل الجنس البشرى ووُفي العدل الالهي ، وأما ذبيحة سر الشكر فانها تستعطف الله دائماً للصفح عن خطايا الذين قُدّمت لأجلهم فينالوا الحياة الابدية بالتناول منها . إن ذبيحة الصليب قُدمت مرة واحدة على الجلجلة ، ولكن ذبيحة سر الشكر فمنذ تأسيسها تُقدم دائماً وتقدم إلى الابد الى وقت مجيء المسيح الثانى في كل العالم وعلى مذابح لا تُعد ولا تُحصى : ونستنتج مما تقدم أن الذبيحتين متحدتان بلا انفصال وهما ذبيحة واحدة ، الاولى أصل والثانية شجرة نابتة من ذلك الأصل ، غطت أغصانها كل كنيسة المسيح وتغذي جميع الذين يطلبون الحياة الأبدية بالتناول منها

ولهذه الاعتبارات إعتبرها جميع الآباء بأنها ذبيحة استغفار تقدم عن الأحياء والأموات ، كما ورد ذلك فى كتب القداديس وفى شهادات الآباء القديسين . قال العلامة ترتوليانوس « إنها تقدم عن الأحياء والأموات »

http://coptic-treasures.com

(فى الأكليل ٣ وفى وحدة الزيجة فصل ٩) . وقال القديس كبريانوس «إنها تقدم عن الأموات» (رسالة ٦٦) وقال القديس كيرلس الأورشليمي «إنها ذبيحة استغفارية. واننا نقدم المسيح مذبوحاً لأجل خطايانا مستغفرين الاله المحب البشر عنا وعنهم » (فى الأسرار ٦ : ٨ ، ٥ : ٨ و ١٠)

وقال القديس يوحنا ذهبي الفم « لأنه لم يرتّب هذا الترتيب على بسيط الحال ، ولا باطلاً نذكر المتوفين على الأسرار الالهية ، ونأتى متضرعين لأجلهم للحمَل الموضوع الرافع خطية العالم ، بل لكى تحصل من ذلك تعزية لهم .ولا عبثاً يصرخ الواقف على المذبح عند تتميم الأسرار الرهيبة من أجل جميع الراقدين بالمسيح والذين يصنعون التذكار من أجلهم . ولو لم يقم التذكار من أجلهم لما قيلت هذه الكلمات . فلا نكلّمنّ إذن فى مساعدتنا الراقدين بتقديمنا الصلوات من أجلهم لأن التنقية العامة لكل المسكونة هي حاضرة .ولهذا نتجاسر أن نطلب من أجل المسكونة وقتئذ وندعو الراقدين والشهداء والمعترفين والكهنة » (مقالة ٤١ : ٤ على ١ كو) وفي محل آخر يشهد أن إقامة التذكارات فى سر الأفخارستيا عن الراقدين شريعة رسولية ويقول « لم يشرع عبثاً من الرسل اقامة تذكار الراقدين حين تتميم الأسرار الرهيبة لأن الرسل يعرفون أن للراقدين ربحاً عظيماً ونفعاً جزيلاً من ذلك » (مقالة ٣ على رسالة فيلبي) والقديس كيرلس الأورشليمي يقول « ثم بعد أن نتمم الذبيحة الروحية والعبادة غير الدموية ، نضرع إلى الله تجاه ذبيحة الاستغفار هذه من أجل سلامة الكنائس عموماً ومن أجل حسن ثبات العالم ، ومن أجل الملوك ومن أجل الجنود والمحاربين معهم ، ومن أجل الذين فى الأمراض ومن أجل المتعبين ، وبالاجمال من

http://coptic-treasures.com

أجل جميع المحتاجين إلى مساعدة . فنطلب نحن جميعاً ونقدم هذه الذبيحة »
(في الأسرار ٥ : ١)

الفصل الثامن

وجوب تناول السر تحت الشكلين

إن الرب يسوع له المجد قد سلّم جسده ودمه الأقدسين لتلاميذه الأطهار تحت شكلي الخبز والخمر فقد أخذ الخبز وشكر وأعطاهم قائلاً « خذوا كلوا هذا هو جسدي الخ » وكذلك أخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً « اشربوا منها كلكم » وقد سبق له المجد وقال « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم . من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير »
(يو ٦ : ٥٣ و ٥٤) وكذلك قال بولس الرسول « لأني تسلّمت من الرب ما سلّمتكم ايضاً أن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسّر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم . إصنعوا هذا لذكري . كذلك الكأس أيضاً بعد ما تعشوا قائلاً هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي . إصنعوا هذا كلما شربتم لذكري . فانكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء »
(١ كو ١١ : ٢٣ ـ ٢٦) وعلى ذلك سارت الكنيسة المسيحية منذ نشأتها بأن يتناول المؤمنون هذا السر تحت الشكلين الخبز والخمر ويشهد بذلك

http://coptic-treasures.com

سفر أعمال الرسل حيث يقول « وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات » (اع ٢ : ٤٢ - ٤٦) راجع ١ كو ١٠ : ١٧،١٦ : ٢٠

ولكن كنيسة رومية خالفت هذا التعليم فمنعت الشعب من تناول كأس الرب الخلاصية ، إذ أنها تناولهم الجسد فقط دون الدم ، والبراهين الآتية تبين فساد ذلك التعليم : —

(أولاً) كلام المخلّص له المجد حين وعده بسر الشكر فقد قال بصريح العبارة « الحق الحق أقول لكم إن لم تأكلوا جسد ابن الانسان وتشربوا دمه فليس لكم حياة فيكم. من يأكل جسدي ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه في اليوم الأخير » (يو ٦ : ٥٣ و ٥٤)

(ثانياً) كلام المخلّص لتلاميذه حين تأسيس هذا السر الأقدس فقد قال لهم « خذوا كلوا هذا هو جسدي وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً اشربوا منها كلكم » فان قالوا إن هذا الكلام موجه للرسل ، نرد عليهم بأنه قال أيضاً « خذوا كلوا هذا هو جسدي » وقوله موجه للرسل أيضاً لأنهم هم وحدهم الذين تسلّموه ، فيلزم على هذا القياس الباطل حرمان الشعب من الجسد أيضاً ، لأن الكلام في كلا الأمرين موجه لأشخاص الرسل الأطهار

(ثالثاً) قول بولس الرسول الذي يخاطب به أهل كورنثوس « أحكموا أنتم في ما أقول . كأس البركة التي نباركها أليست هي شركة دم المسيح . الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح » (١ كو ١٠ : ١٥ و ١٦) وقوله ايضا « إذاً أيّ من أكل هذا الخبز أوشرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه . ولكن ليمتحن الانسان نفسه وهكذا يأكل من الخبز ويشرب من الكأس » (١ كو ١١ : ٢٧ و ٢٨)

http://coptic-treasures.com

فهل يوجد أوضح وأصرح من هذه الأقوال

(رابعاً) إن الكنيسة المقدسة هكذا سارت منذ نشأتها. واليك شهادة القديس يوستينوس الذى يقول فى أحتجاجاته (١ : ٥٨) « وبعد أن يتمم الخادم الشكر ويقول الشعب «آمين» يناول الشمامسة جميع الحاضرين من الخبز والخمر والماء ، ويحفظون جزءاً من التقدمة للغائبين » وشهادة القديس كبريانوس الذى يقول فى (رسالة ٥٤) « إننا نحثهم ونحرضهم على الجهاد ولا نتركهم بلا سلاح ، بل نحصّنهم بالسلاح الكامل وهو جسد ودم المسيح ، لاننا كيف نعلّم أو ندعو الى الأعتراف باسمه أن يهرقوا دمهم اذا كنّا لا نمنح دم المسيح للمجاهدين عنه ؟ » وهكذا يقول القديس كيرلس فى (الأسرار ٤ : ٣ و ٦) والقديس يوحنا ذهبي الفم فى (مقالة ٨٢ على تفسير متى) والقديس امبروسيوس فى (الاسرار ٨ : ٥٨) والقديس ايريناوس (ضد الهراطقة ٤ : ١٨ : ٥ ، ٥ : ٢) وترتوليانوس فى (قيامة الأموات فصل ٨)

(خامساً) يشهد بهذه الحقيقة بعض البابوات ، فمنهم البابا لاون الكبير فى القرن الخامس الذى قال فى إحدى عظاته فى الصوم الكبير « إنهم يتناولون بأفواهٍ غير مستحقة جسد يسوع المسيح ، لكنهم يبتعدون كل البعد عن دم افتدائنا فنذكر ذلك على علم من قدسكم ، لكى يصير هؤلاء معروفين عندنا ويُكشَف رياؤهم الثالم الالهيات ويُمنعوا عن الاشتراك بالقدسات » والبابا جلاسيوس في القرن الخامس الذى كتب هكذا « قد اتضح لنا أن بعضاً من المسيحيين يتناولون جسد المسيح الالهي ، لكنهم يبتعدون عن كأس الدم الالهى . ولا نعلم لأي سبب يعملون هذا . فنأمر إذن أنه يجب على الجميع أن يشتركوا بالسر المقدس كاملاً وإلاّ فليكن الذين مثل أولئك غير

http://coptic-treasures.com

الجمعة وبدؤه مساء الخميس . وسنورد فيما يأتي البيّنات الكتابية القاطعة لأثبات صحة تعليم الكنيسة الارثوذكسية :—

(أولاً) قال القديس يوحنا الانجيلي « أما يسوع قبل عيد الفصح وهو عالم أن ساعته قد جاءت لينتقل من هذا العالم الى الآب اذ كان قد احب خاصته الذين في العالم احبهم الى المنتهى . فحين كان العشاء وقد ألقى الشيطان فى قلب يهوذا سمعان الاسخريوطي ان يسلّمه . . . قام عن العشاء وخلع ثيابه واخذ منشفة واتّزر بها . ثم صبّ ماء فى مغسل وابتدأ يغسل ارجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة التى كان متزرا بها . . . وقال الحقّ الحقّ اقول لكم إن واحداً منكم سيسلمني . . . اجاب يسوع هو ذاك الذى اغمس انا اللقمة واعطيه .فغمس اللقمة واعطاها ليهوذا سمعان الاسخريوطي . فبعد اللقمة دخله الشيطان » (يو ١٣ : ١ - ٢٧)

فهنا يصرّح يوحنا الانجيلي أن العشاء الربانى الذي عقبه غسل ارجل التلاميذ وتسليم يهوذا قد صنعه الرب يسوع قبل عيد الفصح لا فيه أو بعده

(ثانياً) قال القديس يوحنا الانجيلي « ثم قبل الفصح بستة ايام اتى يسوع الى بيت عنيا حيث كان لعازر الميت الذي اقامه من الاموات . فصنعوا له هناك عشاء . . . وفي الغد سمع الجمع الكثير الذي جاء الى العيد ان يسوع آتٍ الى اورشليم فأخذوا سعوف النخل وخرجوا للقائه » (يو ١٢ : ١ - ١٣) فهذا العشاء الذى صنعه يسوع كان قبل الفصح بستة ايام . اى كان مساء السبت ليلة الاحد الذي دخل فيه الرب الى اورشليم راكباً الاتان . وهذا يؤيده تفاسير البابويين . قال نيانة المطران يوسف الدبس مطران الموارنة فى كتابه تحفة الجيل فى تفسير الاناجيل الذي

http://coptic-treasures.com

مقبولين فيه ، لأن قسمة السر الواحد غير ممكنة من دون حصول إهانة عظيمة للموضوعات المقدسة والأشياء الشريفة » وكثير من المؤلفين الرومانيين يؤكدون أن الكنيسة الغربية كانت في القرون الاثني عشر الاولى تمنح سر الشركة لجميع المسيحيين تحت الشكلين مثل كنائس الشرق (راجع المجمع التريدنتيني جلسة ٢١ فى الشكر قسم ١ فصل ٣ قضية ٥ قانون ٢ وبيرون فى مقدمات اللاهوت) وقال الكاردينال بارونيوس المؤرخ « إن غريغوريوس بابا رومية قال إن المسافرين يحملون معهم جسد المسيح ودمه » (تاريخه خطاب ٣ فصل ٣١) ويشهد الكاردينال بونا نفس هذه الشهادة فى النسك في (الخدم ٢ : ١٨ : ١١) ويذكر مثال مريم البارة المصرية التى كانت تشترك من يدي القديس زوسيما بجسد المسيح ودمه (راجع السنكسار)

الفصل التاسع

مناولة الاطفال من هذا السر

إن الكنيسة المقدسة الرسولية منذ نشأتها اعتادت حسب التعليم الرسولى أنها كما تعمّد الاطفال على إيمان والديهم أو أشابينهم ، هكذا تمنحهم سر جسد الرب ودمه الأقدس ، قوتاً روحياً لهم لنيل الحياة الابدية حسب وصية الرب ، ولكن كنيسة رومية كما حرمت الأطفال من سر الميرون المقدس هكذا ابتدأت منذ القرن الثانى عشر أن تحرمهم من سر الشركة المقدس ، بدعوى أنهم لا يفهمون ، على ان ذلك باطل لأنهم ايضاً لا يفهمون معنى سر المعمودية الذى يُمنحونه . وما قلناه سابقاً فى سر الميرون عن ذلك

http://coptic-treasures.com

كاف لأدحاض هذا الزعم هنا ايضاً ، لا سيما وأن المخلّص يقول بصريح العبارة « دعوا الأولاد يأتون اليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات » فأي ذنب وأية جريمة إقترفها هؤلاء الأطفال حتى يحرموا من بركات هذا السر الأقدس . قال القديس اغسطينوس « وحقاً من يتجاسر ويقول إن هذا الرأى لا يخص الأطفال وأنهم يستطيعون أن تكون لهم حياة فيهم من دون مشاركة الجسد والدم » فى (الساقطين ١ : ٢٠) وقال البابا اينوشنسيوس الأول «أمر خارج عن الواجب أن يكرّم الأطفال بقرابين الحياة الأبدية قبل أن ينالوا نعمة المعمودية . لانهم إن لم يمضغوا دمه لا تكون لهم حياة فيهم » (رسالة ٤٣) وهاك القانون الذى سنته كنيسة رومية فى القرن التاسع « ينبغي أن يُعتنى بالأطفال حتى لا يذوقوا غذاء ما أو يرضعوا بعد المعمودية قبل أن يشتركوا بسر جسد المسيح إلاّ عند الضرورة الاخيرة» راجع (أوامر الرسل كتاب ٨ فصل ٢١) وديوناسيوس الأريوباغي فى (رئاسة الكهنوت ٧ : ١١) وكبريانوس فى (الساقطين وشهادات ضد اليهود ٣ : ٢٥)

الفصل العاشر

الاثمار الخلاصية التى ننالها بواسطة سر الشكر

إن الذين يتناولون هذا السر الأقدس باستحقاق ينالون أثماراً خلاصية أهمها : —

(أولاً) الثبات والاتحاد مع المسيح له المجد وذلك بناء على وعده

http://coptic-treasures.com

ترجمه عن اللاتينية من تفاسير كرنيليوس الحجري ويوحنا ملدوناتوس ويعقوب تيريني اليسوعيين فى صحيفة ٣١٤ عند تفسير العدد ٦ من ص ٢٦ من تفسير متى « وفيما كان يسوع في بيت عنيا : إن هذا الامر كان حدوثه قبل هذا الوقت فى اليوم السادس مساء الاحد الذي دخل فيه الى اورشليم راكباً الآتان ، وذكره متى هنا تمهيداً لذكر خيانة يهوذا، وذلك يظهر من بشارة يوحنا ١٢ : ١ حيث روى أن يسوع اتى الى بيت عنيا قبل الفصح بستة ايام فصنعوا له هناك عشاء » واذا تقرر أن قبل الفصح بستة ايام كان السبت مساء الاحد. فهل يكون عيد الفصح عند اليهود الخميس مساء الجمعة كما تدّعى الكنيسة الباباوية ام الجمعة مساء السبت كما تعلّم الكنيسة الارثوذكسية ؟

(ثالثاً) جاء ايضاً فى يو (١٨ : ٢٨) « ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية . وكان صبح . ولم يدخلوا هم الى دار الولاية لئلا يتنجسوا فيأكلون الفصح » والظاهر من هذه العبارة ان اليهود لم يدخلوا دار الولاية صباح الجمعة لئلا يتنجسوا لان الذي يأكل الفصح يجب ان يكون طاهراً . واذا تنجس امتنع عن اكل الفصح كما جاء فى سفر العدد (٨ : ٦ ـ ١١) وهذا يدل على أن فصح اليهود لم يكن قد بدأ فى يوم الجمعة صباحاً ولم يكونوا اكلوه، بل كانوا مستعدين لأكله يوم الجمعة مساء . وهذا امر لا يحتمل تأويلاً

(رابعاً) قال القديس متى الانجيلى (٢٧ : ٦٢ ـ ٦٤) « وفى الغد الذي بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون الى بيلاطس. قائلين . . . فمر بضبط القبر الى اليوم الثالث الخ » وقال مار مرقس الانجيلى (١٥ : ٤٢ و ٤٣) « ولما كان المساء إذ كان الاستعداد. اى ما قبل السبت جاء يوسف. . . وطلب جسد يسوع » وقال لوقا الانجيلى فى (٢٣ : ٥٤) « وكان يوم الاستعداد

http://coptic-treasures.com

الصادق القائل « من يأكل جسدى ويشرب دمي يثبت فيّ وأنا فيه » (يو ٦ : ٥٦) فبتناولنا من هذا السر نكون كما يقول آباء الكنيسة أعضاء جسده ومشاركي طبيعته الألهية

(ثانياً) النمو فى النعمة والكمال الروحي والحياة فى الرب يسوع لأنه له المجد يقول « جسدي مأكل حق ودمي مشرب حق ... كما أرسلني الآب الحيّ وانا حيّ بالآب فمن يأكلني فهو يحيا بى. هذا هو الخبز الذى نزل من السماء. ليس كما أكل اباؤكم المنّ وماتوا. من يأكل هذا الخبز فانه يحيا إلى الأبد (يو ٦ : ٥٥ ـ ٥٨)

فاذا كان القوت العادي يُغذّي الجسم ويقوّيه ويُعيد إليه قواه ويمنحه دقائق حيوية جديدة ، فكم بالحري هذا القوت الروحي يمنحنا الصحة والغذاء لأرواحنا ويوحّدنا بالمسيح ويشفي ضعفنا ويُنقّي نفوسنا من الخطايا

(ثالثاً) يمنحنا عربون الحياة والقيامة المجيدة كما قال له المجد «من يأكل جسدى ويشرب دمي فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الآخير ... من يأكل هذا الخبز فانه يحيا الى الأبد. » (يو ٦ : ٥٤ ـ ٥٨)

وقد قال عنه الآباء القديسون انه دواء لعدم الموت وحرز ضده، وتثبيت للحياة الأبدية بيسوع المسيح ،وان الاشتراك فى سر الشركة هو الاشتراك فى الحياة الأبدية

http://coptic-treasures.com

الفصل الحادى عشر

وجوب استعمال الخبز الخمير
وادحاض بدعة الفطير

إن الكنيسة الارثوذكسية قد تسلّمت من السيد المسيح والسادة الرسل الاطهار أن تتمم سر الشكر بخبز خمير، تابعة فى ذلك تعليم الانجيل، وما جرى عليه الرسل وآباء الكنيسة. ولكن كنيسة رومية ابتدعت منذ الجيل الحادي عشر بدعة جديدة وهي تقديس هذا السر بالفطير. ولما رأت أن كثيرين من اتباعها الشرقيين لم يقبلوا هذا التعليم، فلئلا ينشقوا عن كنيستهم، سمحت لهم باتمام السر بالخبز الخمير، مدعية انه يجوز تقديس هذا السر بالنوعين سواء من الخمير او الفطير، ولكنها لا تتممه إلا بالفطير

واول من ابتدع هذه البدعة هو ابوليناريوس الملحد الذي جدّف قائلاً ان المسيح له المجد لما تجسد اخذ من البتول القديسة مريم والدته جسداً بلا نفس ولا عقل، زاعماً زعماً فاسداً أن لاهوت المسيح اغنى عن هذين الاثنين (النفس والعقل) وبناء على بدعته هذه بدأ يقدّس سر الشكر بالفطير خالياً من الملح والخمير. مشيراً بذلك الى أن المسيح عادم النفس والعقل البشريين. وقد قُطع ابوليناريوس هذا من الكنيسة وعُدّ هرطوقياً. وانكرت الكنيسة استعمال الفطير فى هذا السر المقدس

ولدحض هذا التعليم نذكر بالاختصار سُنّة الفطير عند اليهود وزمن

http://coptic-treasures.com

والسبت يلوح » وقال يوحنا الانجيلي في (١٩ : ٤٢) « فهناك (اي في القبر) وضعا يسوع لسبب استعداد اليهود لأن القبر كان قريباً » يتضح من اقوال الانجيليين الاربعة أن يوم الجمعة الذى صُلب فيه المسيح كان يوم استعداد للفصح لا يوم الفصح . وعليه تسقط دعوى الكنيسة الباباوية بان ذلك الجمعة كان ١٥ نيسان اي بدء عيد الفطير ـ واذا اعترض الباباويون بان ذلك الاستعداد كان للسبت لا للفصح فندفع اعتراضهم بقول يوحنا الانجيلي « فلما سمع بيلاطس هذا القول أخرج يسوع وجلس على كرسى الولاية . . . وكان استعداد الفصح ونحو الساعة السادسة » (يو ١٩ : ١٣ـ١٤) فيوحنا الانجيلي يصرح بان ذلك الاستعداد كان للفصح لا للسبت . واما قول مرقس « ما قبل السبت » ولوقا « واخذ السبت يلوح » فلا يفهم منه ان الاستعداد كان للسبت بل ان ذلك السبت كان واقعاً فيه الفصح ، ولو كان الفصح واقعاً يوم الخميس مثلاً لقالا « ما قبل الخميس » « واخذ الخميس يلوح » ولا يكون المعنى حينئذ أن الاستعداد للخميس بل ان الفصح متفق وقوعه يوم الخميس

(خامساً) جاء فى (مت ٢٧ : ٣ ـ ٧) حينئذ لما رأى يهوذا الذى أسلمه انه قد دين ندم وردّ الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ ... فاخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل أن نلقيها فى الخزانة لانها ثمن دم ، فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء » وورد فى مرقس (١٥ : ٤٦) ولوقا (٢٣ : ٥٣) « فاشترى يوسف كتاناً فانزله وكفّنه بالكتان ووضعه فى قبر » وورد ايضاً في (مر ١٥ : ٢١ ، لو ٢٣ : ٢٦) « فسخروا رجلاً مجتازاً كان آتياً من الحقل وهو سمعان القيروانى ابو الكسندرس وروفس ليحمل صليبه » فمن قول متى ان رؤساء

http://coptic-treasures.com

تعييدهم الفصح وسبب ذلك . فنقول إنه لما اراد الله ان يخرج بني اسرائيل من ارض مصر وشرع يضرب المصريين الضربة الاخيرة ، التى هي إماتة الابكار من الناس والبهائم . أمر بنى اسرائيل أن تأخذ كل عائلة منهم حملاً وذلك فى اليوم العاشر من شهر نيسان ،الذى جُعل رأساً لسنتهم . وان يذبحوه فى اليوم الرابع عشر ويأخذوا من دمه ويجعلوه على قائمتى الباب وعتبته العليا . ويأكلوا لحمه فى تلك الليلة التى هي ليلة الخامس عشر من الشهر مشوياً بالنار مع فطير على اعشاب مرة . ويأكلونه واحقاؤهم مشدودة واحذيتهم في ارجلهم وعصيّهم فى ايديهم ويأكلونه بعَجَلة. هو فصح للرب . فان الرب يجتاز فى تلك الليلة ويضرب كل بكر فى ارض مصر ، ويرى الرب الدم علامة على بيوت الاسرائيليين فلا يكون عليهم ضربة للهلاك . ويكون ذلك فريضة دهرية لهم يحفلون منازلهم سبعة ايام من الخمير ويأكلون عوضه فطيراً (راجع خر ١٢ و ١٣ ، لا ٢٣،عدد ٩و٢٨، تث ١٦)

وبناء على ذلك تعلّم كنيستنا أن المسيح له المجد صنع العشاء الرباني قبل ان يأتى عيد الفصح بيوم كامل . اي مساء الخميس ١٣ نيسان الذي هو بدء الجمعة ١٤ منه. لان اليوم يبتديء من مساء اليوم الذى قبله . فبدء الجمعة هو مساء الخميس . وبدء السبت الذى كان واقعاً وقتئذ ١٥ نيسان اي اليوم الاول من عيد الفطير هو مساء الجمعة، وعليه يكون السيد له المجد تمم هذا السر بخبز خمير قبل أن يبدأ استعمال الفطير . واما الكنيسة الباباوية فتزعم ان الخميس الذى صنع المسيح فى مسائه العشاء السري كان واقعاً وقتئذ ١٤ نيسان لا ١٣ منه كما تعلّم كنيستنا فيكون اليوم الاول من عيد الفطر وقتئذ

http://coptic-treasures.com

الهكنة اشتروا يوم الجمعة حقل الفخاري نتأكد أن يوم الجمعة لم يكن قد دخل الفصح لانه لو كان دخل فكيف جاز لهم ان يشتروا فيه والناموس ينهي عن ذلك في اليوم الاول من العيد. كذلك من قول مرقس أن يوسف الذى كان من كبار اليهود اشترى كتاناً يوم الجمعة نتأكد ان يوم الجمعة لم يكن قد دخل الفصح وكذلك ايضاً نتأكد من قول مرقس ولوقا أن سمعان القيروانى كان آتياً من الحقل يوم الجمعة ، ان ذلك اليوم لم يكن يوم عيد الفصح.

(سادساً) قال يوحنا الانجيلي «ثم إذ كان استعداد فلكى لا تبقى الاجساد على الصليب فى السبت لان يوم ذلك السبت كان عظيماً سأل اليهود بيلاطس ان تُكسّر سيقانهم ويُرفعوا» (يو ١٩ : ٣١) ففى هذه الآية نرى (١) أن يوم ذلك السبت كان عظيماً بسبب وقوع الفصح فيه (٢) أن عصر الجمعة حين موت المسيح على الصليب كان استعداد الفصح لا يوم الفصح (٣) أن اليهود فى عصر ذلك اليوم سألوا بيلاطس ان تكسر سيقان المصلوبين لموتهم ودفنهم قبل السبت لئلا تبقى الاجساد على الصليب فى ذلك السبت الواقع فيه الفصح ، لان دفنها فيه محرّم وبقاؤها يذهب ببهاء العيد. فلو كان الفصح وقتئذ الجمعة لما كانوا يلحون على بيلاطس فى طلبهم

(سابعاً) قال الانجيليون متى ومرقس ولوقا بان الوالي كان يطلق لليهود فى العيد اسيراً من ارادوه وأنه اطلق لهم باراباس واسلم اليهم يسوع بعد ما جلده (مت ٢٧ : ١٥ ـ ٢٦ ، مر ١٥ : ٦ و ١٥ ، لو ٢٣ : ١٧) فمن اطلاق بيلاطس الوالي باراباس اللص يوم الجمعة حينما حوكم المسيح واسلم للصلب، يتبين ان الفصح لم يكن قد حلّ ، لان العادة كانت ان يُطلق الاسير

http://coptic-treasures.com

قبل دخول الفصح ليعيّده مع اهله لا بعد مضيّه

(ثامناً) قال يوحنا الانجيلى عن يهوذا الاسخريوطي « فبعد اللقمة دخله الشيطان. فقال له يسوع ما انت تعمله فاعمله باكثر سرعة . واما هذا فلم يفهم احد من المتكئين لماذا كلّمه به. لان قوماً إذ كان الصندوق مع يهوذا ظنوا أن يسوع قال له اشترِ ما نحتاج اليه للعيد» (يو ١٣ : ٢٧ ـ ٢٩) فالخميس مساء بدء الجمعة حينما صنع الرب يسوع العشاء السرى متكئاً مع تلاميذه، غمس لقمة وناولها ليهوذا ، وجرى ماجرى ،ومن هنا يتبين أن العيد لم يكن قد دخل، لان الاستعداد والشراء يكونان قبل حلوله لا بعده

(تاسعاً) جاء فى انجيل متى ومرقس « حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب الى دار رئيس الكهنة الذى يُدعى قيافا. وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكرٍ ويقتلوه .ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب » (مت ٢٦ : ٣ ـ ٥ ؛ مر ١٤ : ١و٢) فمن قول البشيرين يتبين أن المسيح حوكم وصُلب فى غير يوم العيد .لأن رؤساء الكهنة صمموا على ذلك لئلا يقع شغب فى الشعب الذى كان يجتمع من كل ناحية

(عاشراً) إن يوم الخمسين المدعو عند اليهود عيد الأسابيع وقع فى تلك السنة التى صُلب فيها المخلص يوم الأحد،وفيه حلّ الروح القدس على الرسل وهذا اليوم هو أحد الخمسين من قيامته كما جاء فى سفر الأعمال(٢ :١ـ ١٣) ومن المعلوم عند دارسي الكتاب ان عيد الخمسين يقع بعد الفصح بسبعة أسابيع ولهذا يُسمى عيد الأسابيع كما جاء فى سفر الخروج«وتصنع لنفسك عيد الأسابيع ابكار حصاد الحنطة.وعيد الجمع فى آخر السنة »(خر٣٤ : ٢٢) وفى سفر اللاويين « ثم تحسبون لكم من غد السبت من يوم اتيانكم

http://coptic-treasures.com

بحزمة النرديد سبعة أسابيع تكون كاملة. إلى غد السبت السابع تحسبون خمسين يوماً. ثم تقرّبون تقدمة جديدة للرب » (لا ٢٣ : ٢٥ و ١٦) ومتى تقرر أن عيد الخمسين وقع فى تلك السنة فى يوم الأحد كما جاء فى سفر الأعمال، وأن هذا العيد يقع بعد الفصح بسبعة أسابيع، فهل يكون الفصح يوم الجمعة كما يقول البأباويون أم يوم السبت كما تقول الكنيسة الارثوذكسية؟

(حادى عشر) جاء فى (مت ٢٦ : ٢٦ ،مر ١٤ : ٢٢ ، لو ٢٢ : ١٩) ان الرب يسوع أخذ خبزاً وبارك وكسر. وقال الرسول بولس « إن الرب يسوع فى الليلة التى أسلم فيها أخذ خبزاً. وشكر فكسر وقال خذوا كلوا هذا هو جسدي » (١ كو ١١ : ٢٣) وكلمة خبز فى اليونانية « آرطوس » أى مرتفع تطلق على الخمير لا الفطير. ولسائل يسأل أين وُجد الخبز المختمر وقتئذ؟ فنجيب أنه وجد فى البيت الذى صنع فيه الرب العشاء. لأن اليهود إلى ذلك الحين كانوا يأكلون الخبز المختمر. واذا سألنا نحن المعترض من أين وُجد الفطير قبل حلول العيد؟ صعب عليه الجواب. ولكن مرقس الأنجيلى يرفع كل شبهة بقوله « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع خبزاً » (مر ١٤ : ٢٢) كذلك الرسل لم يستعملوا سوى الخبز الخمير الاعتيادى كما ورد فى سفر الأعمال (راجع اع ٢ : ٤٢ و ٤٦ ، ٢٠ : ٧ ، ١ كو ١٠ : ١٦ و ١٧ ، ١١ : ٢٣)

(ثانى عشر) إن سر الافخارستيا لم يتمم منذ الأزمنة الرسولية إلا بخبز خمير للأسباب الآتية (١) لأن الخبز الذى كان يُستعمل فى السر كان يجُمع من تقدمات الشعب أي من بيوت المؤمنين وكانوا يقدمونه خبزاً اعتيادياً يصلح لموائد المحبة التى كانوا يعملونها ولاعانة الفقراء (٢) لم يسمه أحد من

http://coptic-treasures.com

الآباء الأقدمين فطيراً بل يسمونه خبزاً اعتيادياً وأحياناً خبزاً مختمراً (٣) إن القديس ابيفانيوس رئيس أساقفة قبرص عند تكلمه عن الهراطقة قال عن هرطقة الابيونيين « إنهم كانوا يتمسكون بالشريعة الموسوية وانهم كانوا يتممون سر الافخارستيا بفطير وماء فقط » (هرطقة ٣٠ : ١٦) موضحاً أن ذلك مخالف لعادة الكنيسة (٤) إن كثيرين من المؤلفين الغربيين من الكاثوليك والبروتستانت يعترفون في مؤلفاتهم ويبرهنون أن الفطير لم يكن مستعملاً في الكنيسة الغربية إلى القرن الحادى عشر (سيرموند فى تأليفه فى الفطير سنة ١٦٥١ وكوتيلاريوس في مؤلفه فى الكنيسة اليونانية (صحيفة ١٠٨) وباكيوس فى حواشيه على تاريخ بارون (٣١٣ : ١٥) وبينكام في الكنيسة القديمة (١٥ : ٢٠) وتاريخ الكنيسة لكلاين (جزء ٤ صحيفة ٤٣٠) قال البابا اينوشنسيوس « إن القسوس يأخذون خبزاً مختمراً لكى لا يشهروا ذواتهم منفصلين عن ذلك الاله العلى » (رسالة ٢٥ : ٤ : ٨) وقال البابا ملتيادس في ترجمته « هكذا قد صنع أن تقدّم قرابين للكنيسة ... القرابين التى نسميها « مختمراً » وقال بيرون فى كتابه مقدمة اللاهوت فى شرح سر الافخارستيا (قسم ٢ فصل ٣ قضية ١) « إن الخمير والفطير يصلحان على السواء لاتمام سر الشكر الالهي » ولكنهم فى التقديس لا يستعملون غير الفطير وحده

الفصل الثانى عشر

ادحاض الاعتراضات فى هذا الشأن

أما دعاوي الكنيسة البابوية التي تقدمها، وتزعم بناء عليها أن يوم

http://coptic-treasures.com

ذلك الجمعة الذى صلب فيه المسيح كان ١٥ نيسان أول العيد . وأن المسيح له المجد قدّس سر جسده ودمه الأقدسين على الفطير ، فنوردها هنا مع الرد عليها : —

(أولاً) جاء فى انجيل متى « وفى أول أيام الفطير تقدّم التلاميذ إلى يسوع قائلين له أين تريد أن نعدّ لك لتأكل الفصح. فقال اذهبوا إلى المدينة إلى فلان . وقولوا له. المعلم يقول إن وقتي قريب .عندك أصنع الفصح مع تلاميذي . ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح »(مت ٢٦ :١٧ - ١٩) وفى انجيل مرقس « وفى اليوم الأول من الفطير حين كانوا يذبحون الفصح قال له تلاميذه . أين تريد أن نمضي ونعدّ لتأكل الفصح الخ » (مر ١٤ : ١٢) وفى انجيل لوقا « وجاء يوم الفطير الذي كان ينبغي أن يُذبح فيه الفصح. فأرسل بطرس ويوحنا قائلاً اذهبا واعدّا لنا الفصح لنأكل » (لو ٢٢ : ٧ و ٨) ويستندون على قول متى ومرقس « وفى أول أيام الفطير» وقول لوقا « وجاء يوم الفطير »

فنرد على ذلك بأنه لا توجد مناقضة بين انجيل وآخر ، ولا بين آية وغيرها ، ولا يمكن أن يخالف انجيلي نفسه أو غيره . وهذا أمر مسلم به عند جميع المسيحيين . وقد أثبتنا فيما سبق أن الانجيليين الثلاثة متى ومرقس ولوقا يصرحون أن يوم الجمعة كان استعداد الفصح لا يوم الفصح . وأن اليهود فى ذلك اليوم كانوا يشترون ويعملون يوم الجمعة أعمالاً لا تجوز مطلقاً فى اليوم الأول من العيد ، مثل شراء حقل الفخاري ، وشراء يوسف كتاناً ، وذهاب سمعان القيروانى الى الحقل ، وتسخيره حمل الصليب .وان ظهر الجمعة أطلق باراباس اللص قبل أن يدخل العيد وغير ذلك . فمن المستحيل

http://coptic-treasures.com

سر التوبة

الفصل الاول

تعريف سر التوبة وتأسيسه

سر التوبة هو رجوع الخاطيء الى الله ومصالحته معه تعالى ، باعترافه بخطاياه أمام كاهن الله ليحصل على حل منه بالسلطان المُعطى له من الرب يسوع . وبه ينال تجديده وغفران خطاياه. وقد دعا العلامة ترتوليانوس هذا السر «حلاً للخطايا» و« ميناء ثانية بعد الغرق ». ودعاه القديس ايريناوس « اعترافاً » . ودعاه اغسطينوس « مصالحة » . ودعاه مجمع قرطاجنة « معمودية ثانية »

وقبل أن يؤسس الرب يسوع هذا السر وعد به مرتين ، الأولى عندما أعترف به بطرس قائلاً أنت هو المسيح ابن الله الحيّ . فقال له السيد « وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات . وكل ما تحلّه على الأرض يكون محلولاً فى السموات » (مت ١٦ : ١٩) والثانية عندما أعطى الكنيسة سلطان الحل والربط بقوله لتلاميذه «وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة . وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثني والعشار . الحقّ أقول لكم كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطاً فى السماء . وكل ما تحلّونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء » (مت ١٨ : ١٧ و ١٨) وبناء على هذه المواعيد أسس الرب هذا السر بعد قيامته عندما ظهر لتلاميذه وقال لهم « سلام لكم . كما

http://coptic-treasures.com

أن يناقض الانجيليون أنفسهم ومن المستحيل أيضاً أن يناقضوا أخاهم يوحنا الانجيلى الذى يصرح أن قبل الفصح صنع يسوع العشاء السري. وأن اليهود صباح الجمعة لم يكونوا أكلوا الفصح ، بل كانوا مستعدين لأكله وأن يوم ذلك السبت كان عظيماً لوقوع اليوم الأول من الفطير فيه الخ فاذاً لا بد أن نبسط الغرض والمعنى فى قول الانجيليين ونوضحه بأجلى بيان

أما قول لوقا «وجاء يوم الفطير» فهو بمعنى «قَرُبَ» لأن الأمور المقرر وقوعها في وقت معين يقال عنها جاءت أو بلغت اذا كان هذا الوقت قريباً جداً . ففى يوم الجمعة العظيمة أو يوم السبت العظيم عندنا نحن المسيحيين يصح أن يقال « جاء عيد الفصح » أى صار قريباً جداً لا أنه جاء حقيقة وهكذا قصد لوقا كما يتضح من نفس قوله «واعدّا لنا الفصح لنأكل » لأن الاستعداد يكون قبل دخول العيد لا بعده، وهذا ما قاله القديس يوحنا ذهبي الفم فى شرحه كلام لوقا « وجاء يوم الفطير الذى كان ينبغي أن يُذبح فيه الفصح يعني أنه كان قريباً . وعلى الأبواب لا أنه أتى » (تفسير متى ٢٦ : ١٧)

أما كلام الانجيلى متى فى اليونانى فهو (تى ذَى بروتى تون أزيمون) وتعريبه وفي أول الفطير وقول مرقس (كى تى أيميراتون أزيمون) وتعريبها وفى أول يوم الفطير فلفظة « بروتى » التى تعريبها أول تأتى أحياناً فى اللغة اليونانية بمعنى قبل وقد وردت مراراً فى شعر هوميروس أعظم شعراء اليونان بمعنى قبل . واليانوس أحد كتبة اليونان المشاهير استعملها بمعنى قبل فى قوله « إى بر وتى موتافتا انيخنيفساندس نى » وتعريبه الذين قبلي بحثوا هذه الابحاث فضلا عن ان القديس يوحنا الانجيلى نفسه اوردها

http://coptic-treasures.com

فى الاصحاح الاول من بشارته بمعنى قبل حيث يقول « اوتى بروتوس موإين » اي « الذي ياتى بعدي انه كان قبلى » (يو ١ : ١٥) وفي لغتنا العربية تأتي « أول » احياناً بمعنى قبل نحو « أول من أمس » اى قبل أمس . فقول متى ومرقس « وفى أول ايام الفطير » يُقصد به « قبل الفطير » كما يتبين من قولهما « اين تريد ان نعدّ لك لتأكل الفصح »

وقد شرح كثيرون من اللاهوتيين بان الفصح الذى صنعه مخلصنا ليس هو الفصح اليهودي القديم ، بل هو الفصح الجديد الذى اشار اليه المخلّص بقوله « هذا هو دمي الذي للعهد الجديد » (مت ٢٦ : ٢٨) وبقوله « شهوة اشتهيت ان آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم » (لو ٢٢ : ١٥) فالفصح الناموسى اليهودي ما كان يشتهيه ، لانه كان قد أكله معهم مرات ، بل الفصح الجديد ، أى أنه اشتهى أن يسلّمهم فصحاً جديداً بعهد جديد . ومن المعلوم أن مخلصنا وتلاميذه كانوا متكئين في هذا الفصح ، وكانوا يشربون خمراً ويغمسون أيديهم في الصفحة وما أشبه . فلو كان الفصح اليهودى لما جاز لهم ذلك ، لأنه يجب أن يأكله اليهود وقوفاً بحَمَل مجرد مع أعشاب مُرة ، فلا يتكئون ولا يشربون معه خمراً أو غيره . فضلا عن أن الفصح الاسرائيلى ابتدأ فى ذلك الوقت مساء الجمعة بدء السبت ، والمسيح صنع فصحه مساء الخميس بدء الجمعة . والقديس يوحنا ذهبي الفم في شرحه الاصحاح ٢٦ من بشارة متى ظن أن في مساء الخميس بدء الجمعة حينما صنع المسيح العشاء كان قد دخل الفصح اليهودى . ولكنه عندما شرح انجيل يوحنا غيّر رأيه بعد أن تحقق وقال فى شرحه الاصحاح الثامن عشر منه ما نصه « إن المسيح صنع الفصح قبل بيوم حافظاً ذبيحة إلى الجمعة عندما صار الفصح القديم أيضاً »

http://coptic-treasures.com

أرسلني الآب أرسلكم أنا . ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس. من غفرتم خطاياه تُغفر له .ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » (يو ٢٠ : ٢١ — ٢٣) فيتضح من هذه النصوص الالهية أن الرب يسوع منح تلاميذه وخلفاءهم سلطاناً أن يحلوا الخطايا ويربطوها ، وأن يتركوها ويمسكوها بقوة روح الله القدس . وأن يعلنوا غفران الخطايا للبشر

الفصل الثاني

استعمال هذا السر فى الكنيسة

قد نشأت الكنيسة منذ العصر الرسولي وهي تستعمل وتمارس هذا السر ، وقد حفظه وعلّم به جميع آباء الكنيسة بكل تدقيق . فقد ورد فى قوانين الرسل هكذا « إن كل أسقف أو قسيس لا يقبل من يرجع عن خطيته بل يطرده يُقطع لأنه يحزن المسيح القائل يصير فى السماء فرح بخاطىء واحد يتوب » (قانون ٥٢) وورد أيضاً فى أوامر الرسل تذكير لمتقدمي الكنيسة بأنهم أؤتمنوا على سلطان الحل والربط ، وإشارة إلى الوجوه التى بها يفحصون الخطاة ويرشدون التائبين ، وفي الوقت نفسه أوصت المؤمنين بأن « وقروهم (الآباء الروحيين) وأكرموهم وقدموا لهم جميع أنواع الكرامة ، لأنهم أخذوا من الله سلطان الحياة والموت بأن يحاكموا الخطاة ويحكموا بموت نار أبدي ، وأن يحلوا الراجعين عن خطاياهم » (راجع كتاب ٢ : ١١ و ١٢ و ١٥ و ١٦ وفصل ٣٦ ـ ١٠ : ٤٨) وقد مارس الرسل أنفسهم هذا السلطان كما يتضح مما جاء فى سفر أعمال الرسل

http://coptic-treasures.com

(ثانياً) يزعم الباباويون ان حَمَل الفصح الاسرائيلى الذى خلّص الاسرائيليين قديماً كان رمزاً إلى المسيح حَمَل الله الرافع خطايا العالم. فمن الضرورة أن يُذبح المسيح يوم ذبح الحَمَل الفصحي الاسرائيلي، وبما ان المسيح صُلب يوم الجمعة فيكون عيد الفطير يوم الجمعة لا يوم السبت

ونرد على ذلك بأن هذه الدعوى عليهم لا لهم، لان حَمَل الفصح يجب ان يُذبح مساء اليوم الرابع عشر بدء اليوم الخامس عشر، ويؤكل تلك الليلة ولا يبقى منه شيء الى الصباح. فلو كان عيد الفطير يوم الجمعة حين صُلب المسيح لكان ذبح الحمل الفصحي مساء الخميس. والمسيح ذبح الساعة التاسعة من يوم الجمعة وبين مساء الخميس وعصر يوم الجمعة احدى وعشرون ساعة، وعلى ذلك يكون العيد يوم السبت ليذبح الحمل الفصحي الاسرائيلى مساء الجمعة، اي وقت ذبح المسيح أو بعده بساعتين، وحينئذ يقال ان المسيح والحمل تقدما فى وقت واحد، فاذن تلك الدعوى ساقطة

«ثالثاً» يزعمون أن المسيح له المجد لما رافق التلميذين في طريقهما الى عمواس يوم قيامته فى عيد الفطير واتكأ معهما «أخذ خبزاً وبارك وكسّر وناولهما» (لو ٢٤ : ١٣ ـ ٣٥) وعلى ذلك يكون الرب يسوع صنع سر الشكر بفطير

فندحض هذا الزعم بان ما عمله مخلصنا فى عمواس لم يكن سر الافخارستيا (١) لان الرب عمل هذا السر مرة واحدة، وسلّمه لتلاميذه قائلاً «اصنعوا هذا لذكري» وهو غير محتاج ان يذكر نفسه للتلميذين فى طريق عمواس. وجميع الآباء القديسين متفقون على أن المسيح له المجد صنع عشاءه السري مرة واحدة يوم الخميس مساء (٢) إن المسيح اعطى هذين التلميذين خبزاً فقط ولم يعطهما خمراً ومن المعلوم ان هذا السر لا يتم

http://coptic-treasures.com

إلا تحت الشكلين الخبز والخمر (٣) إن المسيح لما ناولهما الخبز لم يقل لهما هذا هو جسدي كما سماه يوم الخميس ، ليعلم التلاميذ أن القصد من تلك البركة تقديسه وصيرورته جسداً . اما هنا فاكتفى بأن بارك وكسّر وناولهما ، وقصد بهذه البركة اعجوبة تفتيح أعين التلميذين ليعرفاه، اما كونه كسر وبارك فهكذا اعتاد المخلص، لأنه أيضاً بارك وكسر وأعطى الخمسة الأرغفة والسمكتين (مت ١٤ ومر ٦ ولو ٩)فهل قصد بهذه البركة وهذا الكسر سر الافخارستيا ؟ وهل يصح التقديس على السمك بدعوى أن المسيح باركه وكسره وأشبع منه الوفاً ؟. ثم أن ذلك الخبز كان من الشعير كما يشير اليه يوحنا (يو ٦ : ٩) فهل يصح التقديس على خبز الشعير بدعوى ان المسيح باركه ؟ لقد اعتاد الآباء رؤساء الكهنة والكهنة ان يباركوا ويكسروا الخبز فى البيوت عند الارثوذكسيين وعند البابويين ،فهل هم بذلك يصنعون سر الافخارستيا ؟ لا شك ان هذا الزعم ساقط من أساسه

(رابعاً) يدّعون أن بولس الرسول اشار الى تقديس هذا السر بالفطير بقوله « اذاً نقوا منكم الخميرة العتيقة . لكى تكونوا عجيناً جديداً كما انتم فطير . لان فصحنا ايضا المسيح قد ذبح لاجلنا »(١ كو ٥ : ٧)

فندحض هذه الدعوى بان الرسول بولس لم يتكلم هنا عن الخميرة الحسية، اى الخبز المختمر . بل عن الخميرة المعنوية ، اى الخبث والشر . وفى الآية التى بعدها يقول« اذاً لنعيّد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الاخلاص والحق » مشيراً بذلك الى ما كتبه لهم قبل ذلك فى اول الاصحاح عن الزانى لكى ينزعوه من بينهم ،وقال لهم فى العدد السادس« ان خميرة صغيرة تخمّر العجين كله » واليك تفسير الكنيسة الكاثوليكية

http://coptic-treasures.com

(١٩ : ١٨) « وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرّين ومخبرين بأفعالهم »

وقد استعمل بولس الرسول هذا السلطان مع المختلط بالدم فى كورنثوس حيث حرمه وفرزه من الكنيسة ولما أثمر فيه العلاج عاد وحلّه من قصاصه وأعاده الى الكنيسة (راجع ٢ كو ٢ : ٥ — ١١)

وقد اعترف جميع آباء الكنيسة صراحة بهذا التعليم فقد قال القديس كبريانوس « إن هؤلاء قبل أن يتوبوا عن خطاياهم بانسحاق قلب وبساطة، وقبل أن يعترفوا أمام كهنة الله العلي ويطهّروا ضمائرهم، ويطلبوا من الكهنة علاجات خلاصية لجراحهم الروحية، ويستعطفوا الرب على الاهانة التى أهانوا بها إيمانه العديم العيب ، يتجاسرون بلا حياء أن يشتركوا بجسد الرب ودمه . . . فاطلب إليكم أيها الأحباء أن تعترفوا بخطاياكم مادمتم فى الحياة الحاضرة ، حيث الصفح عن الخطايا الممنوح من الكهنة مقبول ومرضي عند الله أيضاً » (فى الساقطين ٢٨ و ٢٩) وقال القديس اثناسيوس « كما أن المعمّد يستنير بنعمة الروح القدس ، هكذا بواسطة الكاهن ينال التائب الغفران بنعمة المسيح » (ضد الناواتيين) وقال القديس باسيليوس الكبير « إن الاعتراف بالخطايا للمؤتمنين على تدبير أسرار الله ضروري ، لأن الذين كانوا يندمون قديماً نرى أنهم هكذا صنعوا نحو القديسين وقد كُتب فى الأنجيل أنهم كانوا يعترفون بخطاياهم ليوحنا المعمدان وفى أعمال الرسل انهم كانوا يعترفون للرسل الذين كانوا يعمّدون منهم » (قوانينه المختصرة جواب على سؤال ٢٨٨) وقال القديس يوحنا ذهبي الفم « لأن ساكني الأرض والقاطنين فيها قد سُمح لهم أن يسوسوا ما فى السموات ، وأخذوا سلطاناً لم يُعطه الله لا للملائكة ولا لرؤساء الملائكة ، لأنه لم يقل لأولئك كل ما تربطونه على

http://coptic-treasures.com

نفسها في ذلك « قال الخوري يوسف العَلَم الكاهن اللبناني في كتابه (تيسير الوسائل في تفسير الرسائل صحيفة ١٦٢) عند تفسيره قول الرسول هذا « اى أبعدوا عنكم خميرة الانسان العتيق الفاسد ، اي كل خطية ورذيلة . واطردوا من بينكم الزاني المشار اليه ، لئلا يفسد غيره كما قال الذهبي ، لتكونوا اطهاراً قديسين كما انتم كذلك . لانكم بالمعمودية تطهرتم من كل خطية . فيجب عليكم ان تكونوا هكذا دائماً . وكما ان العجين الفطير يخلو من كل خمير ، كذلك أنتم يجب ان تتنظفوا من كل خطية » وقال القديس يوحنا الذهبي الفم في عظته التي قصد ان يوضح بها شرف العهد الجديد على العهد القديم ما نصه « إن في العهد القديم كان الكتاب ، ولكن هنا الروح . هناك التابوت ، وهنا البتول . هناك عصا هرون ، وهنا الصليب . هناك الحمل ، وهنا المسيح . هناك الفطير ، وهنا الخمير » وقال القديس ابيفانيوس رئيس اساقفة قبرص ، في دحضه بدعة الإبيونيين ، الذين كانوا يتمسكون بالشريعة الموسوية ويقدمون الفطير في سر الشكر « إنهم يتممون الاسرار اقتداء بالقديسين في الكنيسة من الحول الى الحول بالفطير والجزء الآخر بالماء فقط » اي أن هؤلاء الهراطقة كانوا يريدون الاقتداء بآباء الكنيسة القديسين في تقديم سر الشكر الالهي ، ولكنهم يريدون ان يتبعوا الانظمة اليهودية فيقدّمون بدل الخبز الخمير فطيراً وبدل الخمر ماء فقط . فاستعمال الفطير في سر الشكر احياء لبدعة ابوليناريوس وامثاله .

---

http://coptic-treasures.com

الأرض يكون مربوطاً في السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء . . . ثم إن للمتسلطين سلطاناً في الأرض أن يربطوا ولكنهم يربطون أجساداً فقط ، واما هذا الرباط فانه يمسّ النفس عينها ، ويجتاز السموات ،وما يعمله الكهنة تحت ، يثبته الله فوق ، ويؤيد السيد رأى العبيد » (في الكهنوت خطاب ٣ : ٤ و ٥)وقال أيضاً « أيّ سلطان يمكن أن يكون أعظم من هذا السلطان ؟ إن الآب أعطى الحكم كله للابن. وأرى أن هؤلاء تسلّموه كله من الأبن . . . وقد كان لكهنة اليهود سلطان أن يطهروا برص الجسد ، وبالأحرى لم يكونوا يطهرونه بل يفحصون المتوقين منه ، وأنت تعلم كم كان سلطانهم وقتئذ مشتهى . ولكن هؤلاء قد نالوا سلطاناً لا على برص جسدانيّ بل على الدنس النفسانيّ ،ولا أن يفحصوه بعد التطهير بل أن يطهروه تماماً » (الكهنوت خطاب٣ : ٥ و٦) وقال القديس امبروسيوس « من يستطيع أن يترك خطايا إلاّ الله وحده والذين أعطاهم هو هذا السلطان »(جزء ٥ : ١٣) وقال « إن هذا الحق أعطي للكهنة وحدهم » (التوبة ٢:١) وقال « إن البشر يتممون سرّ التوبة لغفران الخطايا من دون أن يكون لهم سلطان في ذلك بأسمهم ، وإنما يتممونه بالاسم الممجد اسم الآب والابن والروح القدس ، فهم يطلبون والله يُعطي ، وعلى البشر الطاعة هنا ومن الله الهبة العظيمة » (في الروح القدس ٣ : ٨)وقال القديس كيرلس الاسكندرى « إن المتوشحين بالروح القدس يتركون الخطايا أو يمسكونها على نوعين كما أرى: إما بأنهم يدعون إلى المعمودية الذين أقتضى نوالهم إياها حسن سلوكهم وخبرتهم في الايمان ، وإما بأنهم يمنعون البعض ويحجبونهم عن النعمة الالهية ، لأنهم لم يصيروا بعد مستحقين لها . أو على

http://coptic-treasures.com

وجه آخر أيضاً يتركون الخطايا ويمسكونها، وذلك إما بقصاصهم أبناء الكنيسة عندما يخطئون، وإما بمسامحتهم إياهم عندما يندمون» (تفسير يوحنا ٢٠: ٢٣) وقال القديس اغسطينوس « إن الخطية اذا فعلها موعوظ تُغسل بالمعمودية واذا فعلها معتمد تُترك بالتوبة »

ونقول أخيراً ان هذا التعليم قد أجمعت عليه جميع الكنائس الرسولية شرقاً وغرباً ، وهذا الاتفاق العام دليل على أنه تعليم رسولي مارسته الكنيسة الرسولية منذ انشائها .والتاريخ يشهد أيضاً بهذه الحقيقة . أضف الى ذلك أن الكنيسة البروتستانتية التى أنكرت هذا التعليم تسلّم به فى كتبها، فقد جاء فى كتاب نظام التعليم فى علم اللاهوت القويم ما نصه « الكنائس اللوثرية والأسقفية تستحسن الاعتراف السري للراعي فى بعض الأحوال . وجميع الانجليين يرفضون الحلّة الكهنوتية إلا نظير تصريح قانونى للتائبين برحمة الله الغافرة » (جزء ١ صحيفة ١١٧) وجاء فى كتاب الصلاة العامة للكنيسة الأسقفية ما نصه « وهنا يحث القس المريض على الاقرار بخطاياه وبعد الاقرار يحلّه القس على هذا الوجه : ربنا يسوع المسيح الذى ترك لكنيسته سلطاناً على أن يحلّوا جميع التائبين المؤمنين به حقاً ، ليغفر لك خطاياك برحمته العظيمة ، وأنا بسلطانه الذى فوّض إليّ أحلّك من جميع خطاياك باسم الآب والأبن والروح القدس آمين » (صحيفة ٢٧٩)

---

http://coptic-treasures.com

الفصل الثالث

شروط التوبة

للتوبة أربعة شروط (١) انسحاق القلب وندامته على الخطايا السالفة (٢) عزم ثابت على إصلاح السيرة (٣) إيمان وطيد بالمسيح يسوع ورجاء فى تحننه (٤) إعتراف شفوي بالخطايا أمام الأب الروحي

فالشرط الأول وهو انسحاق القلب ضروري جداً ، وهو شرط جوهرى لازم للتوبة الحقيقية . فان على التائب حقيقة أن يشعر بثقل خطاياه ويعترف بنتائجها المهلكة ،ويعترف أنه أقترف أمام الله جريمة استحق بها بُعد الله عنه . وعليه أن يحزن ويتوجع لأنه أغضب الله وتعدّى على شريعته . وإذا فُقد هذا الانسحاق وهذه الندامة فليست هناك توبة حقيقية بل رياء ظاهري .ولهذا لما طلب الله من الاسرائيليين أن يرجعوا إليه بالتوبة قال لهم « ارجعوا إليّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح . ومزقوا قلوبكم لاثيابكم وأرجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ، ويندم على الشر »(يوئيل٢ : ١٢ و ١٣) وقال المرنم « ذبائح الله هي روح منكسرة.القلب المنكسر والمنسحق يا الله لاتحتقره »(مز٥١:١٧) ولما أراد المخلّص أن يبيّن فى العهد الجديد علامات التوبة الحقيقية فى الراجعين، بيّن ذلك فى مَثَل الابن الشاطر الذى حكم على نفسه بأنه غير مستحق أن يكون ابناً ورجع الى أبيه متخشعاً منسحقاً قائلاً « اخطأت إلى السماء وقدامك .ولست مستحقاً بعد أن أدعى لك أبناً إجعلني كأحد أجراك»

http://coptic-treasures.com

(لو ١٥ : ١٨ و١٩) ومثل العشار الذي تواضع بحزن شديد وتنهدات عميقة طالباً رحمة الله قائلاً « اللهمّ إرحمني أنا الخاطيء » (لو ١٨ : ١٣) وكما قال بولس الرسول « لأن الحزن الذى بحسب مشيئة الله يُنشيء توبة لخلاص بلا ندامة » (٢ كو ٧ : ١٠) وبناء على هذا التعليم أعترف جميع آباء الكنيسة بأن الانسحاق والندامة على الخطية خاصة جوهرية للتوبة . وكتب القديس كبريانوس هكذا « إخوتى الأحباء : هلموا الى الندامة والتخشع بنفس منسحقة واحصوا خطاياكم واعرفوا ثقل الأوزار بضمير حسن . وافتحوا أعين قلوبكم لتدركوا نقائصكم . وبقدر ما نكثر من الخطايا نحن مديونون أن ننوح على الخطايا » (فى الساقطين ٢٥) وقال القديس يوحنا ذهبي الفم « إن كان بكاء بطرس محا خطية عظيمة جداً ، فأنت إذا بكيت كيف لا يمحو خطيتك ؟ لأن إنكار ذاك لسيده لم يكن جريمة صغيرة بل عظيمة وقوية . ومع ذلك فقد محت الدموع الخطية . فأبكِ إذن أنت ايضاً على خطيتك ولكن لا يكونن بكاؤك على حسب العادة وفى الظاهر فقط بل ابك بمرارة مثل بطرس وقدّم ينابيع دموعك من داخل العمق حتى يتحنن عليك السيد ويصفح عن ذنبك » (فى التوبة ٣ : ٣) وقال القديس باسيليوس « يجب على التائبين أن يبكوا بمرارة وأن يُظهروا من قلوبهم سائر علامات التوبة » (فى أدبياته ١ : ٣) وقال أيضاً « إن التوبة تدعو الانسان أولاً أن يصرخ فى نفسه ويسحق قلبه ثم أن يصير قدوة صالحة للآخرين ويجعل طريقة توبته مسموعة ويشهرها » (شرح اشعياء ١٥)

ولا يجب أن يكون هذا الانسحاق ناتجاً عن الخوف من العقاب ، بل ينبغي أن يكون انسحاق القلب ناشئاً عن شعور بأنه أغضب الله المحسن

http://coptic-treasures.com

إليه ، لأن الحزن الأول هو حزن العبيد ، أما النوع الثانى فهو شعور الأبناء. قال القديس يوحنا ذهبي الفم « تنهّد عندما تخطىء لا لأنك مزمع أن تعذّب لأن هذا ليس شيئاً ، بل لأنك خالفت سيدك الوديع الذى يود ويصبو إلى خلاصك حتى أنه أعطى ابنه عنك ، فلهذا تنهد واصنع هكذا دائماً لأن هذا هو اعتراف » (مقالة ٧ : ٥ على ٢ كو)

والشرط الثانى الذى هو العزم الثابت على إصلاح السيرة هو نتيجة ضرورية للانسحاق على الخطية . ولا فائدة للتوبة ولا معنى لها بدون هذا الشرط . ولذلك لما نادى يوحنا المعمدان بالتوبة ورأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم « يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى . فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة » (مت ٣ : ٧ و ٨) وقال السيد للمخلّع الذى شفاه « ها أنت قد برئت . فلا تخطيء أيضاً لئلا يكون لك أشر » (يو ٥ : ١٤) وقال للخاطئة « ولا أنا أدينك . إذهبي ولا تخطيء أيضاً » (يو ٨ : ١١) وقال بطرس الرسول « توبوا وأرجعوا لتمحى خطاياكم لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب » (اع ٣ : ١٩) وفى سفر الرؤيا وجه السيد الخطاب إلى ملاك كنيسة أفسس قائلاً « فاذكر من أين سقطت وتُب وأعمل الأعمال الاولى وإلاّ فأنى آتيك عن قريب وأزحزح منارتك من مكانها إن لم تتب » (رؤ ٢ : ٥) وقال القديس باسيليوس « لأن ليس الذى يقول أخطأت ويلبث مصراً على الخطية يعترف . لا . بل الذي يجد خطيته ويبغضها كما قال الزبور . فما الفائدة للضعيف من اجتهاد الطبيب اذا كان هو يجلب ما يفسد حياته ؟ هكذا لا فائدة من الصفح عن الظالم إن لم يكفّ عن ظلمه ، ولا فائدة لمن يقول انه ترك الرجاسة وبقي فى نجاسته. فبدون المسامحة

http://coptic-treasures.com

من الله لا يمكن للانسان أن يبتدىء بالحياة الفاضلة . ولهذا قد أراد مدبر حياتنا الحكيم من الذى أمتحن ببعض الخطايا وعزم على السلوك بالسيرة المعافاة أن يضع حداً للأمور الماضية يحددها به ، ويجعل لنفسه بدءاً جديداً بعد الخطايا كأنّ حياته قد تجددت بالتوبة . وأما الذى يعترف بخطاياه مراراً متواترة ثم يسقط فيها بتواتر فانه يغلق عنه باب تعطفه ويتركه فى اليأس » (على اشعياء ١ : ٥ : ١٤) وقال أيضاً « إنه لا يكفى للتائبين غفران الخطايا وحده لحصول على الخلاص بل من الضروري أن تكون لهم أثمار لائقة بالتوبة » (أدبيات ١ : ٤) .

والشرط الثالث هو الايمان الثابت بالمسيح والرجاء الوطيد فى تحننه . لأن ليس بأحد غيره الخلاص . لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص » (اع ٤ : ١٢) و« له يشهد جميع الأنبياء أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا » (اع ١٠ : ٤٣) وقال بولس الرسول « فاذ قد تبررنا بالايمان لنا سلام مع الله بربنا يسوع المسيح . الذى به أيضاً قد صار لنا الدخول بالايمان إلى هذه النعمة التى نحن فيها مقيمون ونفتخر على رجاء مجد الله » (رو ٥ : ١ و ٢) « فمن ثمّ يقدر أن يخلّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي فى كل حين ليشفع فيهم » (عب ٧ : ٢٥)

والشرط الرابع هو الاعتراف الشفوى بالخطايا أمام الأب الروحي وهو نتيجة طبيعية تقتضيها وظيفة الكاهن المعطى له من السيد المسيح سلطان حل الخطايا وربطها فى هذا السر . لأن السيد قال صريحاً « إقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » فكيف

http://coptic-treasures.com

يمكن للكهنة أن يغفروا الخطايا أو يمسكوها دون أن يعلموها ويفحصوها ؟ وكيف يعرفونها بدون الاعتراف بها ؟ وكيف يتأتى للقاضي أن يحكم فى قضية لم تعرض عليه ولم يعرفها ؟ فالسلطان المعطى من السيد المسيح لتلاميذه ولخلفائهم يقتضي ضرورة اعتراف التائب وإظهار خطيته لينال الصفح عنها. وبناء على ذلك يعتبر الاعتراف بالخطايا لرعاة الكنيسة مؤسساً من السيد المسيح كما أن سلطان الحل والربط ممنوح منه له المجد . حتى أن من ينكر الاعتراف يضطر أن ينكر سلطان الحل والربط وهذا مخالف لتعليم الأناجيل الواضح

الفصل الرابع

الاعتراف

الاعتراف في اللغة هو الاقرار بالشيء والتصريح به علناً .وفي اصطلاح الكنيسة هو إقرار الخاطيء بخطاياه أمام كاهن الله إقراراً مصحوباً بالندامة والتأسف والعزم الثابت على ترك الخطية وعدم الرجوع إليها ، لينال الحل منه بالسلطان المعطى له من الله القائل « من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه أمسكت »

فالاعتراف إذن جزء من سر التوبة . ومن المعلوم أن الأسرار هي بركات ومنح بها ننال نعماً غير منظورة تحت مادة منظورة . فالعمل المنظور فى سر التوبة هو توبة الخاطيء وندامته واعترافه وسماعه الحلّ من الكاهن.

http://coptic-treasures.com

أما النعمة الغير المنظورة فهي غفران خطاياه وسلامه مع الله وانعتاقه من عقاب الخطية ونيله الرجاء بالحياة الابدية

أما وجوب الاعتراف وإثباته فيظهر من الأدلة الآتية : —

(اولاً) من الطبيعة : فان الانسان فى كل أدوار حياته يحتاج إلى من يواسيه فى أموره ، فتراه يشكو همومه وأتعابه ومايضايق نفسه إلى صديق أو حبيب له ، طلباً لمشورة ، أو تنفيساً لكرب، أو تخفيفاً لألم ، أومشاطرة له فيما يشعر به . وما أحسن أن يكون للانسان أب روحي ومعلم مرشد يرجع إليه فى أموره الروحية لارشاده وهدايته.أضف إلى ذلك أن الانسان إذا أخطأ ضد إنسان آخر واعترف له بخطأه وطلب سماحه إستراح ضميره وتصالح مع خصمه وكانت النتيجة سلاماً وهدوءاً في الخارج وفى الداخل.

وإذا تأملنا فى التوارة نجد أن آدم لما أخطأ مهّد الله له طريق الاعتراف بخطأه وسأله « هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها » (تك ٣ : ١١) قال القديس غريغوريوس والقديس اغسطينوس « إن الله تعالى سأل الانسان الأول والمرأة الأولى قبل أن يحكم عليهما لما خالفا ناموسه ، وذلك ليقدّم لهما سبباً للاقرار بذنبهما فينالا الغفران باعترافهما الذليل الوضيع » وهكذا قل عن سؤال الله لقايين « أين هابيل أخوك » فلو انه اعترف بذنبه وتاب واستغفر لنال الصفح من الله.

(ثانياً) من ناموس موسى : ففى شريعة موسى كان الاعتراف جزءاً ضرورياً من توبة الخاطيء حسب قول الرب « إذا اخطأ أحد أو إذا مس أحد شيئاً نجساً أو إذا حلف . فان كان يذنب فى شيء من هذه يقرّ بما قد اخطأ به ويأتى إلى الرب بذبيحة لأثمه ... فيكفر عنه الكاهن من خطيتة الخ »

http://coptic-treasures.com

يعترفوا بآثامهم وخطاياهم من أن تتصلّب قلوبهم » وقال في رسالته الثانية « مادمنا في هذا العالم فلنرعو بكل قلبنا عن الشرور التي وصفناها في الجسد ليخلصنا الرب ما دام لنا زمان للتوبة . فاذا خرجنا من العالم لم يبقَ لنا أن نعترف هناك أو نتوب »

وفي الجيل الثاني روى القديس ايريناوس أن بعض أتباع فالنتينوس أفسدوا النساء اللواتي كنّ يتعلمن منهم هذا التعليم ... وبعد ارتداد النساء الى بيعة الله اعترفن بهذا الاثم مع باقي ضلالهن . وروى ايضاً أن مرقس الساحر مكر بامرأة شماس فارتدت فبقيت مدة حياتها لا تكفّ عن الاعتراف بالاثم الذي اقترفته ماحية بدموعها الوصمة التي أنزلها بها الساحر

وفي الجيل الثالث قال العلامة ترتوليانوس « إن كثيرين ينتبهون إلى الخجل أكثر من الخلاص فيهربون من هذا العمل (أي الاعتراف) سترة لهم أو يؤخرونه من يوم إلى يوم كمن أصابه مرض في الأعضاء المستحى منها فاخفى على الأطباء مرضه فيباد بخجله ... فاذا أخفينا نفوسنا عن معرفة الناس هل تخفى على الله . وهل الأولى لنا أن نهلك وذنوبنا مخفية من أن نحل وهي مكشوفة في التوبة » وقال « وإذا لم يخجل الخاطيء من أن يبين خطيته لكاهن الرب ويستمد العلاج بحسب قوله : قلت أعترف للرب بأثمي وأنت تغفر شر قلبي » وقال « كما أن من بقي فيهم الطعام غير مهضوم او ثقلت معدتهم بخلط أو بلغم ، فاذا تقيأوا استراحوا . كذلك من أخطأوا فان أخفوا الاثم فيهم تضايقوا داخلاً وخنقهم بلغم الخطية وخلطها . ولكن ان شكا أحد نفسه فبشكايته واعترافه يتقيأ الاثم وتزول علة المرض كلها فلا خطر يتحرز من يلزمك أن تعترف له بخطيتك ، وامتحن أولاً الطبيب الذي تعرض عليه

http://coptic-treasures.com

(لا ٥ : ١ ـ ٦) «يفنون بذنوبهم . . . وبذنوب آبائهم معهم يفنون . لكن إن اقرّوا بذنوبهم . . . أذكر ميثاقي مع يعقوب . . الخ» (لا ٢٦ : ٣٩ـ٤٥) «قل لبنى اسرائيل إذا عمل رجل أو امرأة شيئاً من جميع خطايا الانسان وخان خيانة بالرب فقد أذنبت تلك النفس. فلتقرّ بخطيتها التى عملت» (عد ٥ : ٦ و ٧) «وتأتى إلى الكاهن الذي يكون فى تلك الأيام وتقول له أعترفُ اليوم للرب إلهك» (تث ٢٦ : ٣) «من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقرّ بها ويتركها يرحم» (ام ٢٨ : ١٣) وقد قال ايوب مبينا اعترافه «إن كنت قد كتمت كالناس ذنبي لاخفاء أثمي فى حضني» (٣١ : ٣٣) راجع أيضاً (لا ١٦ : ٢١ ، ١ ملو ٨ : ٣٨ ، عز ٩ ، نح ١ : ٦ ، ٩ : ٢ ، مز ٣٢ : ٥ ، اش ٣٨ : ١٧ ، ٥٩ : ١٢ ، ٦٤ : ٦ ، أر ١٤ : ٢٠ ، دا ٩ : ٤ و ٢٠) حيث تجد أدلة واضحة على الاعتراف . ألا ترى أن يشوع بن نون قال لعخان «اعترف للرب وأخبرنى» (يش ٧ : ١٩) وهذا دليل على أن الاعتراف لله يجب أن يكون على يد رجاله ، كما اعترف داود الملك أمام ناثان النبيّ وقال «قد اخطأت إلى الرب . فقال ناثان لداود. الرب ايضاً قد نقل عنك خطيتك. لا تموت» (٢صم ١٢ : ١٣) فهنا اعتراف للرب على يد نبيه يعقبه تصريح وإعلان بنقل خطيته

وقد كان الاعتراف عند بنى اسرائيل يقرن مع الذبيحة وصلاة الكاهن عن الخطية . قال الربى ابن عزرا « إن الاعتراف لازم وإنهم عند ما يقدمون الذبيحة إذا لم يتوجعوا ويعترفوا اعترافاً مرتباً مبيناً الخطايا لا تكون للذبائح قوة وفائدة لهم » وجاء فى التلمود « إنه يظهر من التقليد أن الخاطيء يلزمه أن يوضح فى الاعتراف جميع أعماله »

http://coptic-treasures.com

ولهذا السبب لما جاء يوحنا المعمدان منادياً ببشارة التوبة لاقتراب ملكوت الله والاستعداد له ، جاء إليه كثيرون واعتمدوا منه فى الاردن معترفين بخطاياهم (مت ٣ : ٥)

(ثالثاً) من العهد الجديد : فان الرب يسوع قبل أن يؤسس سر التوبة وعد به عند ما قال للقديس بطرس « وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات. فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات. وكل ما تحلّه على الأرض يكون محلولاً فى السموات » (مت ١٦ : ١٩) وكذلك لما أعطى كنيسته هذا السلطان بقوله «وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة . وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنيّ والعشار . الحقّ أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً فى السماء. وكل ماتحلّونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء » (مت ١٨ : ١٧ و ١٨) وبعد قيامته ثبّت هذا السر بقوله لتلاميذه بعد ما نفخ فى وجوههم « إقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تُغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » (يو ٢٠ : ٢٢ و ٢٣) ومن هذا القول الالهي يتضح أن السيد له المجد أعطى تلاميذه وخلفاءهم سلطان الحل والربط لاعلان غفران الخطايا أو مسكها . وكيف يمكنهم أن يربطوا الخطايا أو يحلّوها ويعلنوا غفرانها إلاّ بعد الاقرار والاعتراف بها علناً ؟ فان الخطايا في الغالب خفيّة سرية فكيف يغفرونها وهي مكتومة ؟ هل أرسل السيد تلاميذه ليكونوا جواسيس يتجسسون على خطايا الناس ويغفرونها دون علمهم ؟ حاشا . بل جعلهم قضاة وأطباء للنفوس ، والقاضي لا يقدر أن يحكم فى دعوى لم يسمعها وينظر فيها ويفحصها ، كما أن الطبيب لا يستطيع أن يعالج مريضاً لم يُعرض عليه ويفحصه فحصاً دقيقاً . ولذلك نرى أن الذين كانوا

http://coptic-treasures.com

مرضك » . وقال القديس كبريانوس « كم يكون أعظم إيماناً وأحسن خوفاً من يعترفون بتوجع وبساطة أمام كهنة الله بما افتكروا به من الاثم منقين ضميرهم ... إلى أن قال فليعترف كل منكم أيها الأخوة الأحباء بأثمه مادام مَن اثم فى هذا العالم ومادام ممكناً قبول اعترافه وما دامت المغفرة بواسطة الكهنة مقبولة عند الله »

وقال العلامة اوريجانس المصري « يوجد ترك آخر للخطايا مكرب جداً وصعب وممكن الحصول عليه بالتوبة وذلك عندما يبلّ الخاطيء فراشه بدموعه وعندما تصير دموعه له خبزاً نهاراً وليلاً وعندما لا يخجل بأن يكشف خطيته أمام كاهن الله طالباً منه الشفاء . أو عندما يقول بعد الخطية : قد عرفت خطيتى ولم أخفِ إثمي . قلت أعترف للرب بذنبي . فاذا عملنا هكذا وكشفنا خطايانا ليس لله فقط بل للذين يستطيعون أيضاً أن يشفوا جراحنا ومآثمنا تُمحى جهالاتنا من الله الذى قال : قد محوت كغيم ذنوبك وكسحابة خطاياك »

وفي الجيل الرابع والخامس قال القديس اثناسيوس الرسولي بابا الأسكندرية « كما أن المعتمد من الكاهن يستنير بنعمة الروح القدس هكذا من يعترف بخطاياه بواسطة الكاهن يحظى بالغفران بنعمة المسيح » وقال القديس كيرلس الأورشليمي « إن الزمان الحاضر زمان الاعتراف فاعترف بما ارتكبت قولاً وفعلاً ليلاً ونهاراً » وقال القديس باسيليوس « من اللازم الاعتراف بالخطايا لمن سلّم اليهم توزيع أسرار الله » وقال القديس يوحنا ذهبي الفم « لأن ساكني الأرض والقاطنين فيها قد سُمح لهم أن يسوسوا ما فى السموات وأخذوا سلطاناً لم يعطه الله لا للملائكة ولا لرؤساء الملائكة . لأنه لم يقل لأولئك كل ماتربطونه على الأرض يكون مربوطاً

http://coptic-treasures.com

يتوبون ويؤمنون كانوا يأتون للرسل مقرّين ومخبرين بأفعالهم (اع ١٩ : ١٨) وقد فسر القديسان باسيليوس ويوحنا ذهبي الفم هذا النص بانه الاقرار بالخطايا أمام الكاهن . وجاء فى رسالة يعقوب الرسول عند كلامه عن سر مسحة المرضى قوله « أمريض أحد بينكم فليدعُ قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب. وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له . إعترفوا بعضكم لبعض بالزلات وصلوا بعضكم لأجل بعض لكى تُشفوا الخ » (يع ٥ : ١٤ - ١٦) قال القديس اغسطينوس فى تفسير هذه الآية « ليس المقصود أن يعترف الكهنة على العلمانيين كما يعترف هؤلاء لهم ، فان هذه الجملة لا توجب دائماً حصول المشاركة بين كل من الطرفين - أي لا يلزم منها اعتراف الكهنة للشعب ؛ بل هي على حد قولك علّموا بعضكم بعضاً وعالجوا أحدكم الآخر وليسعف الواحد منكم صاحبه — بمعنى أن العالِم يُعلّم الجاهل والطبيب يعالج المريض والقوي يشدد الضعيف وقس على ذلك » ومن هذا يتضح أن البعض الذي نعترف له هو كهنة الله الأمناء ، الذين يدعوهم المريض لدهنه بالزيت والدعاء له من الله. قال يوحنا الرسول « إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضلّ أنفسنا وليس الحق فينا . إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم . إن قلنا إننا لم نخطيء نجعله كاذباً وكلمته ليست فينا »(١يو١:٨-١٠)

(رابعاً) من نظام الكنيسة وقوانينها : فانك إذا راجعت قوانين الكنيسة وجدتها ملآنة بالأدلة الصريحة على وجوب الاعتراف مع التوبة وقبل تناول الأسرار المقدسة . وجاء فى القوانين المنسوبة للرسل القواعد التى تذكر متقدمي الكنائس بأنهم أؤتمنوا على سلطان الحل والربط ، وتبيّن

http://coptic-treasures.com

لهم الوجه الذى به يفحصون الخطايا وكيف يرشدون التائبين ، وتوصي المؤمنين أن يكرموا آباءهم الروحيين حيث تقول « وقروهم وأكرموهم وقدموا لهم جميع أنواع الكرامة لأنهم أخذوا من الله سلطان الحياة والموت بأن يحاكموا الخطاة ويحلّوا الراجعين من الخطايا وغير ذلك » ولا يسعنا المقام أن نأتي بما جاء فى قوانين المجامع فان الشواهد على ذلك أكثر من أن تحصى

(خامساً) شهادة الكتب الطقسية : فان لدينا كتباً قديمة يرجع تاريخها الى أكثر من الف سنة فضلاً عن الكتب الأكثر قدمية من هذه ولا تزال محفوظة بالمتاحف ناطقة بنظام الكنيسة فى شرح سر التوبة والاعتراف وهي دليل صادق على ما كان جارياً فى الكنيسة منذ العصور الأولى

(سادساً) شهادة التاريخ : فان التاريخ الكنسي يشهد بأن الاعتراف كان جارياً على وجهين ، أحدهما علني والآخر سري، وعلى كلا الوجهين كان غفران الخطايا يُعطى من الكهنة وحدهم الذين لهم الحق فى التصريح به . ومع الزمان تنازلت الكنيسة عن الاعتراف العلني رفقاً بأبنائها وحصرته فى الاعتراف السري

وقد شهد اوسابيوس المؤرخ الكنسي أن الاعتراف كان دارجاً فى الكنيسة فى عصر الرسل بقوله « وكان تلاميذ مخلصنا أشداء يتركون فى نفوس سامعيهم مناخس تُدخل تعاليمهم فى صميم أفئدتهم حتى يبرزوا الخفايا من مطاميرها ويعترفوا جهاراً بقبائح سيرتهم الماضية » . وروى أن الثلاثة الذين اتهموا القديس نرسيس ، مات اثنان منهم بتعاسة ، والثالث اعترف بكل ماجرى فى التهمة وصنع توبة صارمة . وروى أن القديس فانيانوس منع فيلبس القيسرى عن التقدم إلى الأسرار قبل أن يعترف

http://coptic-treasures.com

فى السماء ، وكل ماتحلونه على الأرض يكون محلولاً فى السماء ، ثم إنّ للمتسلطين فى الأرض سلطاناً أن يربطوا ولكنهم يربطون أجساداً فقط وأما هذا الرباط فانه يمس النفس عينها ويجتاز السموات . وما يعمله الكهنة تحت يثبته الله فوق ويؤيد السيد رأي العبيد »

(ثامناً) شهادة الاتفاق العام : فان جميع الكنائس الشرقية والغربية فضلاً عن افتراقها واختلافها بعضها عن بعض فى أمور كثيرة فانها متفقة تمام الاتفاق على جوهر الاسرار السبعة ومن جملتها سر التوبة والاعتراف ، وهذا الاتفاق دليل صادق على صحة هذا التعليم وقدميته منذ العصر الرسولي

(تاسعاً) شهادة الخارجين عن الكنيسة : ونختم بحثنا هذا بشهادة الذين أنكروا الاعتراف وكيف أنهم يستحسنونه . قال لوثيروس فى كتابه سبي بابل « إن الأعتراف السري يعجبنى كثيراً وهو نافع بل لازم » وقال كلفن فى (كتابه الرسومات ك ٣ رأس ٣) « من كان ضميره معرقلاً فى شيء جنى من الاعتراف أحسن ثمرة » وفى قانون الايمان الذي سنه البروتستانت في اغوسطا قالوا « إن الاعتراف فى الكنائس لم يبطل عندنا » وجاء فى كتاب الصلوات العامة للكنيسة الأسقفية مانصه « إن كان أحد غير قادر أن يطمئن باله بهذه الوسيلة فليأتِ إلى أحد خدام كلمة الله ... ثم يفصحه القس هل تاب حقاً من خطاياه ... وهنا يحث المريض على الاقرار بخطاياه إقراراً خصوصياً إن لم يكن شعر بأن ضميره قلق لأمر باهظ وبعد الاقرار يحله القس على هذا الوجه الخ » (صحيفة ٢٧٩) وجاء فى (كتاب نظام التعليم فى علم اللاهوت القويم الجزء الأول صحيفة ١١٧) « إن الكنائس اللوثرية والاسقفية تستحسن الأعتراف السري للراعي فى بعض الاحوال »

http://coptic-treasures.com

بآثامه وينضم إلى من سقطوا ودخلوا مصاف التائبين . وروى أيضاً أن سرابيون لما غلبه الاضطهاد ودنا من الموت دعا قساً ليمنحه إحسان المصالحة . وذكر سقراط المؤرخ أن امرأة شريفة تقدمت إلى الكاهن المعرّف واعترفت بما ارتكبت من الخطايا بعد المعمودية بالتفصيل. وقد مدح الشماس بولنيوس القديس امبروسيوس وغيرته في سماع الاعترافات . وغير ذلك مما لا يحصى من الأخبار التاريخية الدالة على وجوب الاعتراف في سر التوبة وبالأخص قبل تناول الأسرار المقدسة وقد أثبت ذلك موسهيم المؤرخ البروتستانتي في تاريخه (كتاب ١ قرن ١ قسم ٢ فصل ٤)

(سابعاً) شهادة آباء الكنيسة : فان جميع الآباء منذ الجيل الأول يشهدون شهادة حقة للاعتراف، ومن أقوالهم وتعاليمهم يتضح لنا أن الاعتراف كان جارياً في أيامهم وكان قاعدة من قواعد إيمان الكنيسة وإليك بعض أقوال أشهرهم في العصور الاولى : --

ففي الجيل الأول قال القديس ديوناسيوس الأريوباغي تلميذ بولس الرسول في ميمره على الراقدين « إن صلوات القديسين تنفع جداً ، وكذا من تقدم إلى رجل بار واعترف له بآثامه فانه ينال صفحاً كأنه من الله، وتتمحص خطاياه وينال المواهب الالهية التي يحتاجها ، لأن ذلك شرع في الأحكام الالهية أن يمنح الله المواهب ويعطيها بتوسط الآباء » وقال القديس برنابا أو مؤلف آخر في الرسالة المشهورة التي كانت في الأجيال الأولى كثيرة الاعتبار ما نصه « اعترف بخطاياك ولا تقدم على الصلاة وأنت في سوء الضمير فهذا طريق الخلاص » وقال القديس اكليمنضس الروماني تلميذ بطرس الرسول في رسالته الأولى الى أهل كورنثوس « الأولى بالناس أن

http://coptic-treasures.com

الفصل الخامس

نتائج سر التوبة

نتائج سر التوبة هي :—

(١) مسامحة الخاطيء ونيله غفران خطاياه (مز ٣٢ : ٥ ، اش ٥٥ : ٧ ، يو ٢٠ : ٢٣ ، ١يو ١ : ٩)

(٢) محوها وعدم ذكر الله لها (اش ٤٤ : ٢٢ ،حز ١٨ : ٢١و٢٢)

(٣) التبرر من الخطية (مز ٥١ : ٢ ،لو ١٨ : ١٤)

(٤) نيل الخلاص والحصول على رجاء الحياة الابدية (لو ١٩ : ٩ ، ١كو ٥ : ٥)

(٥) الانعتاق من عقاب الخطية (مت ٣ : ٧ و ١٠ ، لو ١٣ : ٣ ، ٢٣ : ٤٢ و ٤٣)

(٦) المصالحة مع الله ونوال سلامه (رو ٥ : ١ ،اف ٢ : ١٤ ، ٢كو٥: ١٥ ـ ٢١)

(٧) الحصول على رتبة البنوة التى فقدها الخاطيء بخطيته (لو ١٥ : ١٧ : ٢٤)

قال القديس يوحنا ذهبي الفم « إن الآباء الطبيعيين إذا خالف أولادهم أحداً من الرؤساء أو ذوي القدرة في هذه الحياة لا يستطيعون أن ينفعوهم شيئاً . وأما الكهنة فانهم كثيراً ما أستعطفوا وصالحوا لا رؤساء وملوكا فقط بل الله نفسه » (فى الكهنوت ٣ : ٦) وقال أيضاً « أخطئتَ ؟فادخل الكنيسة وامحُ خطيتك . وكما أنك بقدر ما تقع فى الشارع تنهض ، هكذا

http://coptic-treasures.com

كلما خطئت تُب عن الخطية ولا تيأسنَّ من ذاتك. وإن خطئت ثانية فتب توبة ثانية أيضاً ولا تسقطنَّ من الرجاء بالخيرات الموعود بها سقوطاً كاملا بسبب إهمال. وإن كنت فى غاية الشيب وخطئت فادخل واندم. لان هذا المكان هو مستشفى وليس محكمة وهو لا يطلب مجازاة على الخطايا بل يهب صفح الخطايا » (فى التوبة ٣ : ٤)

الفصل السادس

التأديبات الكنسية

قد اعتادت الكنيسة منذ ابتدائها أن تفرض على التائب بعض قصاصات تأديبية ، القصد منها تأديب الخاطيء وإصلاح حاله وتقويم سيرته، وفقاً لقول الرسول « لان الذي يحبه الرب يؤدبه ويجلد كل ابن يقبله . إن كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين. فأي ابن لا يؤدبه أبوه »(عب ١٢ : ٦ و ٧)وقوله«ولكن إذ قد حكم علينا نؤدَّب من الرب لكي لا ندان مع العالم » (١ كو ١١ : ٣٢) وأشهر هذه القوانين هى الصوم الخصوصي علاوة على الأصوام المفروضة على جميع المؤمنين ، وصلوات يقدمها الخاطيء فى مخدعه مع عدد من الركعات ، وتوزيع جزء من ماله صدقة على الفقراء ، وتأخير التناول من الأسرار المقدسة وقتاً مناسباً لثقل خطيته

وهذه القوانين ما هي إلاّ بمثابة عقاقير روحية تعالج بها أمراض النفس للتهذيب والتقويم ، وذلك طبقاً لما فعله الرسول بولس مع المختلط بالدم في كورنثوس فانه حكم عليه أولاً بالفرز من الكنيسة ، فلما انتجت هذه التأديبات الغرض المقصود منها أرجعه بقوله« مثلُ هذا يكفيه هذا القصاص

http://coptic-treasures.com

الذي من الأكثرين. حتى تكونوا بالعكس تسامحونه بالحري وتعزونه لئلا يُبتلَع مثل هذا من الحزن المفرط . لذلك أطلب أن تمكّنوا له المحبة » (٢ كو ٢ : ٦ ـ ٨)

وقد ورد ذكر هذه القوانين فى الأوامر الرسولية وأقوال المجامع وشهد عنها الآباء وبالأخص القديس ايريناوس والقديس كبريانوس والعلامة ترتوليانوس . وظاهر أيضاً من الترتيب الذي كانت الكنيسة القديمة جارية عليه من حيث تقسيم التائبين الى رتب (١) رتبة الباكين الذين لم يكن لهم حق فى حضور الخدم الشريفه بل كانوا يقفون خارج الكنيسة ويتضرعون بدموع إلى الداخلين فى الهيكل ليصلوا من أجلهم (٢) رتبة السامعين الذين كان مسموحاً لهم أن يدخلوا الكنيسة ويقفوا فى موضع خاص بهم ويسمعوا التعليم وكلام الله والصلوات (٣) رتبة الراكعين الذين كانوا يقفون مدة أكثر من الأولين ركوعاً أمام باب الهيكل (٤) رتبة المشتركين الذين كانوا يشتركون مع المؤمنين فى الصلاة دون أن يتناولوا من الأسرار المقدسة

فهذه التأديبات كان الغرض منها إصلاح حال الخاطيء ليس إلاّ . ولكن كنيسة رومية خالفت هذه الحقيقة إذ تعتبر هذه التأديبات قصاصات حقيقية الغاية منها وفاء العدل الالهي الذى أهانه الخاطيء بخطاياه . وإليك البراهين التى تثبت صدق تعاليم الكنيسة الأرثوذكسية وبطلان تعليم كنيسة رومية :—

(أولاً) إن بولس الرسول لما وضع التأديب على المختلط بالدم فى كورنثوس قال « يُسلّم مثل هذا للشيطان لهلاك الجسد لكى تخلص الروح » لكن لما رجع وتاب أرجعه إلى الكنيسة ، وظاهر من ذلك أن الغاية من

http://coptic-treasures.com

القصاص كانت تأديبه وإصلاح نفسه لا وفاء عدل الله

(ثانياً) يظهر من جميع أقوال الآباء أن الغرض من هذا التأديب هو الاصلاح ولذلك سموه علاجاً روحياً وقصاصاً للتقويم وشفاء للخطاة وحفظهم من خطايا جديدة

(ثالثاً) لو كانت الغاية من هذه القوانين وفاء العدل الالهي لكان من الواجب على التائب إتمام قانونه كله بلا نقص . ولكن الآباء لم يكونوا ينتظرون الخاطيء حتى يتمم كل مافرض عليه من القانون ، بل كثيراً مايختصرون وقت التوبة ويعفونه من القانون متى رأوا أن التأديب أنتج نتيجته المطلوبة

(رابعاً) لو كان الغرض من القانون وفاء العدل الالهي لوجب أن تفرض هذه القوانين على جميع الخطايا بلا استثناء بحسب جرم الخطية ، إذ كل خطية هي مخالفة ومضادة لعدل الله ، والحال أن هذه القوانين لم تفرض إلاّ على الخطايا الثقيلة وهذا مما يدل على أن الآباء لم يقصدوا بها إلاّ تهذيب واصلاح نفس الخاطيء وكسر عجرفته لخلاص نفسه . راجع قانون ١٢ من المجمع المسكوني الأول . وقانون ٥ من مجمع أنقرة وقانون ٢٢ من مجمع قرطاجنة ومؤداها « إن الذى يتعاطى الطب الروحي عليه ملاحظة أخلاق الخاطيء وتصرفه وسلوكه ومدة معالجته حتى إذا كان لا يقاوم الطبيب ويزيد قروح النفس بالعقاقير التى تُعطى له يعامله بالرحمة التي يستحقها » . « وإن تمام الكلام عند الله وعند من أؤتمن على الرئاسة الرعوية هو أن يرد الخروف الضال ويشفيه من الجرح الذى جرحه إياه الثعبان ولا يدفعه فى مهواة اليأس لئلاّ يهلك ولا يرخى له العنان لئلاّ يزدري وتسترخي عيشته . وعلى كل حال يجب على الراعي أن يحارب المرض كيفما كان إمّا بالأدوية

http://coptic-treasures.com

الحارة والقابضة وإما باللينة واللطيفة، وأن يجاهد فى ختم القرح باختباره أثمار التوبة ومداراته بحكمة ذلك الانسان المدعو إلى الاستنارة العلوية » وقدقال القديس غريغوريوس النيسى « كما أن غاية صناعة الطب فى معالجة الجسد واحدة وهي صحة المريض وأوجه المعالجة كثيرة ومتنوعة . هكذا بما أن الآلام فى المرض النفساني متنوعة فمن الضروري ان تتنوع أوجه المعالجة الطبية أيضاً فى أشكالها ، فتأتي بالشفاء متى جرت على مقتضى الألم ... ولذا يجب على المزمع أن يعطي العلاج المناسب لقسم النفس السقيم أن يفحص قبل كل شيء أين الألم ثم يقدم للضعيف علاجاً ملائماً ، حتى لا يكون الطبيب بجهله سبباً لأن يصل العلاج الى قسم آخر غير القسم الذى فيه المرض» (قانون ١)

يظهر مما تقدم أن هذه التأديبات نافعة ومفيدة (١) إنها تلّين قساوة قلب الخاطيء وتحركه إلى الشعور بذنبه والاعتراف به وتولّد فيه البغض للخطية والشوق لاصلاح النفس (٢) إنها رياضات روحية وفروض تقوية ضد أهواء وأميال النفس . فانها تفرض مثلاً على الشره الصوم ، وعلى محب المال والسارق فعل الرحمة والصدقة ، وعلى البعيد عن محبة الكنيسة المواظبة على الحضور فيها وقراءة الكتب المقدسة ، وقس على ذلك (٣) إن هذه القوانين مفيدة لحفظ الآخرين من السقوط ومساعدة في تهذيب أعضاء الكنيسة

أما بطلان تعليم كنيسة رومية فى هذه التأديبات فيظهر مما يأتي :—

(اولاً) إن هذا المبدأ يخالف تعاليم الكتاب فى الكفارة التى قدمها الفادي ربنا يسوع المسيح عنا ، حيث سفك دمه كفارة عن خطايانا ووفى العدل الالهي حقه وصالحنا مع الله أبيه . ويجعل تلك الذبيحة التى قدمها مخلصنا على الصليب لا قوة لها . والكتاب يعلمنا أن مخلصنا قدم نفسه ذبيحة

http://coptic-treasures.com

عن خطايانا ، وأن هذه الذبيحة كفارة عن خطايا العالم كله ، وأننا بغير هذه الكفارة لا يمكننا أن نتقدم إلى الله . وهذا جوهر الديانة المسيحية وأساس الخلاص . قال اشعياء النبي « لكن أحزاننا حملها وأوجاعنا تحمّلها، ونحن حسبناه مصاباً مضروباً من الله ومذلولاً . وهو مجروح لأجل معاصينا مسحوق لأجل آثامنا ، تأديب سلامنا عليه وبحبره شفينا . كلنا كغنم ضللنا ملنا كل واحد الى طريقه والرب وضع عليه أثم جميعنا الخ» (اش٥٣ : ٤ ـ ١٠) وقال بولس الرسول الذى «قدّمه الله كفارة بالايمان بدمه لاظهار بره من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بامهال الله » (رو ٣ : ٢٥) «فمن ثم يقدر أن يخلّص أيضاً إلى التمام الذين يتقدمون به الى الله إذ هو حيّ فى كل حين ليشفع فيهم» (عب ٧ : ٢٥) «ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية» (١يو ١: ٧) « وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار . وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً » (١يو ٢ : ١ و ٢)

ويعلمنا الكتاب أن الانسان الخاطيء لا يتبرر وينال الخلاص بالمسيح يسوع إلا بشرطين أحدهما التوبة والايمان والثانى الأعمال الصالحة . فعن الاول قال « توبوا وآمنوا بالانجيل »(مر١: ١٥) وعن الثانى فلان الأعمال الصالحة هى ثمرة التوبة والايمان. قال يعقوب « ترون إذاً أنه بالأعمال يتبرر الانسان لا بالايمان وحده » (يع ٢ : ٢٤) فعندما يتمم الخاطيء هذين الشرطين أي الايمان والأعمال الصالحة ينال استحقاق الخلاص بالمسيح ، لا لأن الأيمان والتوبة والأعمال الصالحة لها فى حد ذاتها قوة ذبيحة وتكفير عن الخطية وتفي عدل الله وتبرر الخاطيء . بل لأن الخاطيء ينال بها أستحقاق الفادي الذي وفى بذاته العدل الالهي وفاءً كاملاً ، وقدم نفسه كفارة خلاصية أبدية،

http://coptic-treasures.com

فالعدل الالهي قد وفى ولم يبقَ على الانسان إلاّ أن يناله بالتوبة والايمان .
أما قول كنيسة رومية بأن الخطاة فضلاً عن الايمان والتوبة يجب أن يتكبدوا قصاصات يوفون بها عدل الله عن خطاياهم . فهذا تعليم غريب ولا ينتج إلاّ احدى نتيجتين الأولى أن دم المسيح لا يخلّص الخطاة ، والفداء الذى قدمه للآب ليس كاملاً فيجب أن يتمم بالقصاصات التى تفرض على الخاطيء .
والثانية أن التوبة والايمان والأعمال الصالحة ليست كافية لأن ينال الانسان بها استحقاقات المخلّص . وليس من يقول بهذا التعليم لأنه يهدم أساس الدين والايمان المسيحي

(ثانياً) إن هـذا التعليم يضاد عدل الله فالباباويون يسلّمون معنا بأن الرب يسوع قدّم لله ضحية كاملة ووفاء تاماً عن خطايا العالم ليشتري من لعنة الناموس والخطية جميع الخطاة ، فمن يقول أن الله لا يرتضي من الخطاة بالايمان بالمخلص الذى به تمحى خطايانا (رو ٣ : ٢٥ و ٢٦) وبالأثمار اللائقة بالتوبة والايمان بل يطلب منهم احتمال قصاصات أخرى وفاء لعدل الله ، يضطر أن يقول بأن الله تعالى يطلب منهم وفاء عدله مرتين ، الوفاء الذي قدمه المسيح ووفاء آخر يقدمه الانسان ، وهذا باطل وتجديف

(ثالثاً) من المعلوم أن الله تعالى غير محدود فى صفاته وكل خطية تفعل ضد الله الغير محدود تستحق عقاباً غير محدود ، فمن ذا الذى يقدر أن يخلصنا ويفي العدل الالهي . هل دم يسوع المسيح الذي صار كفارة لخطايا العالم ويطهر من كل خطية ؟ أم تلك القصاصات ؟ لا لعمري فانه لو سفك جميع العالم دماءهم لما أمكنهم وفاء جزء من عدل الله ، وإلاّ كانت الكفارة التى قدمها المسيح عنّا باطلة ، لأن كل إنسان يمكنه أن يقوم بتلك القصاصات

http://coptic-treasures.com

الخطايا الماضية فقط بل والمستقبلة أيضاً . وترى فى تلك الأوراق أن من تلا صلاة صغيرة لماريوسف يصير له غفران ٣٠٠ يوم وغفران ١٠٠ سنة سلفاً لمن تلا الوردية البابوية وقس على ذلك . ويظهر فساد وبطلان هذا التعليم من الأدلة الآتية :ـ

(أولا) إن هذا التعليم لا أساس له مطلقاً فى الكتاب المقدس الذى يعلّمنا أن الغفران هو لله وحده . وهو استحقاق آلام ربنا يسوع المسيح الذى ليس بأحد غيره الخلاص . ولا يوجد فى الكتاب ما يشير إلى استحقاقات للقديسين والملائكة ، يمكن توزيعها على البشر ، كما أن لا أساس له فى التقليد الكنسيّ ، ولا فى تعاليم آباء الكنيسة . وكل تعليم لا أساس له فى الكتب المقدسة والتقليد الرسولي هو باطل واختراع ترفضه الكنيسة

(ثانياً) فساد المبدأ الذى بُني عليه هذا التعليم فقد علمنا مما سبق فساد رأيهم بشأن التأديبات الكنسية وأنه مضاد كل المضادة للمبدأ المسيحي

(ثالثاً) إن استحقاقات ربنا يسوع المسيح حقاً هى كنز غير محدود لا يفرغ لنعمة التبرير . ولكن هذه الاستحقاقات لم توهب للبابا ليوزع منها كيف شاء بغير حساب ، وإنما ينالها الناس وتمنح لهم بشروط أخصها الايمان والتوبة والعزم الثابت على إصلاح السيرة وأثمار التوبة التي هي الأعمال الصالحة . وأما منح الخطاة استحقاقات يسوع المسيح قبل أن يتمموا شروط التوبة وعتقهم من القصاصات التي تستلزمها خطاياهم للعدل الالهي ومنحهم أوراق غفرانات فهو تعدٍّ ظالم خارج عن حدود كلمة الله

(رابعاً) إن فضائل القديسين مهما كانت عظيمة لا يمكن أن تكون زائدة عما يجب ويفضل عنها حتى يوزع منها على الغير . فان هذا التعليم غريب عن

http://coptic-treasures.com

ويفى بها عن خطاياه وحينئذ لاحاجة إلى موت المسيح عنا ، وبذلك يكون استحقاق الانسان مساوياً لاستحقاق الله، وهذا كفر محض

(رابعاً) إن هذا التعليم يصغر جسامة الخطية ويجعلها كلا شيء ما دام الأنسان قادراً على وفاء الحقوق التى يستلزمها عدل الله ، ويهوّن على مرتكبها فعلها فيتمادى في فعلها نظير بعض قصاصات تفرض عليه فيصبح مبرراً باتمامها ، وهذا مخالف لروح الكتاب القائل « من خالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة. فكم عقاباً أشر تظنون أنه يحسب مستحقاً من داس ابن الله و حسب دم العهد الذى قدس به دنساً وازدرى بروح النعمة » (عب ١٠ : ٢٨ و ٢٩)

وباطلاً يستشهد البابويون بقول يوحنا « اصنعوا أثماراً تليق بالتوبة» (مت٣:٨)فلا يقصد بأثمار التوبة قصاصات تُفرض على التائب لوفاء عدل الله ، بل يقصد بها الأعمال الصالحة التى هي علامة قوية وشاهد على رجوع الخاطيء الى الله ، رجوعاً حقيقياً ، وهذا ظاهر من قول يوحنا نفسه فانه لم يكن يفرض على الخطاة الذين أقبلوا اليه إلا الاعتراف بخطاياهم وتوبتهم وعمل أثمار للتوبة ، وهي الأعمال الصالحة الدالة على حياة جديدة لله. كذلك باطلاً يستشهدون بما ورد فى الكتاب عن أهل نينوى بانهم نالوا المسامحة بصومهم وصدق توبتهم (يون ٣ : ١٠) ولا يقصد من التوبة والدموع والبكاء والصوم والرحمة وكل أفعال التوبة ، أنها أوجه مختلفة تفي عدل الله ، بل أنها علامات وبراهين دالة على انسحاق الخاطيء أمام الله ورجوعه عن خطاياه ، وما هي إلا نتائج عن الايمان بالله لأنها دلائل الندامة ، وهذا ظاهر من قول الله « ولكن الآن يقول الرب ارجعوا اليّ بكل قلوبكم بالصوم والبكاء والنوح

http://coptic-treasures.com

ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وأرجعوا الى الرب الهكم لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر »(يوئيل ٢ : ١٢ و١٣) فالتوبة والندامة والصوم وأعمال الرحمة ليست لوفاء عدل الله غير المحدود ولا هي ثمن صفحه وغفرانه بل هي دلائل توبتنا التى تجعله أن يصفح عنّا . ولا يمكن أن ننال الغفران بثمن زهيد كهذا . قال القديس يوحنا ذهبي الفم «ما الذي نفع أولئك القوم (أي أهل نينوى) فانهم ضمدوا جراحهم بالصوم ، وكان ذلك الصوم شديداً . وضمدوها بالجلوس على الأرض ولبس المسوح والرماد والانتحاب، وضمدوها أيضاً بتغيير سيرتهم الرديئة . فلننظر الآن أي علاج من هذه العلاجات جعلهم أصحاء ... فقد قال الكتاب ان الله رأى أن كل واحد منهم رجع عن طريقه الشريرة وندم على الشر الذي نوى أن يصنعه بهم . فلم يقل اذن أنه رأى الصوم والمسح والرماد . وأنا لا أعني أنه يقصد بذلك أن يلغي الصوم . حاشا . بل يحث أن نجعل صومنا أفضل بالابتعاد عن الشر» (مقالة ٤ : ٥ و ٦ على ٢ كو)

الفصل السابع

الخطايا التى يشملها سر التوبة وماهية الخطية التى لا تغفر

نتعلم من الكتاب المقدس أنه لا توجد خطية مهما كانت ثقيلة إلاّ وهي قابلة للغفران والمسامحة ، متى تقدمتها توبة صحيحة واعتراف بندامة وايمان تام بالمسيح ورجاء باستحقاقه . وقد صرح سيدنا له المجد قائلاً «لأنى

http://coptic-treasures.com

تعاليم المسيح (١) لأن أعمال القديسين مهما كانت فاضلة فانها لا تصير كاملة ومقبولة بذاتها بل بقوة النعمة الالهية ولها مكافأتها أمام الله بناء على أستحقاق مخلصنا يسوع (٢) إن الشريعة الانجيلية التى نسلك بموجبها طريق الحياة الابدية ليست محدودة كما قال المرنم « لكل كمال رأيت حداً . أما وصيتك فواسعة جداً » (مز ١١٩ : ٩٦) فمهما عمل الانسان من الفضائل لا يمكنه أن يصل الى الكمال المطلوب بالوصية القائلة «فكونوا انتم كاملين كما أن أباكم الذي فى السموات هو كامل » (مت ٥ : ٤٨) وهذا الكمال هو المطلوب من القديسين ومهما تقدم المؤمنون في هذا الكمال فانهم لا يصلون إلى نهايته حتى قال بولس الرسول « ليس إنى قد نلت أو صرت كاملاً ولكني أسعى لعلّي أدرك الذي لأجله أدركني أيضاً المسيح يسوع . أيها الأخوة أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت . ولكني أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدّام . أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع . فليفتكر هذا جميع الكاملين منّا وإن افتكرتم شيئاً بخلافه فالله سيعلن لكم هذا أيضاً . وأما ما قد أدركناه فلنسلك بحسب ذلك القانون عينه ونفتكر ذلك عينه » (فى ٣ : ١٢ — ١٦) وكفى قول الرب يسوع الذي قال « ومن منكم له عبد يحرث أو يرعى يقول له إذا دخل من الحقل تقدّم سريعاً واتكىء. بل ألا يقول له أعدد ما أتعشى به وتمنطق واخدمني حتى آكل وأشرب وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت . فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أمر به . لا أظن. كذلك أنتم أيضاً متى فعلتم كل ما أمرتم به فقولوا إننا عبيد بطالون. لأننا إنما عملنا ما كان يجب علينا »(لو ١٧ : ٧ — ٩)

(٣) يتضح من قول الرب يسوع « فى بيت أبى منازل كثيرة » (يو ١٤ : ٢)

http://coptic-treasures.com

لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » (مت٩:١٣) «لان ابن الانسان قد جاء لكي يخلّص ما قد هلك » (مت ١٨:١١) « هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار » (مت١٨:١٤) وقد غفر له المجد لبطرس الذى أنكره، وقبل الزانية، والعشار، واللص. قال بطرس الرسول « وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة» (٢ بط ٣ : ٩) وقال يوحنا الرسول «وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار. وهو كفارة لخطايانا . ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً» (١يو٢:١و٢) وقال أيضاً « ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية. إن قلنا إنه ليس لنا خطية نضلّ أنفسنا وليس الحق فينا . إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم » (١ يو١:٧-٩) وبطرس الرسول دعا اليهود الذين صلبوا المسيح قائلاً « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على أسم يسوع المسيح لغفران الخطايا » (اع٢:٣٨) ودعا سيمون الساحر المضل الى التوبة قائلاً « تب من شرّك هذا وأطلب الى الله عسى أن يغفر لك فكر قلبك » (اع ٨ : ٢٢) وبولس الرسول صفح للمختلط بالدم فى كورنثوس بعدما وضع عليه القصاص الخ (٢ كو ٢ : ٦ - ٨)

أما قول السيد « كل خطية وتجديف يغفر للناس. وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس . ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له . وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا في الآتى » (مت ١٢ : ٣١ و ٣٢) وقول يوحنا الرسول « إن رأى أحد أخاه يخطيء خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت . توجد خطية للموت. ليس لأجل هذه أقول أن يطلب . كل إثم هو خطية وتوجد

http://coptic-treasures.com

خطية ليست للموت » (١ يو ٥ : ١٦ و ١٧) فالمراد بالتجديف على الروح القدس المقاومة لحقيقة الله الظاهرة والسقوط فى الكفر التام ، ونسبة معجزات المسيح الى الشيطان . والخطية التى للموت التى أشار إليها يوحنا الرسول هي رفض الحياة الأبدية التى أتى بها المسيح وعناد القلب القاسي الذى لم يبقَ قادراً على قبول الحق . وهى مثل خطية التجديف على الروح القدس ، لأن الذي يرتكبها يكون قد رفض الروح القدس الذي به وحده يمكن الخاطيء أن يرجع إلى الله لينال المغفرة منه ، وتشبه خطية المرتدين التى أشار إليها بولس الرسول فى (عب ٦ : ٤ ـ ٦) لأنهم رفضوا كفارة المسيح وعلى ذلك يكون فى كلتا الحالتين عدم إمكان ترك الخطايا أدبياً ليس من قِبَل الله ونعمته ، بل من قِبَل الخاطيء غير التائب . أما الله تعالى فهو مستعد لأن يغفر كل خطية عند ما يرجع الخاطيء عن خطيته ويتوب . وقد قال القديس يوحنا ذهبي الفم فى هذا الصدد « ما معنى هذا القول ؟ معناه إن هذه الخطية خُصَّت بعدم المغفرة خلافاً لسائر الخطايا . ولماذا ذلك ؟ لأنهم كانوا يجهلون المسيح من هو . ولكن الروح القدس كانوا يعرفونه معرفة كافية . لأن الأنبياء إنما به نطقوا ما نطقوا . وكل أصحاب العهد القديم كانوا يعرفونه معرفة عظيمة جداً . فما يقوله هذا معناه : أنتم تقاومونني وتشكّون فيّ نظراً للجسد الذي أنا لابسه . ولكن لعلكم تقدرون أن تقولوا فى الروح إنكم تجهلونه ولهذا فتجديفكم غير مغفور ، وسوف تقاصون عنه هنا وهناك ... ومثال لخطية التجديف على الروح القدس هو يهوذا الأسخريوطي الذي أنقطع منه كل رجاء توبة . وما كانت ندامته سوى زيادة خطية على خطية ، فانه ذهب وشنق نفسه وارتكب إثماً فوق إثمه . فعلى ذلك طالما يُرجى من

http://coptic-treasures.com

أن لكل قديس منزلة خاصة من الغبطة وجائزة خاصة . ومهما كانت أعمال الانسان فانه ينال عنها الجائزة المناسبة لها ، ولا يمكن أن تزيد أعماله عن واجباته ، أو تفضل عنه لينتفع بها غيره كأنها غير نافعة لصانعها . فأين إذن تلك الفضائل الزائدة التي يمكن التوزيع منها على الخطاة ؟

(خامساً) إن هذا التعليم مضر للناس لأنه يحرم الخطاة من الوسائط الضرورية لعلاج أمراضهم الروحية . ويغش الشعب ويضله ضلالاً فظيعاً إذ يصوّر لهم سهولة المصالحة مع الله ومع الكنيسة . ويفتح باباً للأغنياء للتمادي في الخطايا ما داموا يستطيعون أن يشتروا أوراق غفرانات تصفح عن خطاياهم وتبررهم أمام الله ، وتبيح لهم الخطايا المستأنفة . كما انه يملأ الفقراء يأساً إذ لا قدرة لهم على شراء تلك الأوراق . والخلاصة أن هذا التعليم سبّب فساداً عظيماً في الآداب العمومية كما يشهد التاريخ بذلك

(سادساً) هذا التعليم ينكره كثيرون من آباء وعلماء الكنيسة الرومانية أنفسهم . ويعترفون بأنه تعليم حديث . قال القديس انطونين رئيس الأساقفة في فيرنزا « بخصوص الغفرانات ليس لها قول مخصوص في الكنيسة المقدسة . ولا يوجد ذكر للغفرانات أصلاً في كتب المعلمين القدماء » (فصل ١ قضية ١٠ و ٣ عن الغفرانات) وقال الكردينال كايتانوس « إنه لو كان لنا خبر محقق كيف دخلت عادة الغفرانات في الكنيسة كان ذلك يعيننا في الفحص عن المطهر ولكن لا يوجد ذكر هذه الأشياء أصلاً في الكتب المقدسة ولا في كتب المعلمين إن كانوا روماً أو لاتينيين « عن الغفرانات رأس ٢ » وقال الكردينال نيش « إنه ما دام الناس لم يكن لهم فكر عن المطهر لم يفتشوا عن الغفرانات لأن كل اعتبار

http://coptic-treasures.com

الخاطيء ندامة فلا تكون خطيته تجديفاً على الروح القدس ، ولكن متى صمت صوت ضميره وتأصل فى قلبه بغض شيطانى ضد نعمة الله التى كان ذاقها ، وصارت حالته شبيهة بحالة الشيطان وبحالة يهوذا الاسخريوطي ولم يبقَ له رجاء توبة . حينئذ تكون خطيته تجديفاً على الروح القدس ، ولا يمكن أن يحصل على غفران نظراً للحالة الشنيعة التى اتصل إليها . وقانا الله من مثل هذا التخلّي الفظيع » (تفسير متى مقالة ٤١ : ٣)

الفصل الثامن

فساد تعليم كنيسة رومية فى أوراق الغفرانات

أثبتنا فى الفصل السادس صحيفة ١٦١ أن القصد من التأديبات الكنسية تهذيب الخاطيء وإصلاح حاله وتقويم سيرته. وأوضحنا بطلان تعليم كنيسة رومية التى تزعم أن الغرض من هذه التأديبات وفاء العدل الالهي . ونذكر بالأسف أن كنيسة رومية بناء على ذلك التعليم الباطل أخترعت تعليماً آخر منافياً للمبادىء المسيحية ، وهو الغفرانات . وأساسه عندهم أن تلك القصاصات التى تُفرض على التائب القصد منها كما قلنا وفاء عدل الله الذي أهانه الخاطيء بخطاياه ، وحيث أن الانسان لا تساعده قواه على القيام بالأعمال التى يوفي بها عدل الله ، وكثيراً ما يهمل تلك القصاصات ، فينبغي أن يعوض عن العدل الالهي من كنز الكنيسة المؤلف من أستحقاق ربنا يسوع المسيح ، ومن فضائل القديسين . وبناء على هذه النظرية الفاسدة يصدرون أوراق غفرانات يوزعها البابا وتباع وتشرى كالسلع متضمنة الصفح والغفران ليس عن

http://coptic-treasures.com

الغفرانات هو المطهر . وحيث أن المطهر لم يكن معروفاً عند الكنيسة الجامعة إلاّ في أجيالنا الاخيرة فليس بعجب إذا كان في أول الكنيسة لم تكن الغفرانات موجودة فالمطهر ربما لم يوجد ذكره قط في كتب الآباء الأقدمين، والروم حتى يومنا هذا لا يؤمنون به واللاتينيون قبلوه ليس فى وقت واحد بل رويداً رويداً » (نقض لوثيروس قضية ١٨) والعالم واسالوس النمساوي الذى يسمى نور العالم لسمو علمه وكان صديقاً حميماً للبابا سكستوس الرابع قال في إحدى رسائله « إن البابا ليس له سلطان أن يعطي غفراناً ولا ساعة واحدة وإنه أمر مزح وهزوء أنه بعض الأوقات يعطي غفراناً على سبع سنين لأجل خطية . وبعض أوقات على سبعمائة سنة على تلك الخطية ذاتها وبعض أوقات على سبعة آلاف أو إلى الأبد بالغفران الكامل » وقال ايضاً « إنه لا يوجد أصلاً ذلك التمييز بين غفران الخطية وقصاصها المبني عليه تعليم الغفرانات وإن هذا التعليم هو من قبيل الطمع بالمال . وإن كان الله ذاته لا يعطي غفراناً كاملاً للقلب المنسحق التائب فكم يكون البابا أقل منه . وأما إذا كان الله يغفر فكيف للبابا سلطان أن يربط وإن كان لا يوجد للخاطيء قصاص بعد ما يغفر الله له فالبابا ماذا يحله » . وقال فى جوابه لخصمه انكولاريس « إن الغفرانات قبل زمان البرتوس وتوماس اكويناس كانت محسوبة كأنها كذبة تقوية وأنه إلى يومنا هذا يبقى كثير من المعلمين مضادين عادة دولة رومية في هذا الشأن » وقال المؤرخ ثوانوس أحد كبار العلماء الشرفاء بين الرومانيين « إن في سنة ١٥١٥ كان البابا لاون العاشر رجلاً مسلماً ذاته لكل نوع من العيشة المتراخية النجسة، لكي يجمع مالاً من كل جانب لأجل مصاريفه الجزيلة

http://coptic-treasures.com

وكان يرسل أوراق الغفرانات التى فيها الوعد بمحو كل خطية وبهدية الحياة الأبدية فى جميع ممالك المسيحيين ، وكان معيناً فيها الثمن الذي يجب على كل واحد أن يعطيه بمقدار خطيته . واختار البابا له جباة وخزنة يحفظون الأموال في جميع الأماكن ومبشرين يطوفون حيثما يكون لهم منفعة كثيرة من هـذه الغفرانات . وهؤلاء المبشرين قد عظموها جدّا وعظّموا قوتها في خلاص الأنفس الشقية في المطهر » (تاريخ كتاب ١ وجه ٣) وقالت القديسة بريجيتا التى كانت في الجيل الرابع عشر « إن البابا قد جمع الوصايا العشر كلها في واحدة وهي « قدّم لي مالاً »

والخلاصة إن هذا التعليم ليس غريباً فقط عن المبادىء المسيحية ولـكنه يجلب على المسيحية عاراً كبيراً

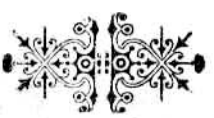

http://coptic-treasures.com

سر مسحة المرضى

الفصل الاول

تعريف السر وتأسيسه

سر مسحة المرضى هو سر مقدس به يمسح الكاهنُ المريضَ بزيت ، ويستمد له النعمة الالهية لشفائه من أمراضه الروحية والجسدية . ويُسمى سر الزيت المقدس

والفرق بين هذا السر وسر التوبة هو أن سر التوبة مُنح من الله ليكون واسطة لشفائنا من الأمراض الروحية فقط وهو سرٌ عام للجميع . أما سر الزيت فقد مُنح ليكون علاجاً خاصاً للمرضى لشفاء أمراضهم الجسدية والروحية

وهذا السر مؤسس من السيد المسيح له المجد ، فان يعقوب الرسول يشير إلى ذلك صريحاً بقوله « أمريض أحد بينكم فليدعُ قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب. وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه. وان كان قد فعل خطية تغفر له » (يع ٥ : ١٤ و ١٥) فمن هذا القول يتضح أن هذا السر مؤسس من الله وأن فعله سري . فان يعقوب الرسول يكتب إلى مؤمني عصره مشيراً إلى شيء معروف وواسطة شفائية معلومة لديهم ، ويحثهم على استعمالها عند المرض . ومن المعلوم أن الرسل الأطهار لم يعلّموا شيئاً من تلقاء أنفسهم ، بل كل ماعلّموه ونادوا به إنما تعلّموه من

http://coptic-treasures.com

إلى الصحة التامة » (جزء ٣ : ٢٣٥)

الفصل الرابع

اتفاق جميع الكنائس وشهادة التاريخ وشهادة ناكرى الاسرار

ونضيف إلى ما تقدم أن جميع الكنائس شرقاً وغرباً متفقة على حقيقة هذا السر . وهذا الاتفاق العام برهان قاطع على أن مسحة المرضى سر من أسرار الكنيسة مسلم لها منذ الأزمنة الرسولية. فان الكنائس مع اختلافها فى أمور كثيرة لم تختلف فى هذا السر

وقد شهد موسهيم المؤرخ البروتستانتى لهذا السر بقوله « إن المسيحيين الأولين لما مرضوا مرضاً مخطراً كانوا يدعون شيوخ الكنيسة « أى القسوس والأساقفة » وبعد أن يعترف المريض بخطاياه يستودعه الشيوخ لله بالتضرعات الخشوعية ويدهنوه بالزيت » (ف١ : ف ٢ قسم ٤) والكنيسة الأسقفية تعترف بصحة هذا السر وتمارسه بصلوات مخصوصة وفصول إنجيلية كما هو عندنا (راجع كتاب الصلاة العامة صحيفة ٢٧٤ ـ ٢٨٥)

ويحسن بنا أن نلخص هنا ما قاله القس الانكليزى ف. ج. سمث صاحب كتاب (انارة الألباب فى شرح وتعليم عقائد الكتاب) عند كلامه عن الشفاء الالهي « إن الله لم يهمل أمر أجسادنا في هذه الحياة بل قسم لها نصيباً من عنايته ويهمه أمر تقدمنا الجسدي بدليل ما جاء فى رسالة يوحنا الثالثة والعدد الثانى « أيها الحبيب فى كل شيء أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً

http://coptic-treasures.com

السيد المسيح واستلموه منه ونادوا به ملهمين من الروح القدس ، لانهم وكلاء أسرار الله لا مؤسسيها

وقد مارس الرسل هذا السر عندما ارسلهم المسيح للكرازة كما قال مرقس الانجيلي «ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم» (مر ٦ : ١٣) وإن كنّا لانعلم الوقت الذي فيه أسس الرب يسوع هذا السر وأمر به ، فلا عجب في ذلك لأن اشياء أخر كثيرة صنعها يسوع لم تكتب واحدة واحدة (يو ٢١ : ٢٥) لا سيما وإننا نعلم أنه كان يظهر لهم بعد قيامته مدة أربعين يوماً ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله (اع ١ : ٣)

الفصل الثاني

تفنيد الآراء الفاسدة عن هذا السر

ارتأى البعض ممن ينكرون الأسرار المقدسة أن يعقوب الرسول يذكر مسحة الزيت كواسطة بسيطة وعادية لشفاء الأمراض . كما ارتأى آخرون أنها موهبة شفائية أعطيت للرسل ليشفوا بها المرضى كما فعلوا العجائب

ونفند الرأي الأول بما يأتي :-

(أولاً) إن يعقوب الرسول لم يتكلم عن هذا السر كعادة كانت مستعملة بل كسرٍ حائز لكل الشروط اللازمة لاتمام السر وهي (١) الشخص القابل السر وهو المريض بقوله « أمريض أحد بينكم » (٢) خادم السر بقوله « فليدع قسوس الكنيسة » (٣) صورة السر وهي «الصلاة» بقوله « فيصلوا عليه » (٤) مادة السر بقوله « ويدهنوه بزيت » (٥) مفعول السر

http://coptic-treasures.com

وهو الشفاء بقوله « صلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له »

(ثانياً) إن قوة الزيت مهما كانت لايمكن أن تكون دواءً عمومياً لكل مرض . ونحن نرى يعقوب الرسول يتكلم هنا كلاماً عمومياً يعم كل مرض بقوله « أمريض أحد بينكم »

(ثالثاً) لو كان الزيت دواءً عادياً لأمكن الأصدقاء أو أقارب المريض أو أحد الأطباء أن يتمموه ويستعملوا له هذه الواسطة لشفائه. غير أننا نرى الرسول يحصر ذلك فى قسوس الكنيسة بقوله « فليدعُ قسوس الكنيسة »والرسول لاينسب قوة الشفاء إلى الزيت وحده بل إلى صلاة الكهنة بقوله« فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب. وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه »ويضيف إلى شفاء المرض غفران الخطايا بقوله « وان كان قد فعل خطية تغفر له » وهذا الغفران لا يمكن بوجه من الوجوه أن ينجم عن الشفاء الجسدى الذى يمكن نيله بالأدوية والأطباء

ونفند الرأي الثانى القائل بأن فعل مسحة الزيت الذي ذكره يعقوب الرسول هو إحدى المعجزات بما يأتى : —

(أولاً) إن مواهب الشفاء بالمعجزات لم ترتبط مطلقاً بعلامة معينة كما هو واضح من تاريخ المخلّص والرسل . على أن يعقوب الرسول يذكر هنا مادة معينة لعمل المسحة وهي الزيت

(ثانياً) إن الذين وُهبت لهم مواهب الشفاء وفعل الآيات أعطيت لهم قوة على شفاء الأمراض فقط ، ولم تُعطَ لهم مقدرة على غفران الخطايا لأن هذه القوة قد منحها الرب يسوع لرسله ولخلفائهم من بعدهم دون غيرهم

http://coptic-treasures.com

كما أن نفسك ناجحة » وقلّ من يهتم بهذا الأمر أمر أعتناء الله بالجسد وشفائه . وقلّ أيضاً إيمان الناس به ولكن عدم أمانتهم لا يبطل أمانة الله . وكل ما علينا أن نصدق كلمة الله ومواعيده ونسير بموجبها ، لا بموجب ما يرتئيه العقل البشري ويصدقه ، ومن ثم يعمل الله فينا طبقاً لمواعيده. فالله كان ولا يزال الشافي العظيم والطبيب الأكبر ... وبعد أن أورد نصوصاً كثيرة من النبوات تنبىء بأن المسيح سيكون شفاء للأمم، ومن الأنجيل تدل على اتمام تلك النبوات فى المسيح له المجد وشفائه للمرضى (راجع اش ٤٢ : ٦ و ٧ مع لو ٤ : ١٨ ـ ٢١ واش ٢٥ : ٤ ـ ٦ مع مت ٨: ١٦ و ١٧ ، ١١ : ٤ و ٥ وملا ٤ : ٢ مع مت ٤ : ٢٣و٢٤ ، ٩ : ٢ ـ ٦ و٣٥و ٣٦ ، ١٤ : ١٤ ، ١٥ : ٣٠ و ٣١ ومر ١ : ٤٠ ـ ٤٤) قال وأعطى هذه القوة (أي الشفاء) لتلاميذه الاثني عشر وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض وكل ضعف (مت ١٠ : ١) وأرسلهم وأوصاهم قائلاً وفيما أنتم ذاهبون أكرزوا قائلين إنه قد أقترب ملكوت السموات . اشفوا مرضى . طهروا برصاً . أقيموا موتى . أخرجوا شياطين. مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا (مت١٠:٧و٨)فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا . وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم (مر ٦ : ١٢ و ١٣) وجرت على أيدي الرسل آيات وعجائب كثيرة في الشعب ... حتى إنهم كانوا يحملون المرضى خارجاً في الشوارع ويضعونهم على فرش وأسرة حتى اذا جاء بطرس يخيم ولو ظلّه على أحد منهم. واجتمع جمهور المدن المحيطة إلى اورشليم حاملين مرضى ومعذّبين من أرواح نجسة وكانوا يبرأون جميعهم (اع ٥ : ١٢ ـ ١٦) وهذه الآيات

http://coptic-treasures.com

ويعقوب الرسول يشير بأن من مفاعيل سر المسحة علاوة على شفاء المرض غفران الخطية أيضاً

(ثالثاً) إن موهبة العجائب وموهبة شفاء الأمراض كانت فى أزمنة الرسل عمومية لكل المؤمنين من كل صنف ورتبة (راجع ١ كو ١٢ : ٧ ـ ١٢) فلو كان كلام يعقوب الرسول يشير إلى موهبة شفاء الأمراض بالمعجزات لكان الواجب عند الحاجة إلى الشفاء، الالتجاء إلى من وُهب هذه الموهبة بصرف النظر عن مركزه ورتبته. ولكن الرسول يامر صريحاً بأن ندعو قسوس الكنيسة لتتميم سر الزيت المقدس، أى أنه خصصه بأشخاص معلومين. فمما تقدم يتضح أن الرسول لم يقصد شفاء الأمراض بواسطة معجزية، بل يتكلم عن طقس كنسي معروف، وسر معين يتممه الكهنة دون غيرهم

الفصل الثالث

أقوال الاباء عن هذا السر

إن هذا السر المقدس كان مستعملاً منذ الأزمنة الرسولية لأن الكنيسة لم تترك استعمال شيء مما تسلمته، ولم تخالف مطلقاً وصية صريحة يوصى بها يعقوب الرسول، ويؤيد هذه الحقيقة أقوال آباء الكنيسة الأقدمين. فمنهم من اكتفى باسناد سر المسحة إلى كلام يعقوب الرسول. ومنهم من سماه عملاً سرياً. ومنهم من سماه سراً. فالعلامة أوريجانوس عند تعداده الوسائط للحصول على غفران الخطايا، كالمعمودية والاستشهاد قال «توجد واسطة

http://coptic-treasures.com

سابعة أيضاً لغفران الخطايا لكنها قاسية وصعبة وهي الغفران بالتوبة حين يبلّ الخاطيء فراشه بدموعه وتصير له الدموع خبزاً نهاراً وليلاً . وحين يعترف بخطيته أمام كاهن الله ويطلب الغفران قائلا مثل داود «اعترف لك بخطيتي ولا أكتم إثمي . قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيتي » (مز ٣٢ : ٥) ثم يقول هذا العلاّمة « وهنا يتم ما قيل من يعقوب الرسول : أمريض أحد بينكم فليدعُ قسوس الكنيسة فيضعوا عليه الأيدي ويمسحوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تخلّص المريض وان كان مرتكباً خطايا تغفر له »

ولنلاحظ هنا فى قول اوريجانس أنه أبدل عبارة الرسول « يصلوا عليه » بقوله « يضعوا عليه الأيدي » وبذلك يشير الى العادة الجارية منذ الأزمنة الأولى حتى الآن فى تتميم سر الزيت وهي وضع الكاهن يده على رأس المريض حين يصلي عليه . ومن كلام اوريجانوس نستنتج أيضاً أنه لا يضع فاصلاً بين سري التوبة والمسحة بالزيت لأنه يتكلم عن الواحد بعد الآخر ، وهذا يدل على أن سر المسحة كان يتم قديماً بعد سر التوبة

والقديس يوحنا ذهبي الفم يقول عند مقابلته بين الكهنة والآباء الجسديين « أما اولئك (أى الوالدين) فيلدوننا لهذه الحياة وأما هؤلاء فلتلك . أولئك لا يستطيعون أن ينقذونا من الموت الجسدي ولا أن يزيلوا مرضاً يتسلط علينا . وأما هؤلاء فكثيراً ما خلّصوا نفساً مريضة وقريبة من الهلاك ، وجعلوا عذاب البعض خفيفاً جداً ، ولم يدّعوا كثيرين أن يسقطوا فى عذاب أو أن يدنوا منه ، ليس بالتعليم والارشاد فقط بل بمساعدتهم بالصلوات أيضاً . لأن سلطانهم فى غفران الخطايا لا ينحصر في البرهة التى

http://coptic-treasures.com

تتبع المؤمنين. يخرجون الشياطين باسمي ويتكلمون بألسنة جديدة. يحملون حيات وإن شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم ويضعون أيديهم على المرضى فيبرأون » (مر ١٦ : ١٧ و ١٨) راجع ايضاً مر ١٦ : ٢٠ واع ٨ : ٥ـ ٨ ، ١٤ : ٨ ـ ١٠ ، ١٩ : ١٠ ـ ١٢ وبعد أن أثبت أن هذه الموهبة « موهبة الشفاء » تدوم في الكنيسة (راجع مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠ ، مر ١٦ : ١٥ ـ ١٨ ، ١ كو ١٢ : ٢٨ ، اع ١٠ : ٤٦ و ١٩ : ٦) قال « وهذا العمل منوط بكل خدمة الله ، وهو قسم من العمل المعطى لهم من الله ولهذا يقول يعقوب الرسول : أمريض أحد بينكم فليدعُ قسوس الكنيسة الخ . هذه هي كلمة الله فما المنفعة من نكرانها وحذفها والهزء بها الخ »

الفصل الخامس

حق تتميم السر للكهنة ونتائجه

إن سر المسحة يتمم في الكنيسة منذ العصور الأولى للمرضى بواسطة القسوس حسب قول الرسول « أمريض أحد بينكم فليدعُ قسوس الكنيسة » وليس الغرض من هذا القول أن لا حق للأساقفة في اتمامه فان الأساقفة هم خلفاء الرسل ووكلاء سرائر الله (١ كو ٤ : ١) ولا يُعقل أن سراً يتممه القسوس، لا يتممه الأساقفة الذين هم أسمى رتبة منهم ، وإنما عيّن الرسول القسوس هنا لسببين أولهما لأنه عيّن لاتمام السر أكثر من قسيس واحد حيث أنه يمكن وجودهم بكثرة في مدينة واحدة ، بخلاف الأساقفة الذين لا يوجدون بكثرة ، فضلاً عن أن الكتاب يذكر اسم

http://coptic-treasures.com

يلدوننا فيها بالمعمودية بل يمتد إلى ما بعدها أيضاً . لأنه يقول « أمريض أحد بينكم فليدعُ قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفى المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له » ثم إن الوالدين الطبيعيين لا يستطيعان أن ينفعا أولادهما بشيء اذا سقطوا تحت غضب أحد من ذوى التقدم والاقتدار فى هذه الدار . لكنّ الكهنة يسترضون لهم لا رئيساً ولا ملكاً أرضياً، بل الله ذاته الذي يغضبونه مراراً كثيرة » (خطاب ٣ : ٦ فى الكهنوت)

والقديس كيرلس الاورشليمي يقول وهو يحارب السحر « أما أنت فاذا كنت موجعاً فى أجزاء جسدك وآمنت بالحقيقة أن دعاءك باسم رب الصباؤوت وسائر أنواع الدعاء التى ينسبها الكتاب الالهي لله بحسب طبيعته تحلّ مصيبتك ،فصلِّ هذه الكلمات وادعُ بها عن نفسك لأنك تعمل عملاً أفضل من أولئك المؤمنين بالسحر ، إذا كنت تقدم المجد لله لا للأرواح النجسة . وإني لمتذكر الكتاب الالهي حيث يقول « أمريض أحد بينكم فليدعُ قسوس الكنيسة فيصلوا عليه ويدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه وإن كان قد فعل خطية تغفر له » (فى العبادة بالروح والحق كتاب ٤)

ويبين القديس غريغوريوس فى كتابه في الأسرار كيفية تتميم سر الزيت مع صلواته وفيه يذكر أن الكاهن يمسح المريض بزيت على اسم الآب والابن والروح القدس ويقول له : لا يبقَ فيك الروح النجس مختفياً بل فلتسكن فيك قوة المسيح الاله والروح القدس لكى تُشفى بتتميم هذا السر وبمسحة الزيت المقدس وبصلواتنا بقوة الثالوث القدوس وتعود

http://coptic-treasures.com

القسوس أحياناً ويريد بهم الأساقفة كما فى (اع ٢٠ : ١٧ و٢٨) وثانيهما لأن الأساقفة مشغولون بمهام كثيرة يتعذر معها عيادة المرضى بأنفسهم، وكانت العادة قديماً تتميم هذا السر بواسطة سبعة قسوس ولكن بما أن الرسول لم يحدد عدد الذين يتممونه وبما ان العدد ليس من الأمور المحتمة في الكنيسة ، فيمكن أن يُتمم بأي عدد أقل من السبعة حتى إلى الثلاثة أو الواحد بحسب الظروف

أما نتائج سر المسحة فهي : —

(أولاً) شفاء الامراض الجسدية فانه أعطي لهذه الغاية حسب قول الرسول « أمريض أحد بينكم . . . وصلاة الايمان تشفي المريض والرب يقيمه » وقد يكون هذا السر سبب تعزية وقوة لكثيرين في احتمال أوجاعهم . وأما الذين لا يحصلون على نفع من هذا السر فعدم انتفاعهم ناشيء إما من عدم أستحقاقهم ، وإما لعدم إيمانهم . فعلينا ان نتممه بكل إيمان وإخلاص مسلّمين أنفسنا لمشيئة الله الذي وعد بأنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا (١ يو ٥ : ١٤)

(ثانياً) شفاء الأمراض الروحية فان يعقوب الرسول يقول « وإن كان قد فعل خطية تغفر له » وهذا يدل على أن الرسول يفترض بأن المتقدم إلى هذا السر بالايمان التام يلقي اتكاله على الله ويندم على خطاياه ويتقدم الى سر التوبة اولاً للأنتفاع من هذا السر المقدس

أمّا ما تفعله كنيسة رومية في هذا السر من عدم منحه الاّ للمشرفين على الموت بزعم أنه مسحة أخيرة للمريض حتى انهم لا يمسحونه به إلاّ عند اقتراب وفاته فهو تعليم غريب مخالف لقول يعقوب الرسول واقوال الآباء وعادة الكنيسة القديمة ولم تبدأ هذه البدعة إلاّ فى القرن الثانى عشر

http://coptic-treasures.com

سر الزيجة

الفصل الاول

الزيجة من حيث هي ناموس طبيعي

ومن حيث هي سر

الزيجة ناموس طبيعي سنّه الله تعالى منذ ابتداء الخليقة بدليل قول موسى النبي في سفر التكوين « فخلق الله الانسان على صورته . على صورة الله خلقه . ذكراً وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم أثمروا واكثروا واملأوا الأرض » (تك ١ : ٢٧ و ٢٨) وقول الرب بعد خلق آدم « ليس جيداً ان يكون آدم وحده . فأصنع له معيناً نظيره » (تك ٢ : ١٨) وعند خلق المرأة قال « فأوقع الرب الاله سباتاً على آدم فنام. فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً . وبنى الرب الاله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم . فقال آدم هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي . هذه تُدعى امرأة لانها من امرءٍ أخذت. لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً » (تك ٢ : ٢١ ـ ٢٤)

ولما فسد البشر وهلك العالم بالطوفان لم يبطل الله هذا الناموس بل عاد وثبّته كما يقول الكتاب « وبارك الله نوحاً وبنيه وقال لهم أثمروا وأكثروا وأملأوا الأرض » (تك ٩ : ١) وقد ثبّت الرب يسوع رباط الزيجة وباركه بحضوره العرس في قانا الجليل (يو ٢ : ١ ـ ١١) ورفع الزيجة إلى

http://coptic-treasures.com

درجة السر لما أجاب على سؤال فريسيين ، عما اذا كان مسموحاً للانسان ان يطلق امرأته لكل سبب. فقال له المجد « أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى . وقال . من أجل هذا يترك الرجل اباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الأثنان جسداً واحداً . إذاً ليسا بعد أثنين بل جسد واحد . فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان » (مت ١٩ : ٤ ـ ٦) وقد أكد هذه الحقيقة بولس الرسول بقوله « لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل. ولأن الرجل لم يُخلق من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل . غير أن الرجل ليس من دون المرأة ولا المرأة من دون الرجل في الرب . لأنه كما أن المرأة هي من الرجل هكذا الرجل ايضاً هو بالمرأة . ولكن جميع الأشياء هي من الله » (١ كو ١١ : ٨ ـ ١٢) وقال « اذاً من زوّج عذراءه فحسناً يفعل » (١ كو ٧ : ٣٨) وحكم بالشجب على الذين يحتقرون رباط الزيجة المقدس (١تى ٤ : ١و ٢) وقد حذا حذو الرسل جميع الآباء القديسين في اعتبارهم أن الزيجة رباط مقدس مؤسس من الله تعالى

الفصل الثاني

الغاية من الزيجة وتأسيس هذا السر

للزيجة غايتان الأولى هي نمو النوع البشري وحفظه بالتناسل حسب الأمر الالهي « أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض » وترتبط بهذه الغاية غاية أخرى وهى نمو وازدياد أعضاء كنيسة الله .

والغاية الثانية هي التعاون والتعاضد ومساعدة كل من الزوجين للآخر

http://coptic-treasures.com

وفقاً لقول الرب« ليس جيداً أن يكون آدم وحده. فاصنع له معيناً نظيره » ولذلك خلق الله المرأة من ضلع آدم ليكون بينهما أتحاد طبيعي ويكون رباطهما قوياً ويعيشا كل حياتهما بدون انفصال . وبعد أن سقط الانسان فى الخطية أضيفت الى الغايتين المذكورتين غاية أخرى هى تحصين الانسان من الخطية وكبح جماح الشهوات بالاقتران الشرعي، ولذلك قال الرسول «حسن للرجل ان لا يمس امرأة . ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها ..: ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل. وكذلك الرجل ايضاً ليس له تسلط على جسده بل للمرأة . لا يسلب أحدكم الآخر » إلى أن قال « ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا كما أنا . ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا . لأن التزوج أصلح من التحرق » (١ كو ٧ : ١ ـ ٩)

وبناء على ماتقدم نرى أن الزواج ناموس مقدس أسسه الله تعالى منذ البدء . وثبّته الرب يسوع ورفع شأنه وسرّ أن يجعله سراً مقدساً فى كنيسته، وعلى ذلك نعرفه : بأنه سر مقدس به يرتبط ويتحد الرجل والمرأة اتحاداً مقدساً بنعمة الروح القدس للحصول على ولادة البنين وتربيتهم التربية المسيحية . وسُميَ هذا السر إكليلا بسبب الأكاليل التي توضع فوق رؤوس العروسين وقت اتمام هذا السر المقدس

ولم يرد فى الانجيل، متى وكيف أسس الرب يسوع سر الزواج . كما انه لم يرد ذكر أشياء كثيرة غيرها مما صنعه أمام تلاميذه ، كما روى يوحنا الانجيلي بقوله « وأيات أخر كثيرة صنع يسوع قدام تلاميذه لم تُكتب فى هذا الكتاب » (يو ٢٠ : ٣٠)

http://coptic-treasures.com

وقد ارتأى بعض الآباء أن الرب يسوع أسس سر الزيجة لما حضر عرس قانا الجليل وباركه بحضوره (يو ٢ : ١ ـ ١١) وقال بعضهم أنه أسسه بخطابه للفريسيين في الزواج الحقيقي بقوله « فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان » (مت ١٩ : ٣ ـ ١٢) ورأى آخرون بأنه له المجد أسسه بعد قيامته من الأموات مدة ظهوره لتلاميذه أربعين يوماً وهو يتكلم معهم عن الأمور المختصة بملكوت الله « أي الكنيسة » (اع ١ : ٣) وعلى كل حال فانه من الثابت من أقوال الرسل ومؤلفات الآباء والتقليد الشريف أن سر الزيجة قائم في الكنيسة منذ تأسيسها

ولقد بيّن بولس الرسول واجبات كل من الزوجين بقوله للنساء « أيها النساء اخضعن لرجالكنّ كما للرب. لأن الرجل هو رأس المرأة كما أن المسيح أيضاً رأس الكنيسة وهو مخلّص الجسد. ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن في كل شيء » وبقوله للرجال « أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها. لكي يقدسها... كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه. فانه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضاً للكنيسة. لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة » (اف ٥ : ٢٢ ـ ٣٢)

فمن قول الرسول هذا يتضح جلياً أن رباط الزيجة يصوّر اتحاد المسيح بالكنيسة. وعلى هذا المعنى يكون الزواج سراً عظيماً. لأنه مادام رباط الزيجة

http://coptic-treasures.com

هو صورة حقيقية فى جوهره يصوّر سرياً اتحاد المسيح بالكنيسة ،وهذا الاتحاد هو بلا ريب مقدس وبرىء من الدنس ، فمن الضرورة أن نسلّم بأن الزيجة أيضاً قد تقدست فى الشريعة المسيحية وأمتلأت نعمة بوجه سري وأستوفت شروط السر، وأنها سر من الأسرار المقدسة . خصوصاً وأن الرسول يقول : تخضع المرأة لرجلها كما تخضع الكنيسة للمسيح ، وأن يحب الرجل أمرأته كما أحب المسيح الكنيسة . فهذه المقابلة لا محل لها على الاطلاق لو لم ينل الزوجان نعمة خاصة بسر الزواج

وقال هذا الرسول فى رسالته إلى أهل كورنثوس « المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيّا . ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد فى الرب فقط » (١ كو ٧ : ٣٩) . وهذا يدل على أن الزيجة منذ أزمنة الرسل كانت تُعقد باسم الرب ، بمعنى أنها كانت عملاً مقدساً دينياً بخدمة كنسية منظورة ، مما يدل على أنها كانت معتبرة سراً مقدساً من أسرار الكنيسة

الفصل الثالث

أقوال آباء الكنيسة عن سر الزيجة

ويظهر من أقوال آباء الكنيسة أعتبارهم أن الزيجة سر مقدس . قال القديس أغناطيوس الشهيد « يجب على المتزوجين والمتزوجات أن يجروا أتحادهم برأي الأسقف ، لكى يكون الزواج مطابقاً لارادة الله لا بحسب الشهوة » (رسالة الى بوليكربوس فصل ٦)

http://coptic-treasures.com

وقال العلامة ترتليانوس « كيف يمكننا أن نعبر عن سعادة الزيجة التي تعقدها الكنيسة ويثبتها القربان وتختمها البركة »(لامرأته ٢ : ٩) وأشار إلى أن الزواج سر مثل باقي الأسرار كالمعمودية والميرون والشركة بقوله « إن الشيطان بما أنه يطلب أن يهدم الحقيقة فيقلّد الأسرار الالهية نفسها عند الأمم، فيعمد بعضاً من أتباعه ويعدهم أن تُغفر خطاياهم بالمعمودية، ويختم جبهة أضداده، ويقيم احتفالياً تقديم الخبز... ويدعو الكاهن ليبارك الزيجة »(فى المحرطقات فصل ٤)

وقال القديس غريغوريوس الكبير « ألم تقترن بالجسد بعد ؟ لا تخف من تتميم ذلك . فأنت طاهر والمسئولية عليّ لأنى انا عقدته وأنا أعطيتك العروس » (خطاب فى المعمودية فصل ١٨)

وقال القديس امبروسيوس « اذا كان من الواجب أن يُعقد الزواج بحلة كهنوتية وبركة فكيف يمكن أن تكون زيجة حيث الايمان مختلف؟» (رسالة إلى ويجيليوس فصل ١٩ و ٢٣ : ٧) وقال « إننا نعترف بأن الله هو سيد الزواج وحارسه ولا يطيق أن يُدنّس المضجع، فمن يخطيء خطية كهذه يخطيء ضد الله اذ يخالف شريعته ويسيء استعمال نعمته ، ومتى أخطأ ضد الله لا يقدر أن يشترك فى السر الالهي » (فى ابرهيم ١ : ٧)

وقال القديس اغسطينوس « إن قداسة السر لها فى زيجتنا (المسيحية) قوة اكثر من قوة ثمرة الأولاد فى الأم » (فى الزيجة ١٨ : ٢١ ، ٢٤ : ٣٢)

وقال القديس يوحنا ذهبي الفم عند كلامه ضد الأغانى والاحتفالات غير اللائقة في الأعراس « قل لى لماذا تسمح من بادىء الأمر بأن تمتلىء آذان ابنتك من الشوائب بالاناشيد القبيحة وبذلك الاحتفال الذي لا محل

http://coptic-treasures.com

للشقاق والانقسام . إذ يضر بغاية الزواج وهي السلام والاتفاق والمحبة في العائلة . لأن الرجل الواحد لا يستطيع ان يرضي كلاً من نسائه وان يتمم رغبة كل منهن . وكل امرأة منهن تجتهد ان تميله الى غرضها ومحبتها اكثر من سواها . واذا لم يحب نساءه كلهن محبة متساوية تتولد الخصومات والمشاجرات وينتفي السلام والوفاق من العائلة . واذا احبّ الرجل احدى نسائه اكثر من غيرها فانه يميل بالطبع الى اولادها ميلاً خاصاً ، مفضلاً اياهم على سواهم مهملاً تربية غيرهم من أولاده ، ولا يخفى ما في ذلك من الاضرار على الهيئة الاجتماعية . أضف الى ذلك أن الرجل الواحد لا يقدر على تأدية الواجب الزوجي الى كل من نسائه فتصبح تلك النساء معرضات لخطر فقدان العفة . فاذن تعدد الزوجات مخالف لسنن الزواج ومضر للعائلة وللهيئة الاجتماعية .

والكنيسة مع تحريمها تعدد الزوجات لا تمنع اعادة الزيجة عن الذين يريدون أن يتحدوا بزيجة ثانية رجالاً كانوا او نساء بعد وفاة احد الزوجين . لأن الموت يحل الرباط بين الزوجين ولا يوجد إذن مانع لعمل رباط جديد بين متعاقدين ، على أن بولس الرسول يفضل عدم زيجة الأرامل لمن استطاع حيث يقول « ولكن اقول لغير المتزوجين وللأرامل إنه حسن لهم إذا لبثوا كما انا . ولكن ان لم يضبطوا انفسهم فليتزوجوا . لأن التزوج اصلح من التحرق » وقوله « المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حياً ولكن ان مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط . ولكنها اكثر غبطة إن لبثت هكذا » (١ كو ٧ : ٨ و ٩ و ٣٩ و ٤٠) .

قال القديس اغسطينوس مفسراً آية الرسول في وصيته للأرامل « من عادة الناس ان يتباحثوا في مسألة الزواج الثالث او الرابع وهلمّ جرا .

http://coptic-treasures.com

له ؟ ألست تعلم أن الصبوة سهلة الزلق ؟ لماذا تهتك أسرار الزيجة الموقرة؟ فانه ينبغي أن ترفض كل هذه وتعلّم أبنتك الحيآء منذ البدء، وتدعو الكهنة وتعقد اتحاد الأزواج بالصلوات والبركات لكي ينمو شوق العريس وترداد عفة العروس ، ويدخل عمل الفضيلة في بيتهما بكل وجه » (على التكوين مقالة ٤٨ : ٦)

الفصل الرابع

العمل المنظور فى اتمام السر وفعله غير المنظور

إن العمل المنظور في اتمام سر الزيجة يقوم بأمرين جوهريين أولهما اقرار كلا العروسين علناً قدام الكنيسة بأنهما قابلان الزواج بحريتهما التامة ورضاهما المتبادل، وتعاهدهما بحفظ الأمانة الزوجية إلى آخر نسمة من حياتهما. وثانيهما البركة التى تتم فى العقد وصلاة الأكليل اللذين يتممها الكاهن

أما فعل النعمة غير المنظور فيقوم بأن النعمة الالهية حسب تعليم الرسول تحوّل الزيجة الطبيعية إلى سر مقدس عظيم يصوّر اتحاد المسيح بالكنيسة اتحاداً سرياً . كما قال « هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة » (اف ٥ : ٣٢) ولزيادة الايضاح نذكر : —

(١) إن النعمة الالهية تقدّس رباط الزيجة وتجعله رباطاً روحياً لأن اتحاد المسيح بالكنيسة هو اتحاد روحي مقدس ولذلك يقول الرسول « ليكن الزواج مكرّماً عند كل واحد والمضجع غير نجس.. » (عب ١٣ : ٤) « لأن هذه هي إرادة الله قداستكم .أن تمتنعوا عن الزنا . أن يعرف كل

http://coptic-treasures.com

واحد منكم أن يقتني إناءه بقداسة وكرامة. لا في هوى شهوة كالأمم الذين لا يعرفون الله » (١ تس ٤ : ٣ ـ ٥) وقال يوحنا ذهبي الفم في هذا المعنى «لأن كل واحد أخذ ماله . فهذا الزواج إذن هو زواج بحسب المسيح. هو زواج روحي وولادة روحية . لا من دم ولا من المخاض كما أن ولادة اسحق هكذا كانت . واسمع ماذا يقول الكتاب المقدس : وقد انقطع أن يكون لسارة عادة كالنساء . فلم يكن الزواج عن هوى ولا كان زواجاً جسدياً بل كان كله روحياً . زواج نفس اتحدت بالله اتحاداً يفوق الوصف كما يعلم هو وحده . ولهذا يقول ان من يلتصق بالرب يكون روحاً واحداً . وانظر كيف يجتهد في أن يقرن الجسد بالجسد ويجمع بين الروح والروح » (على افسس مقالة ٢٠ : ٥)

(٢) إن النعمة الالهية تساعد على أن يدوم رباط الزيجة غير منفصل، كما أن اتحاد المسيح بالكنيسة هو اتحاد أبدي كما قال الرب نفسه «فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان » فقد جمع الله بين الزوجين أولاً بناموس الزيجة طبيعياً ثم بنعمته التي منحها للمتحدين بالشركة الزوجية

(٣) إن النعمة الالهية تساعد الزوجين مدة حياتهما على اتمام الواجبات المفروضة على كل منهما نحو الآخر حسب النموذج السامي في اتحاد المسيح بالكنيسة، حسب وصية الرسول القائل « أيها النساء اخضعن لرجالكن ... كما تخضع الكنيسة للمسيح ». . . وقوله « أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها » (اف ٥ : ٢٢ ـ ٢٥) فلو لم تكن في هذا السر نعمة لكان اقتداء الزوجين بهذا النموذج يفوق حدودهما . فبقوة النعمة إذن وبمعاضدتها يؤدي كل من الزوجين واجباته نحو الآخر

http://coptic-treasures.com

عليه فأجيب باختصار ، لا اتجاسر ان اشجب شيئاً في مثل هذا الزواج ولا اقدر ان احدد ما لم يحدده الرسول نفسه ، فانه يقول ان المرأة مقيدة بالناموس ما دام زوجها حياً ، لم يقل الزوج الأول أو الثانى أو الثالث أو الرابع بل قال ان المرأة مقيدة ما دام رجلها حياً فاذا مات زوجها تعتق فلتتزوج بمن تشاء ، لكن فى الرب فقط ، غير انه أفضل لها ان استمرت على ما هي عليه . فهل يمكن أن يزاد شيء على هذا الحكم ، أو يستثني منه شيء مما يتعلق بهذا الأمر ؟ لا أعلم »

الفصل السابع

عدم انفكاك الزيجة

اما الصفة الثانية للزيجة المسيحية وهي عدم انفكاكها فهي نتيجة طبيعية للناموس الالهي الموضوع منذ البدء الذي شرحه الرب يسوع في تعليمه فقد قال فى خطبته على الجبل « وقيل من طلّق امرأته فليعطها كتاب طلاق . واما انا فأقول لكم إن من طلّق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزني . ومن يتزوج مطلقة فانه يزني » (مت ٥ : ٣١ و٣٢) . ونأتى هنا باقوال الانجيليين في هذا الموضوع :—

قال القديس متى « وجاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحلّ للرجل ان يطلّق امرأته لكل سبب . فأجاب وقال لهم أما قرأتم ان الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى . وقال من اجل هذا يترك الرجل اباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً . اذاً ليسا بعد

http://coptic-treasures.com

ويتمهان كلاهما مقاصد اتحادهما بالزواج أي الولادة ببركة الله لنمو أعضاء الكنيسة، ويعين بعضهما بعضاً، ويحفظان نفسهما من كل دنس

الفصل الخامس

الشروط المطلوبة لعقد رباط الزيجة

إن الذين يتقدمون للاقتران بعقد الزواج ينبغي حسب القوانين الكنسية الارثوذكسية : —

(أولاً) أن يكون العروسان مسيحيين لأنه بدون الايمان بالمسيح لا يمكن نيل النعمة الالهية المعطاة بهذا السر أو بغيره. وعلى ذلك تكون الزيجة مع غير المؤمنين ممنوعة بالكلية حسب قول الرسول « لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين. لانه أية خلطة للبر والاثم. وأية شركة للنور مع الظلمة. وأي اتفاق للمسيح مع بليعال. وأي نصيب للمؤمن مع غير المؤمن. وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان » (٢ كو ٦ : ١٤ - ١٦)

(ثانياً) أن يكونا أرثوذكسيين لأنه لا وجه لنوال غير الأرثوذكسيين إكليلاً أرثوذكسياً من يد كاهن أرثوذكسي قبل أن يعترف بالايمان الأرثوذكسي. ومتى كان أحد العروسين غير أرثوذكسي فانه يشترط أن ينضم الى الكنيسة الارثوذكسية أولا

(ثالثاً) أن يكونا بعيدين عن القرابة الجسدية والروحية المعينة درجاتها من قوانين الكنيسة الارثوذكسية

(رابعاً) أن يكونا راضيين وقابلين الزواج بتمام الحرية والارادة

http://coptic-treasures.com

المطلقة ، لأن طبيعة رباط الزواج حسب قول الرب هي أن يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً . فاتحاد كهذا بين شخصين لا يمكن اتمامه من دون الارادة الحرة والمحبة المتبادلة

الفصل السادس

أوصاف الزيجة المسيحية

للزيجة المسيحية صفتان . (الاولى) وحدة الزيجة وهي ان يكون للرجل امرأة واحدة ، وللمرأة رجلاً واحداً . أي منع تعدد الازواج أو الزوجات. بمعنى أنه لايجوز زواج رجل مرتبط بامرأة ولا زواج امرأة مرتبطة برجل . و (الثانية) عدم انفكاك هذه الزيجة

أما الصفة الأولى وهي وحدة الزيجة فتقوم بأن يقترن الرجل الواحد بامرأة واحدة لا أكثر . وهذه الوحدة تنافي (أولاً) تعدد الأزواج (ثانياً) تعدد الزوجات فالأول وهو اقتران المرأة الواحدة برجال كثيرين في وقت واحد (كما كان عند بعض الأمم) ينافي الشريعة الطبيعية لما في هذا التعدد من المخالفة للغاية المقصودة من الزواج وهي ولادة الأولاد وتربيتهم التربية الصحيحة ، حيث أن قوة النسل تضعف إذ يقل خصب المرأة كثيراً عند اقترانها برجال عديدين، هذا فضلاً عن أن الأولاد فى هذه الحالة يبقون مجهولين، وعليه يضحى الالتزام باتقان التربية غير محقق

أما الثانى وهو تعدد الزوجات أي اقتران الرجل الواحد بنساء عديدات فيدل على عدم جوازه ما يأتى : —

http://coptic-treasures.com

اثنين بل جسد واحد . فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان . قالوا له فلماذا أوصى موسى أن يُعطى كتاب طلاق فتطلّق . قال لهم إن موسى من اجل قساوة قلوبكم أذِنَ لكم أن تطلّقوا نساءكم . ولكن من البدء لم يكن هكذا . واقول لكم إن من طلّق امرأته إلاّ بسبب الزنا وتزوّج بأخرى يزني . والذى يتزوج بمطلقة يزني . قال له تلاميذه إن كان هكذا أمرُ الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج . فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطي لهم » (مت ١٩ : ٣ — ١١)

وقال القديس مرقس « فتقدم الفريسيون وسألوه . هل يحلّ للرجل أن يطلّق امرأته ليجربوه . فأجاب وقال لهم بماذا أوصاكم موسى . فقالوا موسى أذِنَ أن يُكتب كتاب طلاق فتطلّق . فأجاب يسوع وقال لهم من اجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية . ولكن من بدء الخليقة ذكراً وأنثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً . اذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذي جمعه الله لا يفرقه انسان . ثم في البيت سأله تلاميذه ايضاً عن ذلك . فقال لهم من طلّق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها . وإن طلّقت امرأة زوجها وتزوجت باخر تزني » (مر ١٠ : ٢ — ١٢)

وقال القديس لوقا « كل من يطلّق امرأته ويتزوج بأخرى يزني . وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزني » (لو ١٦ : ١٨)

وقال بولس الرسول « أم تجهلون ايها الاخوة . لأني اكلم العارفين بالناموس . ان الناموس يسود على الانسان ما دام حياً . فان المرأة التى تحت رجل هي مرتبطة بالناموس بالرجل الحيّ . ولكن إن مات الرجل

http://coptic-treasures.com

(١) إن الله تعالى لما خلق آدم لم يخلق له سوى امرأة واحدة وقال « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً » (تك ٢ : ٢٤) فلو أراد الله أن يكون للانسان أكثر من امرأة لخلق له نساء عديدات ، خصوصاً وأن الحالة وقتئذ كانت داعية لزيادة النوع البشري . وقصدُ الله ظاهر في خلق امرأة واحدة لرجل واحد . وهذا دليل على أنه سنّ أن لا يكون للرجل أكثر من زوجة واحدة

(٢) إن المخلص له المجد في جوابه على الفريسيين أعلن وحدة الزيجة ومنع تعدد الزوجات ، إذ أوضح أن الناموس الذي وضعه الله تعالى عند البدء هو أن تكون أمرأة واحدة لرجل واحد إذ قال إنه خلقهما ذكراً وأنثى وأنهما ليسا بعد اثنين بل جسد واحد وان موسى أذن لهم بالطلاق لقساوة قلوبهم ولكن منذ البدء لم يكن هكذا (مت ١٩ : ٤ ـ ٨)

(٣) إن الرسول بولس صرح بذلك بقوله « ليكن لكل واحد امرأته وليكن لكل واحدة رجلها ... ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل . وكذلك الرجل أيضاً ليس له تسلط على جسده بل للمرأة ... لا تفارق المرأة رجلها ... ولا يترك الرجل امرأته ... المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حياً الخ » (١ كو ٧ : ٢ ـ ٥ و ١٠ و ١١ و ٣٩)

(٤) إن الله تعالى أعلن في العهد القديم كراهته للطلاق وتعدد الزوجات بقول ملاخي النبي (٢ : ١٤ ـ ١٦) « ان الرب هو الشاهد بينك وبين امرأة شبابك التي أنت غدرت بها وهي قرينتك وامرأة عهدك ... فاحذروا لروحكم ولا يغدر احد بامرأة شبابه لأنه يكره الطلاق قال الرب إله اسرائيل »

(٥) إن تعدد الزوجات مجلبة لأضرار كثيرة عائلية واجتماعية، ومدعاة

http://coptic-treasures.com

فقد تحررت من ناموس الرجل . فاذاً ما دام الرجل حياً تُدعى زانية إن صارت لرجل آخر . ولكن إن مات الرجل فهي حرة من الناموس حتى إنها ليست زانية إن صارت لرجل آخر » (رو ٧ : ١ـ ٣)

وقال جواباً عن أسئلة وجهتْ اليه من اهل كورنثوس « واما المتزوجون فأوصيهم، لا أنا بل الرب، أن لا تفارق المرأة رجلها . وإن فارقته فلتلبث غير متزوجة أو لتصالح رجلها . ولا يترك الرجل امرأته » (١ كو ٧ : ١٠ و ١١)

فمن هذه النصوص المقدسة يتضح أن الزيجة سر مقدس لا ينفك عقد رباطها إلا لسببين اولهما الموت الذي يجعل الزوج الحي حراً من رباط الزواج ، وثانيهما الزنا الذي ينجس رباط الزيجة . كما يتضح من ان الله تعالى منذ البدء قضى بأن يكون هذا الرباط مقدساً « لان الذي جمعه الله لا يفرقه انسان » وعليه فلا يجوز للانسان أن ينقض ما وضعه الله . ولما اعترض الفريسيون على الرب يسوع بكتاب الطلاق الذى أوصى به موسى قال لهم « إن موسى من اجل قساوة قلوبكم أذنَ لكم أن تطلّقوا نساءكم . ولكن من البدء لم يكن هكذا » وكفى ما قاله آدم معلناً قوة هذه الزيجة « هذه الآن عظم من عظامي ولحم من لحمي »

وقد سُمح بالطلاق فى العهد القديم بشروط ، فقد جاء في سفر التثنية « اذا اخذ رجل امرأة وتزوج بها فان لم تجد نعمة فى عينيه لانه وجد فيها عيب شيء ، وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها واطلقها من بيته . ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر . فان ابغضها الرجل الاخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها واطلقها من بيته أو اذا مات الرجل

http://coptic-treasures.com

الاخير الذي اتخذها له زوجة . لا يقدر زوجها الاول الذي طلّقها ان يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد ان تنجست . لان ذلك رجس لدى الرب . فلا تجلب خطية على الارض التي يعطيك الرب الهك نصيباً » (تث ٢٤ : ١ ـ ٤) ويحذّر سفر اللاويين على الكاهن ان يتزوج من امرأة مطلقة من زوجها لانه مقدس لالهه. اما الاقتران بامرأة مطلقة فكان مباحاً لغير الكاهن.

وكان الطلاق مكروهاً من الله كما يستدل من قول الرب على لسان ملاخي النبي « ان الرب هو الشاهد بينك وبين امرأة شبابك التي انت غدرت بها وهي قرينتك وامرأة عهدك . فاحذروا لروحكم ولا يغدر احد بامرأة شبابه لانه يكره الطلاق قال الرب إله اسرائيل » (ملا ٢ : ١٤ و ١٥)

ويظهر مما تقدم : —

(١) إن الطلاق كان مباحاً للرجل دون المرأة

(٢) انه لم يكن جائزاً للرجل ان يطلق امرأته اذا كان قد دخل بها قبل أن تزوجها ، أو اذا كان قد اشاع عنها سمعة قبيحة ولم تكن الاشاعة صحيحة (راجع تث ٢٢ : ١٩ ـ ٢٩)

(٣) انه لم يكن جائزاً للرجل أن يطلّق امرأته من اجل كل علة ، بل من اجل عيب انكره عليها. ويلزم ان يكون هذا العيب من نوع الدنس والقباحة كما يستدل على ذلك من القرائن . وعلى الرجل قبل ان يطلقها ان يكتب لها كتاب طلاق ويدفعه الى يدها، دليلاً على انها اصبحت لحرة يمكنها ان تعقد زواجاً جديداً مع آخر . واذا ابغضها الزوج الآخر وكتب لها كتاب طلاق أو مات ، فليس لزوجها الاول الذي طلقها ان يعود فيأخذها لتكون زوجة له بعد أن تدنست . قال احد اللاهوتيين « إن موسى سمح لهم بالطلاق

http://coptic-treasures.com

منعاً لشر اعظم وهو قتل الامرأة لان اليهود كانوا ميالين لارتكاب مثل هذه الجريمة »

اما فى العهد الجديد فقد اعاد الرب يسوع الزواج الى وضعه الاصلي الذي وضعه الله منذ البدء . ولذلك لم يبح زواج المرأة المطلقة بسبب الزنا . وقد سارت الكنيسة المسيحية على هذا السنن منذ نشأتها حتى اصبح معروفاً لدى الجميع أن الزواج المسيحي لا يقبل الانفكاك إلا بالموت، أو بتلك العلة التى تدنس رباط الزيجة .

قال القديس اكليمنضس الاسكندري « إن الكتب المقدسة بنصائحها عن الزواج وبمنعها المفارقة منعاً قطعياً قررت هذه الشريعة . لا تهجر امرأتك إلا لعلة الزنا . وتعتبر زواجاً زنائياً كل زواج يعقده احد المفترقين ما دام الآخر فى قيد الحياة . . . لانه كتب من تزوج مطلقة . فقد زنى . (الكتاب المسمى استروماتاك ٢ ف ٢٣)

وقال العلامة اوريجانوس « إن سماح بعض رؤساء الكنائس بان المرأة تتزوج برجل آخر فى حياة زوجها مضادّ لشريعة الكتاب المقدس . لانهم خالفوا ما كتب . ان المرأة مرتبطة ما دام رجلها حياً . فمن ثم ما دام رجلها حياً ان صارت لرجل اخر فانها تُدعى زانية . ولكن لا يخلو عملهم هذا من عذر لانهم ربما تساهلوا بمخالفة الشريعة المسطرة والمقررة من البدء منقادين لارادة الغير تلافياً لشرور أعظم » (فى شرحه انجيل متى كتاب ١٤)

وقال القديس امبروسيوس « لا يجوز لك وزوجتك حية ان تقترن بغيرها . لان اقترانك بزوجة ثانية وانت مقيد بزوجة لهو زنا حقيق » (ك ١ على ابرهيم فصل ٧)

http://coptic-treasures.com

وقال القديس اغسطينوس « إنها لشريعة تعلّمها الكنيسة أنه لا يجوز ان يترك الرجل امرأته العاقر ليأخذ امرأة اخرى كثيرة النسل فمن يفعل ذلك يجرم بالزنا في حق الشريعة الانجيلية » (مقاله في الزواج ك ١ فصل ١٠ عدد ١١)

وقال القديس غريغوريوس الثاولوغوس «إن شريعتنا تحرّم الطلاق وان كانت الشرائع المدنية تحكم بخلاف ذلك » (فى رسالته الى اولمبيوس)

سئل القديس تيموثاوس البطريرك الثاني والعشرون من بطاركة الاسكندرية ـ إن كانت امرأة مبتلية بروح شرير بهذا المقدار حتى انها تربط بسلاسل واغلال ويقول زوجها إنني ما اقدر أن اضبط ذاتى ويريد أن يتزوج غيرها . هل يجوز له ان يأخذ غيرها ام لا ؟ فاجاب : إن هذا الامر قد يتداخله فسق كما يبان لي فما عندي ولا اجد ما اجاوب به عن ذلك»

ومن الرواية الآتية يتبين شدة تمسك المسيحيين بعقد الزواج وتحريمهم الطلاق . فقد ذكر جمال الدين القفطي فى تاريخ الحكماء (صحيفة ١٥٩ وابن ابي أصيبعة فى طبقات الاطباء (جزء اول صحيفة ١٢٤ و ١٢٥) وابن العبرى فى تاريخه مختصر الدول (صحيفة ٢١٤) أن ابا جعفر المنصور قال لجورجيس ابن بختيشوع الطبيب الشهير (سنة ٧٧٠) من يخدمك ههنا : قال تلامذتي . فقال المنصور سمعت أنه ليس لك امرأة . فقال : لى زوجة كبيرة ضعيفة لا تقدر على النهوض من موضعها . ثم انصرف من الحضرة ومضى الى البيعة . فامر المنصور خادمه سالماً ان يختار من الجواري الروميات الحسان ثلاثاً ويحملهن الى جورجيس مع ثلثة آلاف دينار . ففعل ذلك . فلما انصرف جورجيس الى منزله عرّفه عيسى بن تهلافا تلميذه بما جرى

http://coptic-treasures.com

واراه الجواري . فانكر امرهن وقال لعيسى . ياتلميذ الشيطان لمَ ادخلت هؤلاء الى منزلي ؟ أردتَ ان تنجسني ؟ امضِ وردهنَّ الى اصحابهن ثم ركب جورجيس ومعه عيسى مع الجواري ومضى الى دار الخليفة وردهن على الخادم . فلما اتصل الخبر بالمنصور احضره وقال . لِمَ رددت الجواري ؟ قال لا يجوز ان يكون مثل هؤلاء في منزلي لاننا معشر النصارى لا نتزوج اكثر من امرأة واحدة . وما دامت المرأة حية لا نأخذ غيرها. فحسن موقع هذا مع المنصور . وامر في الوقت ان يعالج جورجيس حظاياه وحرمه وزاد موضعه عنده وهذا ثمرة العفة »

وللطلاق مضارّ كثيرة نذكر منها :—

(اولاً) انه يضادّ الناموس الزوجي وينافي الغاية التي من اجلها انعقد فيصبح أحد الزوجين به اسوأ حالاً من الآخر .فالرجل لا يفقد من شرفه إلا قليلاً . اما المرأة فتخسر شرفها وتضحى محتقرة وبالكاد تستطيع ان تعقد زواجاً اخر جديداً

(ثانياً) انه يضر بسعادة الزوجين لانه يزيل المحبة المتبادلة بينهما .ويهدم ما كان بناه الزوجان من الاخلاص مدة سنين طويلة، وسعادة المحبة واساسها الدوام والثبات . والحب الذي بين الرجل وامرأته عظيم جداً حتى شبه باتحاد المسيح بالكنيسة . اذ يترك الرجل اباه وأمه ويلتصق بامرأته . فالطلاق ينزع هذا الرباط، ويلاشي هذا الاساس المتين، وينمي الخلاف، ويكثر الشقاق ويفتح أبواب الشر بين العائلات

(ثالثاً) انه يضر بتربية النسل التربية الصحيحة، فان الاولاد في حاجة الى مساعدة كل من الوالدين ،ليس في زمن الطفولة فقط بل مدة الحياة كلها.

http://coptic-treasures.com

وأعمال الخير لا ينكر فضلها . فلو كان هؤلاء مقيدين بقيود الزواج وأثقاله وهموم العائلة والأولاد لكانت هذه المشاغل عائقاً كبيراً لهم عن اداء تلك الأعمال .

أضف الى ذلك أن النفس التى تكون فى حالة البتولية مجردة من كل شهوة جسدية تتصرف بملء التصرف فى قواها وتسيرها كيف شاءت . وكذلك الجسد وهو فى حالة البتولية يكون غير خاضع للتحول السريع ويخدم النفس إلى امد بعيد وديعاً هادئاً مطيعاً .

(رابعاً) ربَّ معترض يعترض بان البتولية مخالفة لقول الله تعالى « اكثروا واثمروا واملأوا الارض » وقوله « ليس حسناً ان يكون آدم وحده » ـ فنقول ان هذه الاقوال لا تضاد البتولية ولا تنكرها عندما تكون البتولية غير مضرة بنمو الجنس البشرى . فلقد اراد البارى تعالى نمو الجنس البشري وتكاثره بواسطة الزواج، لكن هل تدعو الضرورة لبلوغ هذه الغاية الى اشتراك كل فرد من افراد الجنس البشري بهذا النمو من غير استثناء ؟ لعمري ان ذلك بعيد عن الصواب . والواقع خلاف ذلك . لان العالم مكتفٍ من النمو وقد كثر عدد العاجزين عن الزواج طبعاً . وعندما قال الله هذه الأقوال وجهها الى الانسانين الأولين آدم وحواء، إذ لم يكن فى العالم سواهما ، وعليهما يتوقف نمو الجنس البشري ، فتكاثرهما ونموهما كان واجباً ،واليهما اتجه امر الله هذا لا الى عامة الجنس البشري من غير استثناء . بل بالعكس يستفاد من ذات الآية انها وصية آمرة ،ومجرد كونها آمرة ينفى عنها الشمول العام الذي هو شأن الوصايا الناهية ، وبالتالى فليست ملزمة فى كل الاحوال ولكل فرد من الآنام

http://coptic-treasures.com

فان الاولاد بعد أن يتغذوا ويقتاتوا من البان امهاتهم يحتاجون الى عناية الآباء. وهم دائماً في شديد الحاجة الى محبة الام وعطفها الحلو، وعنايتها الساهرة. والى سلطة الأب وحكمته السامية. وهذا يقتضي اتحاد الزوجين. اما الطلاق فيفصل هذا الاتحاد ويضر ضرراً بليغاً بمصلحة الاولاد. فالى اية جهة يتجه الاولاد؟ إن لحقوا الأب خسروا محبة امهم، واذا تبعوا الأم خسروا سلطان الاب وعنايته، وفي كلتا الحالتين خسارة الاخلاق وفقد الصيت الحسن

(رابعاً) انه يضر بخير الجماعة لانه ينزع السلام من العائلات ويلقي الشقاق بين افراد الهيئة الاجتماعية. فكما ان بالزواج تتحد العائلات، وتنضم بعضها الى بعض، وتشتد روابط الحب ووثائق الالفة. فهكذا بعكس ذلك الطلاق فانه ينشيء الانشقاقات وبه ينتشر البغض وتشتد العداوات. وهذا كله مما ينزع السلام من الاجتماع ويعم الخراب. اضف الى ذلك انه يفسد الآداب السليمة إذ فيه نكث العهود وعدم الوفاء، وتصبح غاية الانسان اتباع شهواته الجسدية

اما اعتراضات الذين يصورون تعاسة الزوجين من خصام وشقاق. ويقولون ان الافضل لمثل هذين الزوجين الانفصال بعضهما عن بعض. وان يعقد كل منهما عقداً جديداً، افضل من تلك الحياة المملوءة شقاء وتعاسة. فيرد عليهم بان العقل يقضي بتفضيل خير الجماعة على خير الافراد، وخير الجماعة البشرية يقتضي أن لا يُفتح السبيل الى مثل تلك النتائج السيئة التي تنجم عن الطلاق. فاذا لحق ضرر ببعض الافراد من جراء صرامة ناموس الزواج، فليس ذلك مسوغاً لفسخ شريعة من شأنها ايجاد السلام وخير الجماعة وسعادة المتزوجين. اضف الى ذلك أن الناموس وُضع للجماعات وليس

http://coptic-treasures.com

للافراد، وان هذا الناموس ليس ناموساً بشرياً يمكن تغييره وانما هو ناموس ألهي ينبغي الخضوع له . هذه شريعة قد وضعها الله نفسه ويسوع المسيح شرحها فمن احق بأن يصدق ويتبع المسيح ام هوى القلب البشري ؟

ففي شريعة الكمال هذه وفي هذه القداسة يجب ان يصان سر الزواج حفظاً للآداب وضماناً لسعادة الأسرة وتأييداً للعمران .

الفصل الثامن

حالة البتولية أشرف من حالة الزواج

إن بولس الرسول الذي شرح سر الزيجة شرحاً وافياً وقال عنه « هذا سر عظيم » وقال « ليكن الزواج مكرّماً عند كل واحد والمضجع غير نجس » (عب ١٣ : ٤) قد فضّل حالة البتولية على حالة الزواج حيث قال « لأني أريد أن يكون جميع الناس كما أنا . لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله . الواحد هكذا والآخر هكذا . ولكن أقول لغير المتزوجين وللأرامل أنه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا ولكن إن لم يضبطوا أنفسهم فليتزوجوا . لأن التزوج أصلح من التحرق ... وأما العذارى فليس عندي امر من الرب فيهن ولكني أعطي رأياً كمن رحمه الرب أن يكون أميناً. فأظن أن هذا حسن لسبب الضيق الحاضر ، أنه حسن للانسان أن يكون هكذا . أنت مرتبط بامرأة فلا تطلب الانفصال . أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة . لكنك وان تزوجت لم تخطىء . وان تزوجت العذراء لم تخطىء . ولكن مثل هؤلاء يكون لهم ضيق في الجسد . وأما أنا فاني

http://coptic-treasures.com

(خامساً) واخيراً نرد على الذين يقولون ان القدماء انكروا العزوبة وقاوموها ، بان لا صحة لهذا الكلام فقد كان كهنة إزيس عند المصريين ملزمين بحفظ العفة ، والعذارى اللواتي كنّ مخصصات لخدمة الشمس عند الفرس كن بتوليات ، وكهنة أثينا وتلامذة ديوجين واكثر اتباع فيثاغورس وكل الذين كانوا مكرسين لخدمة آلهة ، كانوا غير مرتبطين بزواج . وقد كان في تراكيا (من اقاليم مملكة اليونان) شركة اسمها شركة العزّاب . نعم ان ليكورغوس اليوناني سنة ٨٨٤ ق . م . طعن في العزوبة ، وشرائع يوليانوس حتمت بوضع حد للعزّاب . والسبب في ذلك ان اولئك الذين كانوا يعيشون في حالة العزوبة ما كانوا يقصدون منها حفظ نفوسهم بالطهارة والفضيلة ، وانما قصدوا ارخاء العنان لشهواتهم هاربين من روابط الزواج لئلاّ تلجم شهواتهم ، فتلك العزوبة لا تدل إلا على فساد الاخلاق ، وشتان بينها وبين البتولية الطاهرة المقدسة التي نتكلم عنها .

http://coptic-treasures.com

أشفق عليكم . فأقول هذا أيها الأخوة الوقت منذ الآن مقصّر لكي يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم . والذين يبكون كأنهم لا يبكون والذين يفرحون كأنهم لا يفرحون والذين يشترون كأنهم لا يملكون. والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه . لأن هيئة هذا العالم تزول. فأريد أن تكونوا بلا همّ . غير المتزوج يهتم في ما للرب كيف يرضي الرب. وأما المتزوج فيهتم في ما للعالم كيف يرضي امرأته . ان بين الزوجة والعذراء فرقاً. غير المتزوجة تهتم في ما للرب لتكون مقدّسة جسداً وروحاً . وأما المتزوجة فتهتم في ما للعالم كيف ترضي رجلها ... إذاً من زوّج فحسناً يفعل ومن لا يزوج يفعل أحسن . المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حياً . ولكن إن مات رجلها فهي حرة لكي تتزوج بمن تريد في الرب فقط. ولكنها أكثر غبطة ان لبثت هكذا بحسب رأيي » (١ كو ٧ : ٧ - ٤٠)

فمن أقوال بولس الرسول هذه يتضح ان حالة العزوبة أشرف من حالة الزواج . وهذه المقابلة ليست مطلقة بل بالنسبة الى الحالة في ذاتها لا الى الأشخاص . فقد يوجد أشخاص متزوجون أفضل من كثيرين ممن يعيشون في حالة العزوبة. ولا نقصد المقابلة بين حالة العزوبة والزواج من حيث هو سر. بل نقصد المقابلة بين حالة البتولية وحالة الزواج باعتبار كونه حالة لا باعتبار كونه سراً. وليس المراد بحالة العزوبة الخلو من رباط الزواج، فقد يتفق أن تكون تلك الحالة مقرونة بسيرة رديئة، بل المقصود هنا بحالة البتولية، تلك الحالة التي يقضي فيها المرء حياة نقية طاهرة منزهة عن شهوات الجسد، وعلى ذلك نقول ان هذه الحالة أفضل وأشرف من حالة الزواج بالأدلة الآتية: -

أولاً - من تعليم الكتاب فقد قال الله تعالى « ولا يقل الخصيّ ها أنا

http://coptic-treasures.com

شجرة يابسة . لانه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتي ويختارون مايسرني ويتمسكون بعهدي . انى أعطيهم في بيتي وفى أسواري نُصُباً واسما أفضل من البنين والبنات . أعطيهم اسماً أبدياً لا ينقطع » (اش٥٦ : ٣ ـ ٥) وقال الرب يسوع لتلاميذه عندما قالوا إن كان هكذا امر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج « ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطي لهم . لانه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون امهاتهم . ويوجد خصيان خصاهم الناس . ويوجد خصيان خصوا انفسهم لاجل ملكوت السموات . من استطاع ان يقبل فليقبل » (مت ١٩ : ١٠ ـ ١٢) ولما قال له بطرس « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك . اجاب يسوع وقال الحقّ اقول لكم ليس أحد ترك بيتاً أو اخوة أو اخوات أو اباً أو أماً أو امرأة أو اولاداً أو حقولاً لاجلي ولاجل الانجيل . إلا ويأخذ مئة ضعف الآن فى هذا الزمان بيوتاً واخوة واخوات وامهات واولاداً وحقولاً مع اضطهادات وفي الدهر الآتى الحيوة الابدية » (مر ١٠ : ٢٨ ـ ٣٠) فمن اقوال مخلصنا له المجد يتضح أن الذين يكرّسون ذواتهم بالبتولية ويعيشون بطهارة وقداسة لاجل اسمه ولاجل الانجيل ، لهم مرتبة رفيعة ، وحالتهم أفضل من حالة الذين يرتبكون بامور العالم ، خصوصاً وانه له المجد يبين حالة النفوس فى السماء « لانهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء » (مت ٢٢ : ٣٠) قال القديس أيرونيموس « هكذا ينبغي أن نفهم كلام المسيح ... يسرني أولئك الذين صاروا خصياناً بارادتهم غير مجبرين . انى بملء الرضى أقبل فى احضانى اولئك الذين قد امتنعوا عن الزواج لأجل ملكوت الله . اولئك الذين لم يريدوا أن يكونوا كما

http://coptic-treasures.com

سر الكهنوت

الفصل الأول

ارتباط هذا السر بباقي الاسرار وتعريفه

قد بينا فيما سبق أن الاسرار تنشيء النعمة فى النفوس ، وتفيض بركات المسيح على المؤمنين . ولما كان المسيح مخلصنا هو الذى استحق لنا جميع النعم بموته ، لزم أن الأسرار تستمد قوتها من استحقاقه ، لأنه هو الذي كفر عن خطايانا (١ يو ٢ : ٢) وهو الذي استحق لنا النعم اللازمة للتبرير والخلاص « لأنه إن كان بخطية الواحد قد ملك الموت بالواحد فبالأولى كثيراً الذين ينالون فيض النعمة وعطية البر سيملكون فى الحياة بالواحد يسوع المسيح . فاذاً كما بخطية واحدة صار الحكم على جميع الناس للدينونة هكذا ببر واحد صارت الهبة إلى جميع الناس لتبرير الحياة » (رو٥:١٧و١٨) والمسيح له المجد لم يكن سفيراً ووكيلاً كما كان موسى فى العهد القديم ، بل كان باستحقاقاته الغير المتناهية مُنشئاً للعهد الجديد ، وضامناً له ، كما يقول بولس الرسول « لاحظوا رسول اعترافنا ورئيس كهنته المسيح يسوع . حال كونه أميناً للذي أقامه كما كان موسى أيضاً فى كل بيته . فان هذا قد حُسب أهلاً لمجد أكثر من موسى بمقدار ما لباني البيت من كرامة أكثر من البيت لأن كل بيت يبنيه إنسان ما ولكن باني الكل هو الله . وموسى كان أميناً فى كل بيته كخادم شهادة للعتيد ان يتكلم به . وأما المسيح فكأبن على بيته .

http://coptic-treasures.com

ولدوا مخصصين ذواتهم لعبادة الله، ايمانهم عظيم وفضيلتهم سامية لأنهم صاروا هيكل الله النقي، لانهم قدموا ذواتهم بكليتها ضحية للرب لأنهم حسب قول الرسول تقدسوا بالجسد والروح » (ضد يوفينيانوس ك١ ف ٧)

ثانياً ـ إن الحالة التي فيها يفضل الخير الروحي على الزمني، وخير النفس على خير الجسد، هي أشرف وأسمى حالة، وغاية البتولية هي الخير الروحي، لانها ترذل شهوات الجسد حتى المسموح بها وذلك لأجل محبة الله، وغايتها أيضاً خير النفس لانها تعدها للحياة الروحية والتأمل والصلاة وخدمة الله. أما غاية الزواج فهي خير الجسد وتكثير النسل البشري. فحالة البتولية اذاً أفضل من حالة الزواج

وليست البتولية حالة مستحيلة كما يظن البعض، فقد استطاعها كثيرون عاشوا في غاية الطهارة، وتساموا في الفضيلة، وسلكوا كانوار في العالم. نعم انها حالة صعبة ومستحيلة على الذين ليست لهم دعوة البتولية والذين لا يستعملون الوسائط اللازمة لحفظها، ولكنها سهلة على الذين يهربون من أسباب الخطية ويسلكون بحسب النعمة ويقمعون شهوات الجسد ويصلبون أهواءهم بالاماتة والتعب والصلاة والصوم والاشغال. ثم يواظبون على العبادة وتلاوة الكتب المقدسة

ثالثاً ـ لا صحة لما يزعمه البعض من أن البتولية لا تساعد على الخير العام كالزواج، لأن البتولية تساعد كثيراً على عمل الخير والمثل الصالح وقهر الشهوات وممارسة أفعال الرحمة والعناية بالفقراء والأيتام والمرضى، وكثيراً ما جلبت خيراً على الجنس البشري بأعمال التضحية، ومن نظر الى أعمال الرهبنات وتاريخها المجيد وما قامت به قديماً وحديثاً من انشاء المدارس والملاجيء

http://coptic-treasures.com

وبيته نحن » (عب ٣ : ١ ـ ٦) وفى هذا العهد أقيم المسيح كاهناً إلى الأبد على رتبة ملكي صادق (راجع عب ص ٧و٨)وهو رأس الكنيسة (اف ٤ : ١٥ وكو ١ : ١٨) فلا نعمة ولا موهبة روحية تستمد إلاّ من استحقاقاته ولا تفاض علينا بركة إلاّ به . وان كل سلطة روحية وكل وسيلة من وسائل النعمة ووسائط الخلاص المودعة فى كنيسته لا تقتبس ولا تصدر إلاّ من جوده وكرمه . وهذه النعم والبركات التي أودعها مخلصنا فى كنيسته قد أمر خدامه بمباشرتها وأعطاهم سلطاناً على توزيعها على المؤمنين فقد قال له المجد « دفع إليّ كل سلطان فى السماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ١٨ ـ ٢٠) وقال لهم أيضاً « كما أرسلني الآب ارسلكم أنا . ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » (يو ٢٠ : ٢١ ـ ٢٣)

ينتج من ذلك أن الرب يسوع أنشأ الأسرار ومنحها، وشاءت ارادته أن يوزعها فى كنيسته بواسطة خدام أقامهم ووعدهم بأن يكون معهم كل الأيام. وقد قال بولس الرسول «وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً . والبعض أنبياء . والبعض مبشرين . والبعض رعاة ومعلمين. لأجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح » (اف ٤ : ١١ و ١٢)

وهؤلاء الذين يُقامون لخدمة الكنيسة وتوزيع نِعَم الله وبركاته وأسراره التي أنشأها يمتازون عن باقي الشعب بهذه الرتبة بمقتضى الترتيب

http://coptic-treasures.com

الالهي وينالون هذه الموهبة بواسطة طقس احتفالي بوضع اليد عليهم. وهذا مايُسمى بسر الكهنوت أو سر الدرجة

ويراد بهذا السر رتبة الاكليريكيين المكرَّسين للوظائف المعينة بالكنيسة ـ ومنزلة هذه الدرجة تسمو فوق كل سمو . لان مايتولاه الكاهن من السلطان على غفران الخطايا وعلى تقديم سر جسد المسيح ودمه مما يفوق ادراك العقل البشري .

وقد عرَّف بعضهم هذا السر بانه سر يقلد ولاية روحية ، ويخول نعمة مباشرة الخدم الكنسية كما ينبغي ـ وعرَّفه اخرون بانه عمل مقدس ، به يضع الاسقف يده على رأس الشخص المنتخَب ويطلب من اجله فتنسكب عليه النعمة الالهية التي ترفعه الى احدى درجات الكهنوت ، وتساعده على اتمام واجباته الكهنوتية . وعلى ذلك فان هذا السر لا يخول فقط النعمة بل يخول ايضاً السلطان لمباشرة الخدم الروحية الكنسية من اسرار وغيرها . ويُدعى هذا السر شرطونية (اى وضع اليد)

الفصل الثاني

الكهنوت من حيث هو رتبة مختصة بافراد معينين فى الكنيسة

ان الذين انشقوا عن الكنائس الرسولية لا يعترفون بان المسيح اقام في كنيسته وظيفة خاصة اعني وظيفة الكهنوت ويزعمون ان جميع المؤمنين هم كهنة لله العلي . وهذا مخالف لتعليم الكتاب وسنبرهن فيما يأتي على ان

http://coptic-treasures.com

المخلص له المجد اقام هو بنفسه في كنيسته صفاً خصوصياً لهذه الرتبة ، وخوّل الذين انتخبهم القوة ومنحهم السلطان ليكونوا معلمين وخداماً ، وسلّم لهم ما سلّم من الخدم التي يجب ان يتمموها . ولم يسمح بهذه الوظائف لاحدٍ غيرهم من عامة المؤمنين :—

(اولا) إن الرب يسوع اختار بنفسه من بين تلاميذه اثني عشر تلميذاً معروفين بأسمائهم وسماهم رسلاً . وقد قال لوقا الانجيلي « وفي تلك الايام خرج الى الجبل ليصلي . وقضى الليل كله في الصلاة لله . ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثني عشر الذين سماهم ايضاً رسلاً الخ » (لو ٦ : ١٢و١٣) وقال متى الانجيلي « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً : إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت اسرائيل الضالة ... اكرزوا قائلين إنه قد اقترب ملكوت السموات . . ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجاً من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم ... من يقبلكم يقبلني ومن يقبلني يقبل الذي أرسلني » (مت ١٠) وفى انجيل يوحنا قال لتلاميذه « ليس أنتم اخترتموني بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمر ويدوم ثمركم » (يو ١٥:١٦)

ثم انه له المجد عيّن سبعين آخرين أيضاً وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه الى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعاً أن يأتي وقال لهم ها أنا أرسلكم مثل حملان بين ذئاب الخ (لو ١٠ : ١ ـ ٤)

(ثانياً) إنه له المجد اعطى هؤلاء الرسل السلطان والحقوق فى تعليم الامم واتمام الاسرار . فقد قال لهم وحدهم « دُفع اليّ كل سلطان فى السماء

http://coptic-treasures.com

لا يمكن ان يقوم اجتماع بدون خدامه ولا سيما كتلك الاجتماعات التى كانت فى الكنائس المسيحية الاولى ... واقتدى بمثال كنيسة اورشليم كل الكنائس اطاعة لاوامر الرسل . ومن المعلوم انهم عينوا كذلك شمامسة (١تي ٣ : ٨ و ٩) وكان ايضاً فى كنائس كثيرة ولا سيما فى كنائس اسيا خادمات عامة وشماسات ... وحينما اتسعت الكنائس وازداد عدد الشيوخ والشمامسة والواجبات المطلوبة اقتضى ان يكون لمجمع الشيوخ رئيس مشهور برزانته وذكائه يوزع على رفقائه اشغالهم المتنوعة ، ويكون كمركز لكل الجماعة وهذا كان يُسمى اولاً ملاكاً (رؤ ص ٢ و ٣) ثم سُمي بعدئذ استقفاً ، وهي كلمة يونانية تدل على شغله الاصلي.... فمع هذا كله لم تطل المدة إلاّ وازدادت الاسقفية اتساعاً وسطوة لان الاساقفة الذين سكنوا المدن ، اما باتعابهم واما باتعاب قسوسهم استحدثوا كنائس فى القرى والمزارع المجاورة . وهذه الكنائس استمرت تحت حماية ومناظرة الاساقفة الذين بخدمتهم او عن يدهم قبلت الديانة المسيحية . ورويداً رويداً نشأت ولايات كنائسية سماها اليونانيون بعدئذ ابروشيات ، والذين سلمهم اساقفة المدن سياسة وتعليم كنائس القرى والمزارع دعوا « تس خورى ابسكوبى » اى اساقفة المسارح والحقول ، وكانوا فى الرتبة الوسطى بين الاساقفة والقسوس ، فكانوا دون الاساقفة لانهم يخضعون لهم ، وفوق القسوس لانهم تصرفوا بحكمتهم ونباهتهم وعملوا كل واجبات الاساقفة » (موسهيم كـ ١ قرن ١ قسم ٢ فصل ٢) وقال أيضاً « ان نظام سياسة الكنيسة الذى ابتدأ فى القرن السابق (الاول) تقرر وتثبت فى هذا القرن باكثر همة ونشاط فى كل اجزائه فكان رئيس واحد او اسقف يتنصّب على كل كنيسة من الكنائس

http://coptic-treasures.com

وعلى الارض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الاب والابن والروح القدس . وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به. وها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ١٨ ـ ٢٠) ولهم وحدهم قال عن سر جسده ودمه الاقدسين « اصنعوا هذا لذكري » (لو ٢٢ : ١٩) وايضاً « كما ارسلني الآب ارسلكم أنا . ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه تُغفر له . ومن امسكتم خطاياه أمسكت » (يو ٢٠ : ٢١ و٢٢)

(ثالثاً) لما ارسل تلاميذه الاثنى عشر والسبعين وامرهم بالكرازة بالانجيل للخليقه كلها (مر ١٦ : ١٥) قال لهم « وها انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠)

فمن قوله لتلاميذه ها انا معكم الى انقضاء الدهر ، يستدل على حضور المسيح الدائم فى كنيسته ومساعدته لخلفائهم الذين يقومون من بعدهم فى وظيفتهم . أضف الى ذلك انه امر بطاعتهم واكرامهم وعدم مخالفتهم. فقد قال « واية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا الى شوارعها وقولوا. حتى الغبار الذي لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم.. واقول لكم إنه يكون لسدوم فى ذلك اليوم حالة أكثر احتمالاً مما لتلك المدينة ... الذى يسمع منكم يسمع مني. والذى يرذلكم يرذلني . والذى يرذلني يرذل الذى أرسلني » (لو ١٠ : ١٠ ـ ١٦)

(رابعاً) بعد صعود المخلص الى السماء اجتمع الرسل واقاموا اثنين يوسف الذي يُدعى بارسابا الملقب يوستس ومتياس . وصلوا قائلين : أيها الرب العارف قلوب الجميع عيّن أنت من هذين الاثنين ايا اخترته . ليأخذ قرعة هذه الخدمة والرسالة التي تعداها يهوذا ليذهب الى مكانه . ثم ألقوا

http://coptic-treasures.com

قرعتهم فوقعت القرعة على متياس فحسب مع الاحد عشر رسولا » (اع ١: ٢٣-٢٦) وذكر في سفر الاعمال عن الرسل «وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه . فصاموا حينئذ وصلّوا ووضعوا عليهما الايادى ثم اطلقوهما » (اع ١٣ : ٢ و ٣)

(خامساً) إن الرسل القديسين اقاموا فى الكنائس التى اسسوها اساقفة وقسوساً وشمامسة، ومنحوهم موهبة الخدمة بوضع ايديهم عليهم . كما امروهم ان ينوبوا عنهم فى سياسة الكنيسة ، وخولوا لهم سلطان اقامة الاساقفة والقسوس فى كل مدينة لرعاية شعب الله واتمام الخدم الالهية

ففي سفر اعمال الرسل كرسوا شمامسة ووضعوا عليهم الايادى (اع ٦ : ٤ — ٦) وانتخب بولس وبرنابا قسوساً فى كل كنيسة ثم صليا باصوام واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به (اع ١٤ : ٢٣) وقال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس «وما سمعته مني بشهود كثيرين اودعه اناساً امناء يكونون اكفاء ان يعلّموا اخرين ايضاً » (٢تي٢:٢) «لاتهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع ايدى المشيخة » (١تى ٤ : ١٤) وقال لتيطس « من اجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمّل الامور الناقصة وتقيم فى كل مدينة قسوساً كما اوصيتك» (تي ١ : ٥) وبيّن لهم المؤهلات الخاصة التي بموجبها ينتخبون الاساقفة والقسوس والشمامسة والاوصاف الخاصة التى تميز المدعوين الى هذه الرتب والقوانين لمكافأة الذين يحسنون الخدمة (راجع ٢ تي ٢ : ٢، ١تى ١ : ٥ — ٩ ، ١تى ٣ : ١ — ١٠ ، ٥ : ٩ و ١٧ و ٢٢ ، تى ١ : ٥ — ١٦) وقال « ولا يأخذ احد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون ايضاً » (عب ٥ : ٤) « وكيف يسمعون بلا كارز .

http://coptic-treasures.com

وتنصيبه عليها باستدعاء عام من كل الشعب وكان عليه ان يسهر على مصالح الكنيسة مع الشيوخ الذين لم تتعين كميتهم ويفرض لكل منهم مركزه وكان تحت رئاسة الاسقف والشيوخ أيضاً الشمامسة أو الخدام الذين انقسموا إلى رتب إذ لا يمكن أن يقوم شخص واحد بكل مصالح الكنيسة المطلوبة» (ك ١ قرن ٢ قسم ٢ فصل ٢)

(ثامناً) شهادة الكنيسة الأسقفية والبروتستانت. فقد جاء في كتاب الصلاة العامة للكنيسة الانكليزية في فصل الكلام على الصورة والطريقة لاقامة ورسامة وتكريس الأساقفة والقسيسين والشمامسة ما يأتي «جميع الذين يطالعون الكتاب المقدس ومؤلفات الأقدمين باعتناء يتبين لهم أن درجات الخدام هذه كانت في كنيسة المسيح من عهد الرسل وهي الأساقفة والقسيسون والشمامسة. وكانت هذه الوظائف تعتبر موقرة دائماً. فلم يكن أحد يجترىء على اجراء احداها إلا إذا دُعيَ أولاً وامتحن وفحص وعلم أنه متصف بالصفات المطلوبة فكانوا يستصوبون ويُقبلون بالصلاة الجمهورية مع وضع الأيدي بسلطان شرعي. ولغاية أن تبقى هذه الرتب وتستعمل بالتوقير والاعتبار في كنيسة انكلترا لا يصح أن يحسب أحد أو يتخذ أسقفاً شرعياً أو قسيساً أو شماساً في كنيسة انكلترا أو يؤذن له في أن يجري إحدى هذه الوظائف المذكورة إلا أن يُدعى ويُمتحن ويُفحص ويُقبل على الصورة الآتية، أو يكون قد كرّسه قبلاً أو رسمه أسقف ما. ولا يقبل أحد شماساً إلا إذا بلغ سنه ثلاثاً وعشرين سنة، إلا ان كان معه أجازة. وكل من يُقبل قسيساً لا بد أن يكون قد بلغ أربعاً وعشرين سنة كاملة. وكل من يرسم أو يكرس أسقفاً لا بد أن يكون عمره ثلاثين سنة تامة»

http://coptic-treasures.com

وكيف يكرزون ان لم يرسلوا » (رو ١٠ : ١٤ و ١٥) « فوضع الله اناساً فى الكنيسة اولاً رسلاً ثانياً انبياء ثالثاً معلّمين ثم قوات وبعد ذلك مواهب شفاء اعواناً تدابير وأنواع ألسنة . ألعلّ الجميع رسل . ألعلّ الجميع انبياء . ألعلّ الجميع معلمون . ألعلّ الجميع اصحاب قوات الخ »(١ كو ١٢ : ٢٨ و ٣٠) وامر الشعب قائلاً « اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله . انظروا الى نهاية سيرتهم فتمثّلوا بايمانهم ... اطيعوا مرشديكم واخضعوا لانهم يسهرون لاجل نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً لكى يفعلوا ذلك بفرح لا آنين لان هذا غير نافع لكم » (عب ١٣ : ٧ و ١٧) « ثم نسألكم ايها الاخوة أن تعرفوا الذين يتعبون بينكم ويدبرونكم فى الرب وينذرونكم . وأن تعتبروهم كثيراً جداً فى المحبة من اجل عملهم » (١ تس ٥ : ١٢ و ١٣)

(سادساً) إن اقوال آباء الكنيسة تدل على هذه الحقيقة، وتشهد بان الاعصر التى تلت عصر الرسل كانت ،فى كل زمان ومكان،فيها هذه الرتبة الرعوية من اساقفة وقسوس وشمامسة .

قال القديس اكليمنضس الروماني تلميذ بطرس الرسول « إذ قد اخذ الرسل معرفة كاملة بما سيكون بعدهم اقاموا الذين سبق ذكرهم (اي الاساقفة والشمامسة) وبالوقت نفسه حددوا امر الخلافة حتى كلما رقد واحد منهم يخلفه فى الخدمة رجال آخرون مختبرون » (رسالة ١ : ٤٤) وقال القديس اغناطيوس تلميذ يوحنا الرسول « ان الاساقفة قد اقيموا فى جميع اماكن الارض بحسب مشيئة يسوع المسيح » (رسالته الى افسس) وقال القديس ايريناوس « انه يمكنا ان نذكر الذين اقامهم الرسل اساقفة فى الكنائس وخلفاءهم ايضاً باسمائهم ، الى ايامنا الذين لم يعلموا شيئاً البتة

http://coptic-treasures.com

ولم يروا شيئاً مما يتصوره الهراطقة ، لانه اذ عرف الرسل الاسرار المكتومة كانوا يظهرونها للكاملين وحدهم دون جميع الاخرين ، فبحق اقوى اذن قد باحوا بها وسلموها للرجال الذين أئتمنوهم على الكنائس نفسها . اذ كانوا يرغبون ان يكون خلفاؤهم المقامون فى رتبهم الخاصة كاملين فى التعليم وبلا لوم من كل الاوجه » (ضد الهراطقه ٣ : ٣) وقال « يجب الخضوع للكهنة الذين اقيموا فى الكنيسة متسلسلين بحسب الخلافة من الرسل ، واخذوا المواهب الحقيقية بمسرة الآب مع الخلافة الاسقفية . واما الباقون الذين لم ينالوا الكهنوت بخلافة رسولية وهم يجتمعون خارج الكنيسة حيث اتفق ، فيجب ان نحسبهم اناساً مشبوهين وهراطقة وارديا ء وعصاة ومتعجرفين ومتكبرين ومرائين ، وانهم لا يتعاطون ذلك إلاّ محبة فى الربح والمجد الفارغ » (ضد الهراطقة ٤ : ٢٦) وقال القديس كبريانوس « نحن خلفاء الرسل ومدبرو كنيسة الله عينها » وقال أيضاً « ان سلطان حل الخطاة أعطيَ للرسل وللكنائس التي هم اسسوها اذ ارسلوا من الله وللاساقفة الذين خلفوهم بحسب ترتيب النيابة » (رسالة ٢٥) وقال ايضاً « ان الشعب المتحد مع الكاهن والقطيع الخاضع لراعيه يشخّص الكنيسة . ولهذا يجب ان تعلموا ان الاسقف بالكنيسة والكنيسة بالاسقف ، ومن لم يكن مشتركاً مع الاسقف فليس فى الكنيسة البتة » (رسالة ٦٩ : ٨)

وقال القديس غريغوريوس الثاولوغوس « ان فى الجسد قسمين قسم يسوس ويرأس وقسم يُساس وينقاد . وهكذا فى الكنائس ايضاً . . . فان الله قد رتب ان يكون هؤلاء المحتاجون الى اولئك ملازمين واجباتهم التى عرفوها بالقول والمثال ويلبثوا رعية مرؤسة ، واما الاخرون فلأنهم اعلى رتبة

http://coptic-treasures.com

ويلي هذا الكلام صورة الرسامة لكل من الدرجات الثلاث

وفي سنة ١٨٩١ نشر أساقفة انكلترا باللغة الانكليزية نبذة عن الخلافة الرسولية ترجمت وطبعت باللغة العربية بانكلترا وورعت في مصر ، وفي فاتحتها مقدمة بقلم الطيب الذكر المتنيح الايغومانوس فيلوثاوس رئيس الكاثدرائية القبطية بمصر جاء فيها[1] « قد تحفظت البيعة المسيحية في جميع انحاء العالم على الثلاث وظائف المذكورة مدة ألف وخمسماية سنة بعد المسيح إنما اكراماً للرسل الأولين قد استصوبت عدم استعمال كلمة رسول لخلفائهم. وكانت تسمي رؤساء الاكليروس أساقفة وهذا الاسم يُعطى في الإنجيل لثانى درجة من الاكليروس أعني بهم القسوس (في ١ : ١) وكان محصوراً في الأساقفة حق تكريس آخرين لوظيفتهم أو لوظائف أدنى منها. وكما أن الكهنة المتناسلين من الكهنة الحقيقيين في الشريعة اليهودية تتألف منهم سلالة هرون كذلك تتألف الخلافة الرسولية من الأساقفة والقسوس المسيحيين الذين رسموا لوظائفهم من جيل الى جيل »

وقد ورد في كتاب مصابيح الدعاة في واجبات الرعاة تأليف القس هنرى جسب الأمريكانى ما يأتي خلاصته« الوظيفة الرعوية من مقتضيات الطبيعة الروحية ولنا على ذلك أربعة أدلة (١) ان كل أمر يفتقر اليه البشر يستلزم خدمة أو وظيفة ... (٢) انه يتعذر انتظام فرقة من الناس دون متوظفين وأعضاء وقوانين ...(٣) انه لم تخلُ جماعة على وجه الأرض من وظيفة دينية، والشاهد على ذلك تواريخ الكلدانيين والمصريين والفرس

«١» راجع هذه النبذة فقد أدرجت بنصها في مجلة الكرمة في المجلد الثالث عشر الجزء الرابع

http://coptic-treasures.com

بفضائلهم، ومقربون من الله اكثر منهم ،فقد رتب ان يكونوا رعاة ومعلمين لكمال الكنيسة . وان يحفظوا نحو اولئك التناسب الذي بين النفس والجسد ، وبين العقل والروح ، حتى يكون كلا الامرين اعني نقص الرعية وفضل الرعاة شبيهين بالاعضاء في الجسد ومتحدين كواحد ومنضمين ومرتبطين برباط الروح ، فيؤلفان جسماً واحداً فقط كاملاً ولائقاً حق اللياقة بالمسيح رئيسنا » (خطاب ٣)

وقد كتب القديس أوسيوس اسقف قرطبة الى الملك قسطنت مانصه « لا تتداخل فى الامور الكنسية ولا تأمرنا بها ، بل احرى بك ان تتعلمها منا ، لان الله سلّمك المُلْك، واما الكنيسة فقد استودعت لنا نحن . وكما ان مَن يختلس الملك منك يقاوم الله الذى رتّب ذلك ،هكذا خف من ان تجرم جرماً كبيراً بان تختلس لنفسك ما يخص الكنيسة ، فانه مكتوب: اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (ذكره القديس اثناسيوس فى تاريخ الاريوسيين عدد ٤٤)

وقال القديس اغسطينوس عند كلامه عن الملاك الذي ظهر لكرنيليوس قائد المئة « كل هذه الاشياء (اي التعليم والتعميد) كان ممكناً ان تتم بواسطة الملاك . ولكن لو كان الله لا يريد ان يعلن كلمته للبشر بواسطة البشر انفسهم لاضحى الطبع البشري زرياً وساقطاً ، هذا فضلاً عن ان المحبة تربط البشر بعضهم ببعض وتوجب عليهم ان يتعلموا بعضهم عن بعض » (فى مقدمة التعليم المسيحي عدد ٦)

(سابعاً) شهادة التاريخ ـ فقد شهد المؤرخ موسيم البروتستانتى قائلاً « لا ريب بانه كان للكنيسة خدام عامة وشمامسة منذ اول تأسيسها لانه

http://coptic-treasures.com

واليونانيين، وما يشاهد فى أيامنا من أمر الهنود والصينيين والبرابرة الوثنيين (٤) إن لبعض الناس سجايا وخواص ينظر اليها الناس باعتبار واحترام غير اعتياديين تصيرهم رعاة اي رؤساء أو مرشدين للشعب وفى ذلك ترتيب الهي لمقاصد خيرية .. (فصل ١ قسم ١ صحيفة ٣ و ٤)

الفصل الثالث

الكهنوت من حيث هو سر وله طقس خاص

إن المسيح تقدّس اسمه أراد أن يقام الاكليريكيون ويمتازون عن عامة الشعب بطقس خاص ، يكرّسون به لأجل مباشرة الخدم الكنسية ويُقلّدون به الولاية الروحية على الشعب. وهذا أمر يقتضيه الطبع لأن الاكليريكيين لا يولدون اكليريكيين ، ولا يعيّنهم الله رأساً، فمن ثمّ يقتضي إذن وجود علامة حسية وطقس خاص احتفالي لسيامتهم ، به يعينون على مرأى من الشعب ، وبه يستدل على منحهم هذه النعمة وتقليدهم هذه الولاية.

ويتضح تأسيس سر الكهنوت من الله تعالى مما يأتى :—

(أولاً) من الكتاب المقدس الذى يدلنا على أن الرسل الأطهار فى سفر الأعمال وفى رسائلهم كانوا يتممون هذا السر بوضع أيديهم على المنتخبين لترقيتهم إلى الدرجة الكهنوتية ، وقد قال بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس « لا تهمل الموهبة التى فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدى المشيخة (أي القسوس) » (١ تى ٤ : ١٤) وقال له أيضاً « أذكّرك أن تضرم أيضاً موهبة الله التي فيك بوضع يديّ » (٢ تى ١ : ٦) ومن هذه

http://coptic-treasures.com

النصوص يتضح أن فيها كل مقتضيات السر :—

(١) علامة حسية وهي وضع الأيادي كما هو مذكور فيما سبق وفى (١ تى ٥ : ٢٢ ، اع ٦ : ٦ ، ١٣ : ٣)

(٢) له الوعد بالنعمة أو الموهبة من الله

(٣) الوضع الالهي حسب قول الرب « افرزوا لي برنابا وشاول » (اع ١٣ : ٢)، «احترزوا اذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة، (اع ٢٠ : ٢٨) ويقرر بولس الرسول فى رسالته إلى أهل أفسس أن الله هو الذي أقام هؤلاء الخدام بقوله « وهو أعطى البعض أن يكونوا رسلاً والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلمين الخ » (اف ٤ : ١١) ومما تقدم نرى أن المفرزين لهذه الخدمة يكرَّسون بعمل خاص وينالون نعمة وموهبة خاصة من الروح القدس الذي يقيمهم .

وفي كتاب أعمال الرسل نرى أن بولس وبرنابا بينما كانا يجولان للكرازة فى لسترة وايقونية وانطاكية يشددان التلاميذ « انتخبا لهم قسوساً فى كل كنيسة ثم صلّيا بأصوام واستودعاهم للرب » (اع ١٤ : ٢١ — ٢٣) وكذلك الشمامسة الذين اختارهم المؤمنون فقد وضع الرسل عليهم الايادي (اع ٦ : ٦)

(ثانياً) إن نظام العناية الالهية يقتضي بأن يكون فى الكنيسة قواد ورؤساء يقودون الشعب ، ويدبرونه ويسوسونه ويؤدون الخدم اللازمة لهم ، كما يقتضي ذلك نظام كل جماعة بشرية تقلد وظائفها باحتفال خاص وعلامات ظاهرة حسية . وإذا كانت المعمودية التي هي سر يراد به صيرورة البشر أبناء لله وأعضاء فى الكنيسة اقتضى أن تكون سراً حقيقياً بطقس

http://coptic-treasures.com

خاص ، فبالأولى كثيراً يليق بهذه الرتبة التي بها يصير بعض المؤمنين قادة لجنود المسيح ومعلمين للايمان وخدمة لباقي الأسرار

(ثالثاً) من التقليد : فان القديس اغسطينوس يقول رداً على تعاليم الدوناتيين « فليفهمنا الدوناتيون لماذا وسم المعمودية لا يُمحى ووسم الدرجة يُمحى حسب اعتقادهم . فان كان كلاهما سرين حقيقيين كما هو مقرر عند الجميع ، فلماذا الواحد يبقى والآخر يُمحى؟»(رد على رسالة برمينيون) وقال القديس باسيليوس « أما الذين خرجوا عن الكنيسة فلن ينالوا بعد ذلك نعمة الروح القدس عليهم ، لأن منح النعمة قد زال لانقطاع الخلافة. لأن الذين خرجوا أولاً كانوا قد نالوا الشرطونيات (وضع اليد) من الآباء وبوضع أيديهم حصلوا على الموهبة الروحانية » (رسالة قانونية أولى قانون ١)

وقال القديس يوحنا ذهبي الفم « انظر كيف ان المؤلف لا يذكر شيئاً عبثاً . لأنه لم يقل كيف شُرطن بل قال قولاً بسيطاً انه شُرطن بالصلاة وهذه هي الشرطونية كلها ، إذ توضع اليد على رأس الرجل والله يفعل كل شيء، ويده هي التي تمس رأس المشرطن إذا شرطن كما يجب. وانظر كيف كان بين السبعة (الشمامسة) واحد (استفانوس) مميزاً ونال الأولية. فان الشرطونية وان كانت عامة لكن هذا نال نعمة أكثر . وقبل الآن لم يكن يفعل آيات، بل بعد أن نوديَ به ، لكي يتضح أن النعمة وحدها لا تكفي وان الشرطونية ضرورية معها . فقد زادت عليهم نعمة الروح القدس وان كانوا قبل الآن مملوئين من الروح غير أن ذلك يشير إلى نعمة الحميم فقط » (مقالة ١٤ : ٣ ، ١٥ : ١ على سفر الأعمال)

http://coptic-treasures.com

(رابعاً) من شهادة البروتستانت . إن البروتستانت المشيخيين أقروا بأن الأسرار لا يمكن أن يتممها إلا القسوس الذين لهم وحدهم هذا الحق فقد جاء فى كتاب نظام التعليم فى علم اللاهوت القويم تأليف القس جيمس أنس الامريكانى جواباً على سؤال بمن يختص حق ممارسة المعمودية . أي من له حق أن يعمد ؟ « حق ممارسة المعمودية يختص بالقسوس المعينين قانونياً لوظيفتهم فى الكنيسة المسيحية » (جزء ٢ صحيفة ٤٢٠) وقال جواباً على سؤال هل فى الكنيسة وظائف وما هي ؟ « إن فى كنيسة المسيح وظائف معينة من قِبَل السيد له المجد الذي هو راس الكنيسة الوحيد وتلك الوظائف بعضها وقتي و بعضها دائم . فالوظائف الوقتية هي وظائف الأنبياء والرسل وليس لها وجود فى الكنيسة الآن ، والوظائف الدائمة بموجب النظام النيابى المار ذكره ثلاث ... وقد سُمي التوظف فيها بأسماء مختلفة فى العهد الجديد فمنها قسيس وأسقف وشيخ وناظر وخادم وراع ووكيل سراثر الله (اع ١٤ : ٢٣ ، ٢٠ : ١٧ و ٢٨ ، ١ كو ٤ : ١ ، فى ١ : ١ ، ١ تى ٥ : ١ و ١٩ ، تي ١ : ٥ ، يع ٥ : ١٤ ، ١ بط ٥ : ١ — ٥)

وجاء فى النبذة المسماة « الخلافة الرسولية » السابق ذكرها التي طبعها ونشرها أساقفة انكلترا ما يأتى : —

« كل من يدَّعي بأن يكون قسيساً وراعياً للشعب المسيحي فلا بد ان يبني ادعاءه على احد الاربعة اوجه الآتية (ا) اما ان يدَّعي ان الله نفسه ارسله مباشرة (ب) او انه تحصل على مأموريته حسب الاصول من قِبَل الذين ارسلهم الله مباشرة واعطاهم سلطاناً بارسال آخرين كذلك (ج) او يدَّعي بكونه مختاراً ومنتخباً من الجماعة التي يرعاها او الشركة التى يكون عضواً منها (د) او انه يكتفي باعتقاده فى

http://coptic-treasures.com

نفسه انه جدير ان يكون معلماً . ففي الوجهين الأولين فقط يكون مرسلاً من الله . ويكون له الحق فى التكلم باسمه وفى الوجه الثالث يعتبر مرسلاً من الناس وفى الاخير غير مرسل من أحد بل مرسلاً من نفسه ... إلى أن قال .. والوجه الثانى هو طريقة التوراة فهو مطابق للشريعة والانجيل معاً . أما مطابقته للانجيل فهي فى كون الله أرسل الرسل الحقيقيين الشرعيين أولاً وفوض لهم تعيين خلفائهم من بعدهم . . . وأما مطابقته للشريعة فلأن الله جعل هرون رئيس الكهنة وبنيه كهنة من تحته « وقرّب اليك هرون أخاك وبنيه معه من بين بني اسرائيل ليكهن لي » (خر ٢٨ : ١) وأمر أن الكهنة ينبغي أن ينتخبوا من عائلة هرون فقط « وقال الرب لهرون أنت وبنوك وبيت أبيك معك تحملون ذنب المقدس. وأنت وبنوك معك تحملون ذنب كهنوتكم.» (عدد ١٨ : ١) وحكم بالموت على من يتجاسر على التقلد بهذه الوظيفة من سواهم « وأما أنت وبنوك معك فتحفظون كهنوتكم مع ما للمذبح وماهو داخل الحجاب وتخدمون خدمة. عطية أعطيت كهنوتكم والاجنبي الذي يقترب يقتل» . (عدد ١٨:٧) . وقد نفذ هذا الحكم فعلاً بمعجزة فى قورح وداثان وأبيرام «وفتحت الارض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكل ما كان لقورح مع كل الاموال... وخرجت نار من عند الرب وأكلت المايتين وخمسين رجلاً الذين قربوا البخور» . (عدد ١٦ : ٣١ و٣٥) وهكذا كل رجال عائلة هرون كان ممكناً انتخابهم للكهنوت ولو انهم بتناسلهم منه كان لهم الحق في الكهنوت غير انه كان لايمكنهم التقرب لهذه الوظيفة إلا بعد مسح الكهنة الذين قبلهم أياهم « والثياب المقدسة التي لهرون تكون لبنيه بعده ليمسحوا فيها ويتملأ فيها أيديهم » (خر ٢٩ : ٢٩) وبعد هرون بزمن طويل ضرب الرب عزيا ملك يهوذا بالبرص لاقدامه على التبخير فى هيكل أورشليم (٢ أي ٢٦ : ١٦ — ٢١)

وبعد ان أثبت مؤلفو تلك الرسالة الكهنوت من العهد الجديد قالوا « ترى الاكليروس المؤلف من الثلاثة وظائف المذكورة وهي أساقفة وقسوس وشمامسة

http://coptic-treasures.com

لي مملكة كهنة وامة مقدسة » (خر ١٩ : ٦) لا بل نقول ان كلام مار بطرس عن المسيحيين ليس الا اقتباس أو تخصيص لكلام الله عن اليهود

« اذاً كون جميع اعضاء كنيسة المسيح كهنة لله لا يناقض مطلقاً اختيار الله رتبة معلومة من البشر من وسط كنيسته وجعله اياهم كهنة بمعنى خصوصى ليجروا الخدمة لاخوتهم

« (٢) القضية الثانية التي تستحق الذكر هنا هى : أنه منذ سقوط آدم لم يوجد ولن يوجد الا كاهن واحد حقيقي وهو الرب يسوع وكفارة واحدة أي جسده الذي بذل ودمه الذي سفك لمغفرة الخطايا

« والرسول مار بولس يصرح ان دم الثيران والماعز لا يرفع الخطية ومع ذلك فما نقرأه فى سفر اللاويين يتضح جلياً أن ارادة الله كانت أن شعبه يعتبر تلك الذبائح والمحرقات انها تكفّر كفارة حقيقية

« وهكذا قال عن المحرقة (لا ١ : ٤) « فيُرضى عليه للتكفير عنه » وعن ذبيحة الاثم يقال (لا ٥ : ١٠) « فيكفّر عنه الكاهن من خطيته التى اخطأ فيُصفح عنه » ولا سيما يقال عن ذبيحة الكفارة السنوية (لا ١٦ : ٣٠) « لأنه فى هذا اليوم يكفّر (الكاهن) عنكم لتطهيركم . من جميع خطاياكم امام الرب تطهرون »

« لا يمكننا أن نتصور كلمات تصف كفارة حقيقية ذات فاعلية اوضح من هذه الكلمات التى أشرت اليها لانها تشير الى تطهير لكى يتطهر الساجدون « امام الرب»

« والتفسير الوحيد الذي يوفّق بين هذه العبارات وبين قول مار بولس عن دم الثيران والماعز انه لايستطيع أن يرفع الخطية هو أن تلك الذبائح طهرت ليس بقوة فيها هي ذاتها بل لأنها كانت وسيلة معينة لجعل البشر يشتركون على طريقة ما في الذبيحة الواحدة الكافية للجميع . فتلك الذبائح كانت فعالة للتكفير وطهرت من الخطية « أمام الرب » ليس لأن الله رأى فيها هي ذاتها أدنى قوة بل لأن قوة الذبيحة الوحيدة كانت منعكسة اليها الى درجة ما

« وهكذا الأمر في الكهنة بالمقابلة مع الكاهن الوحيد الذي كان مزمعاً أن يبذل

http://coptic-treasures.com

قائماً باداء وظيفته من بعد موت الرسل . وذكر ذلك مار اكليمنضس رفيق بولس الرسول وصاحبه (في ٤ : ٣)وأيضاً ذكرهم مار اغناطيوس تلميذ مار يوحنا أو صاحبه ومار ايرانيوس تلميذ مار بوليكار أحد تلاميذ مار يوحنا الذى مات شهيداً فى سنة ١٧٨ للمسيح .وأما مار اكليمنضس فيخبرنا جلياً أن الرسل لما تراءى لهم انه ستحصل منازعات من جهة رعاية الكنيسة قد استصوبوا وقرروا انتخاب آخرين لينوبوا عنهم وأوصوهم بتعيين خلفاء لهم بعد وفاتهم حرصاً على بقاء الخلافة الرسولية. وقد صار اتباع هذا الامر مدة ألف وخمسماية سنة عند جميع المسيحيين ما عدا بعض طوائف قليلة العدد والاهمية يعرفون بالبروتستانت » الى أن قالوا

« بعض البروتستانت يتفقون مع الكنيسة الاسقفية على أن راعي كنيسة الله الحقيق يلزم أن يتعين ويرسل بواسطة وضع الايادى من الذين أرسلوا من خلفاء الرسل أنفسهم ويقولون ان الدرجة الثانية من الاكليروس أعني القسوس أو المشايخ لهم الحق في وضع الايدي والتكريس مثل الاساقفة.ويبنون على ذلك وجود الخلافة الرسولية عندهم وذلك لان بعض القسوس أو الشيوخ هم الذين أسسوا الكنيسة البروتستانتية فيوجد ثلاثة أجوبة على هذا الادعاء أولاً انه لم يحصل في الكنيسة في مدة ألف وخمسماية سنة ان أحداً من الاكليروس أقل من درجة الاسقف منح رتبة القسوسية أو الشماسية.وغاية ما هناك كان القسوس يحضرون في أثناء التكريس علامة على الرضاء العام . ثانياً ولو انه من الامكان التوضيح بأن الشيوخ فى الكنيسة القديمة كانوا قادرين على التكريس . ولكن المحقق أنه فى مدة الف وستماية سنة تقريباً قد فقدوا هذه القوة حيث الكنيسة قاطبة ألغتها بنوع ما والحالة هذه لايمكنهم استرجاعها لانفسهم إلا بسماح الكنيسة المذكورة . ثالثاً ان أكبر كنيسة بروتستانتية في اسكوتلاندا وهي تعتبر أصل الكنائس البروتستانتية الانكليزية والايرلندية والامريكانية وتأسست فى سنه ١٥٦٠ مسيحية بطريقة الاستقلال بمعرفة شخص يدعى حنا نوكس بدون تعيين قسوس ولا رعاة بواسطة

http://coptic-treasures.com

وضع الايدى ولم يحصل ذلك الا بعد مدة من السنين ولم توضع الايدي على أول من انتخبوا لوظيفة القسوسية الذين كان معظمهم من العلمانيين . وكان يندر وجود قسوس من الكنيسة القديمة بينهم وحتى لما فهموا ضرورة وأهمية التكريس بواسطة وضع الايدي فكان اغلب لا بل جميع الذين كانوا قسوساً فى الكنيسة القديمة ماتوا . وهكذا كان المكرسون ممن لم توضع عليهم الايدى ولم يتكرسوا أنفسهم . وبناء على ذلك حتى لو صدقنا على ادعاء البروتستانت ان القسوس لهم حق فى التكريس ، فلا يمكنهم بواسطة ذلك المدافعة عن قسوسهم لان الذين كرسوهم علمانيين وليسوا قسوساً كما سبق القول »

« أما الكنيسة المصرية تحت الخلافة المرقسية الرسولية والكنيسة اليونانية الارثوذكسية والكنيسة الانكليزية وغيرها من الكنائس الاسقفية فقد حافظت بغاية التيقظ والاعتناء على استمرار الخلافة الرسولية فيها بدون خلل أو عيب وفى امكانها أن تثبت ان أساقفتها متسلسلون من وقت المسيح »

وقد ألف القس ناصر عودة التابع للكنيسة الانكليزية موعظة في الكهنوت المسيحي فى سنة ١٨٨٩ طبعت باللغة العربية وفى مقدمتها حكم المطران الانكليزى ج . ف بوبهام بليث مطران الكنيسة الانكليزية فى أورشليم والشرق . قال فى حكمه على تلك الموعظة « ربما لا يوجد عضو فى الكنيسة يرتاب فى حكم مار ايرونيموس المقدم من الأسقف ورتسورث ان الكنيسة التي ليس لها كهنة ليست بكنيسة »

أما هذه الموعظة [1] فهي اثبات لوجود كهنوت مسيحي فى العهد الجديد نذكر منها هنا بعض فقراتها :—

« ١ » أدرجت بنصها فى مجلتنا الكرمة فى الجزء الخامس من المجلد الثالث عشر

http://coptic-treasures.com

ذاته — فهم بالمقابلة معه ليسوا بكهنة لأنه لم يوجد ولن يوجد إلا الكاهن الوحيد الحقيقي . ولكن بالمقابلة مع اخوتهم الاسرائيلين هم كهنة لأنهم بتعيين الله أجروا بخدمتهم الكفارة وطهروا أيضاً « أمام الرب » .....

(٣) القضية الثالثة في كهنوت العهد القديم التي لها علاقة بالكهنوت المسيحي في العهد الجديد هي أنه يوجد جملة نبوّات في العهد القديم تشير إلى ملكوت المسيح وفي هذه النبوات سبق الروح فصرّح جلياً أن « كهنة » و « لاويين » سيجرون واجبات وظائفهم المتنوعة تحت حكم داود الروحي العظيم

(ا) ارميا (٣٣ : ١٥ — ٢٢) خصوصاً (الاعداد ١٧ و ١٨ و ٢١) فبلا شك ان هذه النبوة تشير إلى المسيح وإلى خدَمة كنيسته والذبائح الروحية التى يقدمها الخدَمة لاسيما تلك الذبيحة الغير الدموية التذكارية أي سرّ الافخارستيا . وهنا خدَمة الانجيل يُسمون بذات الاسم الذي تسمّى به خدَمة العهد القديم

(ب) ملاخي (٣ : ٣) الروح سبق فقال عن المسيح ملاك العهد « فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضة فينقي بني لاوي ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقرّبين للرب تقدمة بالبر » ولانستطيع أن نفسر هذه النبوة إلا عن تنقية المسيح خدَمةدين لنفسه من وسط شعبه المسيحي . لأننا انفسرناها عن كهنوت المسيحيين العام نغلط لأن المراد هو تنقية ليس كل الشعب بل سبط من وسط الشعب وذلك السبط هو السبط المعين لخدمة المقدس . وأما بقية الشعب بجملته فيدعى فى النبوة « يهوذا وأورشليم » (عد ٤) حتى المفسر الشهير « سكوت » يسلّم أنهذه النبوة والنبوة المذكورة في ارميا التى مرّ ذكرها تشيران الى خدَمة الدين المسيحيين بالامتياز عن كهنوت المسيحيين العام

ان كان الله لم يقصد فى العهد الجديد ان خدَمة الدين يكونون كهنة خاضعين للكاهن الحقيقي الوحيد وان كان الاعتقاد بذلك تجديفاً كما يزعم البعض ومغائراً لكهنوت المسيح الحقيقي الوحيد فلماذا ألهم الله ارميا أن يتنبأ عن خدمة « كهنة » تحت حكم ابنه فى العهد الجديد ؟

http://coptic-treasures.com

« انه مما نلاحظه فى الكتاب نتأكد أنه يوجد بركات مختصة بالخلاص يعطيها الله لنا ، ليس رأساً ، بل بواسطة وسائل النعمة التي قد ثبتها هو ذاته، والتى قد عيَّن لها البعض من اخوتنا بني البشر خداماً ليجروها

« الجميع يسلم أن فى ارجاع النفس إلى الله (مثلاً) يستعمل الله غالباً واسطة بشرية ، هو لا يكرز بالانجيل كما نطق مرة بالناموس بصوته من السماء، بل يدعو الخطاة للتوبة بصوت اخوتهم رفقائهم فى الخطية . وكما انه يستعمل الخدمة البشرية فى توبة وارجاع الخاطىء ، هكذا أيضاً يستعمل تلك الخدمة فى أمور أخر لها علاقة كلية بخيرنا الروحي

« يوجد لنا مثل فى استعمال الله العلامة الخارجية لايصال النعمة الروحية في اشعيا ص ٦ حيث ظهر الرب ذاته الى النبي بينما كان يسجد في الهيكل. فتحير وارتبك لانه نظر اعلان مجد الله فقال : « ويل لي اني هلكت لاني انسان نجس الشفتين لأن عينيّ قد رأتا الملك رب الجنود » فعند ذلك طار اليه واحد من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومس بها فم النبي ونطق له بهذا الحل: « ان هذه قد مست شفتيك فانتزع اثمك وكفّر عن خطيتك »

« ولا ريب أن أشعيا آمن بحصوله على الحل من خطاياه لأنه لما سأله الرب « من أرسل » اجابه بكل ثقة « هانذا أرسلني » : اننا كنا ننتظر أن الله يصرّح بهذا الحل للنبي أشعيا بذات صوته الالهي . أو بالحرى يعطيه التأكيد الداخلي على غفران خطاياه لانه كان معتاداً على الاعلانات الالهية . غير أن الله لم يستعمل احدى هاتين الطريقتين بل بالحري ارتضى عز وجل أن يصرّح بهذا الحل بواسطة ملاك وأن يستعمل فعلاً خصوصياً أي علامة خارجية لتأكيد النبي. وأكثر من ذلك أنا نرى أن الملاك قد جعل علاقة كلية بين « انتزاع الاثم » وبين ذبيحة الهيكل الكفارية التي قد عينت لأنه مس شفتي النبي بجمرة قد أخذها من على المذبح الذي كان يوقد عليه تلك الذبيحة

http://coptic-treasures.com

« انى لا اقدم هذه الرؤيا برهاناً على الكهنوت المسيحي فى العهد الجديد بل اقدمها كمثال نستنتج منه أن الله يستخدم فعلةً ينوبون عنه وعلامات ظاهرة خارجية ليعطي عبيده بركات كالتطهير والغفران . لانه ان استخدم هذين الامرين ليبارك على عبده اشعيا الذي منحه اعلانات عن ذبيحة الكفارة الوحيدة كما فى الاصحاح ٥٣ من نبوته ، فكم بالحري يستخدم هذين الامرين الآن لاولاد كنيسته الاعتياديين

« ولاثبات وجود كهنوت مسيحي فى العهد الجديد لنتكلم عن وجوده فى النظام البطارق والنظام الموسوي والنظام المسيحي

« أولاً : من جهة النظام البطارقى ، فاول ذكر لكاهن نراه فى الآيات الواردة فى تك ١٤ : ١٨ — ٢٠ « ومَلكي صادق ملك شاليم اخرج خبزاً وخمراً وكان كاهناً لله العليّ . وباركه وقال مبارك أبرام من الله العليّ مالك السموات والارض . ومبارك الله العليّ الذي أسلم اعداءَك فى يدك . فاعطاه عُشراً من كل شيء »

« فان وجد انسان على وجه البسيطة لايحتاج الى بركة من فم انسان نظيره فذلك الانسان هو ابراهيم الذي كان قد ظهر له الرب قبل هذه الواقعة ثلاثة ظهورات ، وكان قد وعده ان فيه تتبارك جميع قبائل الارض . فما هي الحاجة لان يتوسط كاهن بين الله وبين ابراهيم . ومع ذلك كان ابراهيم فى احتياج الى ذلك لان الله قد عيّن ان ذلك الكاهن والملك ينبغي ان يبارك من كانت له المواعيد

« فمن فعل البركة هذا يظهر لي ان الله لم يمنح شرفاً وقدراً لرتبة بشرٍ من كهنة او خدام بل بالحري قد صرّح بسلطته المطلقة أي أنه يحق له أن يوصل بركاته كيفما اختار

« ابراهيم كان بنوع خصوصي رمزاً الى المسيحي الذي يتبرّر بالايمان ويتمسك بالمواعيد . وان كان قد شرّفه الله بالتكلم معه مراراً وبتسميته اياه خليله الا أن العناية ارشدت هذا الانسان الى كاهن ليتبارك منه ومهما كانت امجاد ذلك الكاهن الرمزية عظيمةً الا انه فى زمان ابراهيم لم يكن معروفاً الا ككاهن وملك فى ارض كنعان

« فمهما تعلمنا من هذا الخبر نتعلم بلا ريب امرين (١) انه مهما كان المسيحي متقدماً فى الحياة الروحية ومتمسكاً بالمسيح لا يجب أن يدّعي أنه اتصل الى درجة لايحتاج

http://coptic-treasures.com

وان كان الله لم يقصد في النظام المسيحي ان توجد خدمة كهنوت بين رئاسة كهنوت ابنه وكهنوت المسيحيين العام فلماذا جعل ملاخي يتنبأ عن ابنه انه عند مجيئه إلى العالم سينقي ليس كل اسرائيل فقط بل بنوع خصوصى « بني لاوي » — أي سبطاً واحداً من وسط الشعب المقدس مفرزاً إلى خدمة المذبح ممتازاً عن اخوته

ثالثاً : لنأتِ الآن الى نظام الكاهن الحقيقي الوحيد والذبيحة الحقيقية الوحيدة هل عيّن رئيس كهنتنا العظيم خدَمة دين . فان كان قد عينهم فما هو المركز وما هي الخدمة التي عينها لهم فى نظامه هذا ؟

فان اتضح من الانجيل ان المسيح رتب ان خدامه يجب أن يوزعوا فوائد كفارته لاخوتهم اما بواسطة الكرازة أو بواسطة أفعال ذات معنى كالأسرار ، فحينئذ يكون هؤلاء الخدام كهنة حقيقيين كما كان كهنة النظامَين اليهودي والبطارق . لأن الأمر المهم فى هذه المسألة هو ليس الاسم الذي سُميَ به خدام الانجيل بل الواجبات التى تعينت لهم ....

وهنا أفاض المؤلف فى ذكر الآيات الكتابية الدالة على وظيفة الرسل وخلفائهم من بعدهم ، وسلطانهم الكهنوتي الذي منح لهم ومركزهم وخدمتهم التى خصصوا لها كالكرازة والمعمودية واجراء سر الافخارستيا ، وتفويضهم حل الخطايا وختم كلامه بما يأتي :—

« علينا أخيراً أن نرى هل كان للرسل سلطان أن يسلّموا اجراء هذه الخدمة لغيرهم فان لم يكن لهم سلطان على ذلك فحينئذ يكون أولئك المسيحيون فقط الذين عاصروهم وعاشروهم قد تعمدوا وتناولوا العشاء الرباني وحصلوا على الحل . لأنه لايجب أن ننسى أن التفويض الأصلي بالكرازة والمعمودية واجراء خدمة العشاء الرباني وسلطان الربط والحل لم يُعطَ إلا للرسل وحدهم . لأنهم هم وحدهم كانوا حاضرين كما يذكر الانجيل حين اعطاء ذلك التفويض . وفضلاً عن هذا يوجد كلمات معلومة فى سفر الأعمال يستنتج منها أن ذلك التفويض كان محصوراً فى الرسل فقط (اع ١ : ٢) بالمقابلة مع (متى ٢٨ : ١٦ و ١٨ و ١٩ ، مر ١٦ : ١٤ و ١٥ ، يو ٢٠ : ١٩ — ٢٧ ، اع ١٠ : ٤٠ — ٤٢)

http://coptic-treasures.com

فيها الى نوال البركة ممن قد عينهم الله لايصالها (٢) ان مخاطبة الله رأساً للمؤمنين لا تضاد ولا تمنع لزوم مخاطبته لهم بواسطةٍ لايصال بركاته إن كان ذلك بموجب تعيينه الالهى

« ثانياً : لنأتِ الآن الى النظام اليهودي . لا احتياج لتكثير البراهين أنه فى هذا النظام كان الكهنة يوصّلون بركات الله للشعب الاسرائيلي — الامر المسلّم به من الجميع

« الله كان قد رتب ان سبطاً بين اسباط اسرائيل الاثنى عشر يجب ان يخدمه فى الهيكل . واهم واجبات خدمته كان عمل الكفارة . الله كان يستطيع أن يغفر خطايا شعبه بدون واسطة الوسائل الظاهرة ولا سيما لانه كان مزمعاً ان يعدّ ذبيحة كاملة كافية . غير انه سُرّ أن يعين أن خطايا شعبه لا تغفر الا بتقديم ذبائح معلومة يقبلها الكهنة من الشعب ويقدمونها للرب . . . .

« خدم أخرى كانت مختصة بالكاهن . مثل تقديم البخور ، والحكم فى تطهير الابرص ، ووضع خبز التقدمة على المائدة بترتيب ، وبركة الشعب باسم الرب . . . .

« فمن جهة النظام اليهودي اذاً واضح كل الوضوح أن الله عيّن ان شعبه ينتظرون بركات معلومة عظيمة بواسطة خدمة اخوتهم . . . .

« انه يوجد ثلث قضايا في هذا الكهنوت الاستعدادى تشير الى خدمة كهنة نظام العهد الجديد (١) ان اختيار الله وتقديسه كل الشعب اليهودي ليكون مملكة كهنة لم يمنعه عن افراز سبط لاوي ليكونوا كهنة له بمعنى خصوصى وليجروا اموراً بالنيابة عن اخوتهم لم يسمح لهم الله ان يجروها هم انفسهم وليوصلوا بركات معلومة لا ينتظر اعتيادياً الحصول عليها الا على يدهم

« ومار بطرس حينما يشير الى كهنوت جميع المسيحيين كاعضاء جسد الكاهن لواحد السري بقوله « وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي » (١ بطرس ٢ : ٩) اهو لا يعترف بكهنوت المسيحيين العام اكثر مما أعترف بكهنوت الاسرائيليين العام فى النظام اليهودي الذي يشير اليه الله ذاته بواسطة موسى قائلاً « وانتم تكونون

http://coptic-treasures.com

فلو أراد الرب يسوع المسيح أن يفوض كافة المسيحيين اجراء هذه الخدمة لكان على الأقل جمع كل التلاميذ عند اعطائه التفويض أو أعطاه في وقت اجتماع المئة والعشرين والخمسمائة. ولكنه لم يشأ ذلك بل أراد أن يكون كهنوت مسيحي خصوصي في كنيسة العهد الجديد كما كان فى كنيسة العهد القديم كهنوت خصوصي بالامتياز عن كهنوت المسيحيين العام . ولذلك إلى وقت صعود المسيح كان الرسل وحدهم خَدَمة الدين الذين فوضوا ليخدموا فى كنيسته

ولأجل دوام هذه الخدمة أعطى المسيح أو الروح القدس الرسل سلطاناً ليسلّموا اجراء هذه الخدمة بواسطة وضع اليد أي الرسامة

ووضع اليد هذا كان من أركان انتظام المسيحي حتى ذكر مع المباديء الأولية للتعليم المسيحي أي أساسات الديانة المسيحية (عب ٦ : ١ — ٤)

فكل متوظف فى الكنيسة من الرسول (اع ١٣ : ٢) الى الشماس (اع ٦:٦) أفرز الى خدمة وظيفته بوضع الأيدي هذا . لأنه ان كان الرسل فعلوا ذلك فى أمر الشمامسة الذين فوضوا لهم واجبات خدمة موائد ،فكم بالحري يكونون قد فعلوا ذلك فى أمر من فوضوا لهم خدمة روحية

فى الرسائل الرعوية نجد أن وضع اليد لنقل هذا السلطان هو الواسطة المعتبرة لابقاء خدْمةخدَمة الدين فى الكنيسة . مار بولس يأمر تيموثاوس قائلاً « اذكرك ان تُضرم أيضاً موهبة الله التى فيك بوضع يديّ » (٢ تيمو ٦:١) وأيضاً لاتضع يداً على أحد بالعجلة (١ تيمو ٥ : ٢٢)

اذاً الأمر واضح ان المسيح لم يوكّل فقط خداماً لاجراء أسمى الخدمات الكهنوتية بل قد عيّن طريقة أيضاً لدوام اجراء تلك الخدمات

فعليكم اذاً ايها الاخوة أن تعتبروا خدَمة ووكلاء أسرار الله لا كأنهم يكرزون أو يعمدون أو يجرون سر الشركة المقدسة أو يعملون بسلطانهم بل بسلطان المسيح الذي فوض لهم تلك الخدمة . فآمنوا انهم يخدمونكم بالنيابة عن المسيح واسمه وبحسب ايمانكم يكون لكم

http://coptic-treasures.com

الفصل الرابع

رد إعتراضات البليموثيين والاصلاحيين

يزعم البليموثيون والاصلاحيون ، وهم مذاهب حديثة نشأت من البروتستانت ، بان خدم الكنيسة واسرارها يتممها كل واحد من المؤمنين وينكرون السلطان المعطى لاناس مخصوصين فى الكنيسة . وقد ثبت مما اوردناه فى الفصول السابقة بان الله تعالى كما قال الرسول وضع فى الكنيسة اولاً رسلاً ثانياً أنبياء ثالثاً معلّمين ثم قوات . . . العلّ الجميع رسلٌ . العلّ الجميع انبياء . العلّ الجميع معلّمون . العلّ الجميع اصحاب قوات (١ كو ١٢ : ٢٨ و ٢٩) وقوله « وهو اعطى البعض ان يكونوا رسلاً والبعض انبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة ومعلّمين . لاجل تكميل القديسين لعمل الخدمة لبنيان جسد المسيح » (اف ٤ : ١١ و ١٢) « ولا يأخذ أحد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعو من الله كما هرون ايضاً » (عب ٥ : ٤) فاذا كان الكل رعاة فاين تكون الرعية . وهل يمكن وجود رعاة حيث لا خراف ولا قطيع غنم . وكل هيئة اجتماعية لا ينتظم حالها الا بموجب قانون يديرها ، ويلزمها تخصيص البعض للقيام بوظائف الخدم اللازمة لتلك الجماعة بناء على الاوامر العالية الصادرة من تلك السلطة الشرعية. والا فماذا تكون تلك الهيئة التى يجوز فيها لاي كان من افرادها ان يجلس على منصة القضاء ويصدر الاحكام ويسن الشرائع ويشكّل المجالس كما يشاء؟ ألا تكون تلك الهيئة فوضى عاقبتها الخراب. ألم يعيّن الله للشعب الاسرائيلي

http://coptic-treasures.com

كهنة لتدبير اموره وافرز لهم سبطاً خاصاً للكهنوت وخصص في كتابه سفراً خاصاً بهم . فهل يصح ان يترك المسيح كنيسته بدون تدبير كهذا . هل يعقل انه يجعلها فوضى يجوز للكل ان يباشروا ما فيها من الخدم الدينية والاسرار الالهية . هذا أمر لا يقبله العقل فكم بالحري لا تأتيه الحكمة العلوية التي تضع كل شيء بنظام عجيب . فالبليموثيون الذين ينكرون كل سلطة في الكنيسة ، ويقولون بالمساواة المطلقة ، ويسمون انفسهم اخوة ، ولا يسلّمون بوجود قسوس ولا وضع يد ، وينادون بأن للجميع الحق في مباشرة الخدم الدينية على السواء ، يخالفون بتعليمهم هذا العقل والكتاب

ونأتي هنا بالاعتراضات التي يتذرعون بها في تعليمهم مفندين إياها : —

الاعتراض الأول — يقولون إن الكتاب يدعو كل المؤمنين كهنة بقوله « كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح .. واما انتم فجنس مختار وكهنوت ملوكي امة مقدسة » (١ بط ٢ : ٥ و ٩) وقوله « الذي احبنا وقد غسلنا من خطايانا بدمه وجعلنا ملوكاً وكهنة لله ابيه » (رؤ ١ : ٥ و ٦) وايضاً قوله « وجعلتنا لالهنا ملوكاً وكهنة » (رؤ ٥ : ١٠)

وندفع هذا الاعتراض بان الكتاب ذكر مراراً بان المؤمنين هم كهنة وهذه الكلمة تأتي في الكتاب بمعنى حقيقي عن الكهنة خدام الله المكرسين للخدمة ، وبمعنى مجازي عن جميع المؤمنين لانهم يقدمون لله ذبائح روحية هي صلواتهم وعبادتهم له تعالى . والدليل على ذلك ان بطرس الرسول بعد ما دعا المؤمنين « بيتاً روحياً » أضاف حالا بان الله جعلهم كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله » تميزاً لها عن الذبائح

http://coptic-treasures.com

الحقيقية التي لا يجوز لغير الكهنة تقديمها . خصوصاً وان بطرس الرسول يقتبس هذه الآية من سفر الخروج (١٩ : ٦) حيث قيلت أولاً عن الشعب الاسرائيلي . ومن المعلوم أن هذا الشعب الذي اعلنه الله بان يكون له مملكة كهنة وامة مقدسة لم يحصل باجمعه على الكهنوت الحقيقي الذي اختص به سبط لاوي دون سواه . حتى أن قورح وداثان وابيرام الغرباء عن الكهنوت عند ما تعدّوا على الكهنوت فتحت الارض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم فهبطوا احياء الى الهاوية (راجع عدد ١٦ : ١ — ٤٠)

قال القديس امبروسيوس « إن كل مؤمن يمسح كاهناً وملكاً غير انه لا يصير ملكاً حقيقياً ، ولا كاهناً حقيقياً ، بل ملكاً روحياً وكاهناً روحياً يقرب لله ذبائح روحية وتقدمات الشكر والتسبيح » (ك٤ في الكهنوت) وقال القديس اغسطينوس « إن الكهنوت الملكي لا يقال عن الاساقفة والقسوس فقط الذين هم في الواقع وحقيقة الامر كهنة في بيعة الله ، ولكن الجميع يدعون مسيحيين بسبب المسحة السرية ، كذلك الجميع يدعون كهنة لانهم اعضاء كاهن واحد وهو المسيح ، وعنهم قال الرسول انهم امة مقدسة وكهنوت ملوكي » (مدينة الله ك ٢٠ فصل ١٠)

والبليموثيون انفسهم يفسرون هذا التفسير ، فقد جاء في تفسيرهم لسفر الرؤيا المطبوع باسكندرية سنة ١٩١٠ عند تفسير قوله « وجعلنا ملوكاً وكهنة لله رؤ ١ : ٦ » مانصه « هذه التسبحة تقدم من المؤمنين عندما يسمعون الكلام عن عمل المسيح لاجلهم ، وهذا يصدق على حالتهم الحاضرة لكونهم كهنة لله وقريبين منه بدم المسيح لتقديم السجود والتسبيح للذي دعاهم من الظلمة الى نوره العجيب (١ بط ٢ : ٩) وهم ملوك ايضاً بالقوة لا بالفعل

http://coptic-treasures.com

لانهم طول مدة غياب المسيح في السماء مضطهدون ومدوسون من العالم . ولكن متى جاء ربهم ليملك يصيروا ملوكاً معه بالفعل »

الاعتراض الثاني — يقولون ان جميع المؤمنين متساوون فى الحقوق وعليه يجوز لهم اداء الخدم المقدسة ومباشرة الاسرار مستندين على قول الرسول « لانكم جميعاً ابناء الله بالايمان بالمسيح يسوع . لان كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح . ليس يهودي ولا يوناني . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر وانثى لانكم جميعاً واحد في المسيح يسوع » (غل ٣ : ٢٦ — ٢٨)

وندفع هذا الاعتراض بان الرسول هنا لا يتكلم عن سلطة الخدام ولا مباشرة الاسرار المقدسة . وذلك ظاهر من سوابق الكلام ولواحقه . بل غرض الرسول بيان الحقوق التى للمؤمنين في الميراث السماوي مهما كانت جنسيتهم ، ان كانوا يهوداً أو يونانيين ، ومهما كانت منزلتهم عبيداً أو أحراراً . لان الجميع صاروا ابناء الله بالايمان بالمسيح والمعمودية المقدسة . ولا فضل لاحد على اخر بل جميعهم اخوة فى المسيح واعضاء فى جسده ، وهو الرأس . وانهم تساووا من هذه الحيثية فلم يعد لليهودى ان يفتخر على الامي ، بانه من ذرية ابراهيم الذى كان له الموعد ، بل الجميع صاروا اولاد ابراهيم بالايمان وورثة البركة التى وعد الله بان تكون لهم بالمسيح . اما عن خدم الكنيسة فقد شرح الرسول فى رسالته الاولى الى أهل كورنثوس المواهب التى وزعها الروح القدس على المؤمنين وختمها بقوله « واما انتم فجسد المسيح واعضاؤه افراداً . فوضع الله اناساً في الكنيسة اولاً رسلا ثانياً انبياء ثالثاً معلّمين ثم قوات . وبعد ذلك مواهب شفاء اعوانا تدابير

http://coptic-treasures.com

وانواع السنة . العلّ الجميع رسل . العلّ الجميع انبياء . العلّ الجميع معلمون . العلّ الجميع اصحاب قوات . العلّ للجميع مواهب شفاء الخ » (١ كو ١٢ : ٢٧ ـ ٣٠)

الاعتراض الثالث — يزعمون ان المخلّص لم يجعل سلطة في كنيسته بل جعل الكل اخوة، وسندهم في ذلك قوله له المجد « انتم تعلمون ان رؤساء الامم يسودونهم والعظماء يتسلّطون عليهم . فلا يكون هكذا فيكم . بل من اراد ان يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً . ومن اراد ان يكون فيكم اولاً فليكن لكم عبداً . كما ان ابن الانسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليخدِم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين » (مت ٢٠ : ٢٥ ـ ٢٨)

وندفع هذا الزعم بان المسيح له المجد اقام في كنيسته رعاة ومعلمين وآباء وقضاة روحيين . ولا بدّ للرعاة من رعية تسمع لهم ، وللمعلمين من تلاميذ يتعلمون منهم ، وللآباء من بنين مطيعين ، وللقضاة من مرؤوسين ينفذون احكامهم . ولاثبات ذلك نورد بعض ماجاء في الانجيل ورسائل الرسل في هذا المعنى . قال الرب يسوع لتلاميذه « اذهبوا وتلمذوا جميع الامم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم به » (مت ٢٨ : ١٩ و ٢٠) وقال لهم ايضاً « الحق اقول لكم كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطاً في السماء . وكل ما تحلونه على الارض يكون محلولاً في السماء » (مت ١٨ :١٨) « اقبلوا الروح القدس من غفرتم خطاياه تغفر له ومن امسكتم خطاياه امسكت » (يو ٢٠ :٢٢ و ٢٣) وقال بطرس الرسول « اطلب الى الشيوخ الذين بينكم انا الشيخ رفيقهم والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد ان يُعلن . ارعوا رعية الله التي بينكم

http://coptic-treasures.com

نظاراً . لا عن اضطرار بل بالاختيار . ولا لربح قبيح بل بنشاط. ولا كمن يسود على الانصبة بل صائرين امثلة للرعية . ومتى ظهر رئيس الرعاة تنالون اكليل المجد الذي لا يبلى » (١ بط ٥ : ١ ـ ٤) وقال بولس الرسول لقسوس افسس « احترزوا اذاً لانفسكم ولجميع الرعية التى اقامكم الروح القدس فيها اساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه » (اع ٢٠ : ٢٨) وقال لاهل كورنثوس « لانه وان كان لكم ربوات من المرشدين فى المسيح لكن ليس آباء كثيرون. لانى انا ولدتكم في المسيح يسوع بالانجيل » (١ كو ٤ : ١٥) وقال لاهل غلاطية «يا اولادى الذين اتمخض بكم ايضاً الى ان يتصور المسيح فيكم » (غل ٤ : ١٩) (راجع ايضاً عب ١٣ : ١٧) ألا ينتج من هذه النصوص المقدسة وجود آباء وقضاة ومعلمين في الكنيسة اقامهم المسيح لرعايتها وخيرها ؟ أما ما يتذرع به الاخوة البليموثيون من قول السيد لتلاميذه « من أراد ان يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً » فهذا ما يفترض وجود اكبر واصغر فى الكنيسة وانما يعلّمهم المسيح ان لا يكونوا كالامم في طلب الرئاسة والعظمة الدنيوية والابهة العالمية ، وانما يعلّمهم ان يكونوا خداماً متواضعين مع الرعية ،ولا يستعملون سلطانهم لفائدة انفسهم بل لخير الرعية ، وليعلّم الجميع ان العظمة الحقيقية هي في التواضع والخدمة والتضحية

الاعتراض الرابع الذي يتذرع به الاصلاحيون الذين يجيزون تأدية النساء للخدم الدينية أن الكتاب يساعدهم على زعمهم هذا اذ يستندون على قول يوئيل النبي « اني اسكب روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم ويحلم شيوخكم احلاماً ويرى شبابكم رؤى » (يؤ ٢ : ٢٨) وما جاء في سفر

http://coptic-treasures.com

الاعمال من انه كان لفيلبس المبشر اربع بنات عذارى يتنبأن (اع ٢١: ٩) وما قاله بولس الرسول « واما كل امرأة تصلّي أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها » (١ كو ١١ : ٥) مستنتجين من ذلك انه يجوز للنساء الوعظ والتعليم وتأدية الخدم الدينية فى الكنيسة

ونرد عليهم بان ظهور النساء في وسط الرجال لتعليمهم ينافي الحشمة والآداب المسيحية . أما ما يوردونه من الآيات فلا يفيدهم شيئاً لاثبات مدعاهم . لأن كلمة تنبأ تدل في الكتاب على معنيين احدهما الاخبار بالمستقبل بوحي الروح القدس ، وثانيهما تفسير الاسرار وتأويل كلام الله . فالامر الاول ليس خاصاً بالكهنة ، وانما هو هبة تُعطى من الله لكثيرين من غير خدام الدين ، للرجال وللنساء. فداود وايليا واشعياء وكثيرون غيرهم لم يكونوا كهنة ومع ذلك كانوا يتنبأون ، اي يخبرون عن الامور المستقبلة بوحي الروح القدس . وهذا ما يشير اليه يوئيل النبي . واما النبوة بمعنى تفسير كلام الله والوعظ في الكنيسة بصورة رسمية لاجل تعليم الشعب ، فهذا مقرر على خدام الدين دون غيرهم . وقد زجر بولس الرسول النساء بان يصمتن فى الكنيسة ولا ترفع امرأة صوتها فيها بقوله «لتصمت نساؤكم في الكنائس لانه ليس مأذوناً لهن ان يتكلمن بل يخضعنَ كما يقول الناموس ايضاً ولكن إن كنّ يردنَ ان يتعلمنَ شيئاً فليسألن رجالهن فى البيت لانه قبيح بالنساء ان تتكلم فى كنيسة » (١ كو ١٤ : ٣٤و ٣٥) وقوله « لتتعلّم المرأة بسكوت فى كل خضوع . ولكن لست آذن للمرأة ان تعلّم ولا تتسلط على الرجل بل تكون فى سكوت . لان آدم جبل اولاً ثم حواء . وآدم لم يُغوَ لكن المرأة اغويت فحصلت فى التعدي» (١ تي ٢ : ١١-١٤)

http://coptic-treasures.com

ونختم هذا الفصل بايراد ما جاء فى آخر النبذة التي اشرنا اليها سابقاً التي وضعها أساقفة الكنيسة الانكليزية لرد الاعتراضات على الخلافة الرسولية وهي كما يأتي :—

« كثيرون يعارضون في تعاليم الخلافة الرسولية رغماً عما ذكرناه من أقوال الكتاب المقدس فيقولون أولاً ان كل المسيحيين هم كهنوت مقدس وجنس مختار (١ بط ٢ : ٥ و ٩) « كونوا أنتم أيضاً مبنيين كحجارة حية بيتاً روحياً كهنوتاً مقدساً لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح . وأما أنتم فجنس مختار وكهنوت ملوكى أمة مقدسة شعب أقتناء لكي تخبروا بفضائل الذي دعاكم من الظلمة الى نوره العجيب» . ويبنون على ذلك عدم وجود تميز بين الشعب المسيحي وانه لا يوجد اكليروس مخصوص . فالجواب على ذلك انه هو عين ما قاله قورح لموسى وهارون كل الجماعة مقدسة « فاجتمعوا على موسى وهارون وقالوا لهما كفاكما . ان كل الجماعة باسرها مقدسة وفي وسطها الرب فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب » (عدد ١٦ : ٣) وأن الله قال أنتم لي كهنوت ملوكى (خر ١٩ : ٦) « وأنتم تكونون لي مملكة وكهنة وأمة مقدسة » . وبنى قورح على ذلك ان له حق فى الكهنوت مثل هارون فعاقبه الله بالموت . ويعلمنا يهوذا الرسول كثيراً ما يرتكبون خطية قورح (يهو ١ : ١١) « ويل لهم لأنهم سلكوا طريق قايين وانصبوا إلى ضلالة بلعام وهلكوا في مشاجرة قورح» فبناء على هذا لا يمكن أي طائفة من البروتستانت لها رعاة (ويندر من ليس لهم رعاة) أن تدافع عن نفسها بهذا الاحتجاج الباطل . وحتى لو فرضنا انه صحيح فانهم أنفسهم يميزون ما بين الرعاة والشعب فها هو مكتوب في الانجيل ان المسيحيين يدعون ملوكاً وكهنة (رؤ ١ : ٦) « وجعلنا ملوكاً وكهنة لله أبيه له المجد والسلطان » (رؤ ٥ : ١٠) « وجعلتنا لالهنا ملوكاً وكهنة فسنملك على الأرض» . فهل هذا يعني ان كل انسان يعتبر فى منزلة الملك ؟

ثانياً يقولون ان التلاميذ لما رأوا شخصاً غريباً يخرج شياطين باسم المسيح فأرادوا

http://coptic-treasures.com

أن يمنعوه ولكن قال لهم يسوع أن لايمنعوه لأن الذي ليس علينا فهو معنا (لوقا ٩ : ٥٠) فقال لهم يسوع لاتمنعوه لأن من ليس علينا فهو معنا . فالجواب على ذلك ان هذا لايسري الآن لهذه الثلاثة أسباب (١) ان الرجل عمل المعجزة باسم المسيح وبذلك برهن أن له الحق في ذلك ولأن بعدها قد أراد أولاد سكاوا أن يفعلوا مثل ذلك فخابوا (أعمال ص ١٩ : ١٣ — ١٦) فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين أن يسموا على الذين بهم الأرواح الشريرة باسم الرب يسوع قائلين نقسم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس فوثب عليهم الانسان الذي كان فيه الروح الشرير وغلبهم وقوي عليهم حتى هربوا من ذلك البيت عراة ومجرحين (٢) لما تشكى الرسل لم يكن المسيح في وقتها رتب الكنيسة ولم يرتبها الا يوم البنطيقسطي ومن ذلك الحين والكنيسة سالكة بمعونته وارشاده تعالى (٣) لكون طوائف البروتستانت جميعها ضد الكنيسة فانهم دائماً يجتمعون فى جمعيات مضادة مجتهدين في جذب قلوب الشعب اليهم . فيصدق على مثل هؤلاء قول السيد المسيح « من ليس معي فهو علي والذي لايجمع معي يفرق» (متى ١٢ : ٣٠) ولا يقع فى الانجيل إلا ذكر رجل واحد أقام نفسه بصفة معلم فى الدين بنية خالصة وكان يدعى ابلوس وكان فصيحاً ومقتدراً فى الكتاب المقدس وهذا الرجل لما تعلّم جيداً اتحد مع الكنيسة وكان يشتغل مع مار بولس (اعمال ١٨ : ٢٤ و ٢٦) ثم أقبل إلى افسس يهودي اسمه ابلوس اسكندري الجنس رجل فصيح مقتدر في الكتب وابتدأ هذا يجاهر في الجمع فلما سمعه اكيلا وبرسكلا أخذاه اليهما وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق (١ كو ٣ : ٦) « انا غرست وابلوس سقى والرب ينمي» « وأما من جهة ابلوس الأخ فطلبت اليه كثيراً أن يأتي اليكم مع الاخوة ولم تكن له ارادة البتة أن يأتي الآن ولكنه سيأتي متى توفق الوقت» (١ كو ١٦ : ١٢)

ثالثاً يقولون ولو فرضنا ان الخلافة الرسولية كانت موجودة إلا انها قد انحلت وتلاشت من زمان طويل وذلك على تمادي الزمن لأنه واضح انه لو انكسرت حلقة واحدة من السلسلة فتتلف جميعها . ولابد قد انكسر أكثر من حلقة لسبب او اخر. فالجواب « ان من تعقل هذه المسألة بتدقيق فلا يقبل دعوى واهية كهذه لأنه قد أخذت كل

http://coptic-treasures.com

الاحتياطات اللازمة منذ الابتداء لمنع حصول ذلك. وقد جعلت قاعدة عمومية انه يلزم وجود ثلاثة أساقفة فى قسمة كل أسقف جديد ومع انه كان واحد يكفي إلا أن العادة قد جرت بذلك لكي إذا اجتمع ثلاثة أساقفة لقسمة أسقف جديد وكان اثنان منهم ليسا حقيقيين فمع ذلك ان كان الثالث حقيقياً فتصح القسمة وكل الضرر الذي يحصل ينقرض بموت القسوس الذين يكونون قد كرسهم الأساقفة الغير حقيقيين وهكذا استمرت الخلافة الرسولية تتقوى باضافة كل أسقف جديد اليها حتى انه يتعسر جداً انقراضها. فهي لاتشبه سلسلة مركبة من حلقات منفردة اذا انكسرت حلقة منها تنقطع وتتلف بل هي كجديلة مركبة من آلاف من الحلقات المجدولة بعضها ببعض. أو التي كل حلقة منها ترتبط بثلاث حلقات أخرى أو أكثر بحيث يمكن أن تنكسر جملة حلقات بدون أن تتلف الجديلة

رابعاً يقولون انه ليس من الرحمة أن نجحد الطقوس المؤلفة من رجال صالحين اتقياء بين قسوس البروتستانت . فالجواب على ذلك ان هذا هو عين مايقوله الوثنيون عندما يقال لهم اذا لم تؤمنوا بالمسيح فلا تخلصوا فانهم يجاوبون قائلين ان رحمة الله واسعة ولا تنحصر فى شيء واحد . ولكن المحبة والرحمة الحقيقية هي قول الحق واذا كان أناس عندهم نية صالحة ولكنهم يغشون أنفسهم والآخرين بكونهم يتقلدون وظائف لاتخصهم فأعظم شفقة عليهم هي تحذيرهم من ضلالهم . وفى الواقع أن الكنيسة تعتبر رعاة البروتستانت كما هم ذاتهم يدعون فانهم أولاً لايدعون انهم مرسلون من الله ثانياً لايتجاسرون على تقديم ذبيحة جسد المسيح ودمه ولا على حل وربط الخطايا . وبما أن البروتستانت المذكورين لايدعون بحيازتهم على هذه المزايا التي هي مزايا رتبة القسوسية ولا يعتقدون فيها فاذاً انه من العدل ان نقول ان هذه المرتبة لا توجد بينهم ولا ننكر انهم احياناً يفعلون الخير بطرقهم الغير منتظمة بكرازة جزء من الانجيل .

خامساً يقولون حتى ولو سلّمنا ان الخلافة الرسولية هي حقيقية وواضحة فلا يهم وجودها بين الجماعة ما دام جاري كرازة الانجيل بمعرفة رجال اتقياء ، فالتقوى هى الخلافة الرسولية الحقيقية ولا لزوم لشيء خلافها . فالجواب على ذلك نقول « ان

http://coptic-treasures.com

الانجيل يقضي علينا باطاعة المسيح وخدامه عوضاً أن نصنع مثل الذين يجمعون لانفسهم معلمين مستحكة آذانهم (٢ تيموثاوس ٤ : ٣) « لانه سيكون وقت لا يحتملون فيه التعليم الصحيح بل حسب شهواتهم يجمعون لانفسهم معلمين مستحكة مسامعهم » وهكذا الناس الذين ينتخبون رعاتهم يفضلون انفسهم على بيعة الله . وأمامن جهة التقوى فلا مدخل لها في مادة الاحقية ، فان اولاد عالي رئيس الكهنة كانوا رجالاً اشراراً ومع ذلك كانوا كهنة حقيقيين (١ صموئيل ٢ : ١٢) « وكان بنو عالي بني بليعال لم يعرفوا الرب » وكذلك يهوذا الاسخريوطي كان شريراً ومع ذلك كان رسولاً حقيقياً (يوحنا ٦ : ٧٠) « اجابهم يسوع أليس أنا اخترتكم الاثنى عشر وواحد منكم شيطان » . فهل كان يمكن ان يقيم نفسه كاهناً أو رسولاً بالقول انه احسن من حفني أو فنحاس أو يهوذا الاسخريوطي . كلا . فانه لا ينتج عن خطيتين عمل صالح . ومع انه حقيقي ان القسيس المسيحي الذي لا يكون تقياً فى حد شخصه لا يصنع خيراً . فالتقوى وحدها لا تعيّن اي انسان راعياً شرعياً كما أن حُسن التبصر ومعرفة الشرائع لا تكفيان فى جعل رجل قاضياً للمدينة بدون امر من السلطان . وبناء على ما ذكر لا يمكن التقوى اغتصاب الوظائف التى لم تمنح حسب الاصول

وبالاجمال : اولاً . الخلافة الرسولية هى حسب تعاليم الكتاب المقدس

ثانياً . الخلافة الرسولية هى عادة اتبعتها الكنيسة باسرها

ثالثاً . الخلافة الرسولية ليست ضد الرحمة والمحبة .

رابعاً . الخلافة الرسولية تعتبر ضرورية عند كل الذين لا يريدون نسخ الشرائع ولا مقاومة رؤساء كنيسة المسيح

http://coptic-treasures.com

الفصل الخامس

درجات الكهنوت الثلاث وترتيبها من الله

يتضح لنا من الانجيل أن درجات الكهنوت ثلاث ، الأولى درجة الأسقف وهي العليا ، والثانية درجة القس وتخضع للأولى ، والثالثة درجة الشماس وهي الاخيرة واليك الادلة على ذلك : -

(اولاً) من الكتاب المقدس — حيث نجد الامتياز الواضح لرتبة الاسقف عن رتبة القس ، فان الرسل الاطهار اعطوا الاساقفة سلطاناً وامتيازاً خاصاً عن القسوس ، لانهم منحوهم حق اقامة القسوس ووضع اليد عليهم ، كما قال بولس الرسول لتلميذه تيطس « من اجل هذا تركتك فى كريت لكى تكمّل ترتيب الامور الناقصة وتقيم فى كل مدينة شيوخاً (قسوساً) كما اوصيتك »(تي ١ : ٥) وامروهم بعدم الاسراع فى وضع اليد « لاتضع يداً على احد بالعجلة ولا تشترك فى خطايا الآخرين »(١تي ٥ : ٢٢) كما اعطوهم حق محاكمتهم حسب قول الرسول لتلميذه تيموثاوس « لا تقبل شكاية على شيخ (قس) الا على شاهدين او ثلاثة شهود . الذين يخطئون وبخهم امام الجميع لكى يكون عند الباقين خوف » (١ تي ٥ : ١٩ و ٢٠) واعلنوا حق مكافأتهم « أما الشيوخ (القسوس) المدبرون حسناً ليُحسبوا أهلاً لكرامة مضاعفة ولا سيما الذين يتعبون في الكلمة والتعليم » (١ تى ٥:١٧)

أما تسمية القسوس احياناً بانهم اساقفة ، أي رقباء و نظار ومحافظون على الشعب (لان كلمة اسقف فى اليونانية « ايسكوبوس » ، ومعناها ناظر أو رقيب

http://coptic-treasures.com

أو محافظ . وكلمة قس باليونانية بريسفيتيروس ومعناها شيخ) فذلك لا يلغي الامتياز الجوهري بين الرتبتين ، لان الرسل سموا انفسهم بتلك الاسماء فقد قال بطرس الرسول « اطلب الى الشيوخ (القسوس) الذين بينكم أنا الشيخ (القس) رفيقهم » (١ بط ٥ : ١) وقال يوحنا الرسول «الشيخ الى كيرية المختارة » (٢ يو ١ : ١ ، ٣ يو ١ : ١)

قال القديس ابيفانيوس اسقف قبرص « انه لا يمكن ان يكون القس والاسقف متساويين ، وقد علم الكتاب الالهي ما هو الاسقف وما هو القس بقوله لتيموثاوس « لا تزجر شيخاً » وفى محل اخر « لا تقبل شكوى على قس الا بشهادة اثنين أو ثلاثة » (ضد الهراطقة ك ٣ هرطقة ٧٥ : ٥) والبرهان على أن الرسل القديسين علّموا أن درجة الاسقف غير درجة القس هو أن تلاميذ الرسل جميعهم فهموا ذلك وعلّموه فى اقوالهم كما يأتى

(ثانياً) إن خلفاء الرسل الذين تسلّموا التعاليم من الرسل انفسهم ، وقبلوا الكهنوت من ايديهم علّموا هذا التعليم : قال القديس اكليمنضس اسقف رومية تلميذ بطرس الرسول « انه يجب علينا ان نعمل كل ما امرنا به سيدنا فى اوقاته المعينة بالترتيب ، وان نتمم القرابين والخدم التى امر أن تصير لا كيفما اتفق وبلا ترتيب ، بل فى اوقات وساعات معينة وقد حدد ايضاً بمشيئته السامية اين وممن يريد ان تتمم ، لكي يكون كل ما يصير ببر مقبولاً لدى مشيئته حاصلاً على تعطفه . فالذين يقدمون قرابينهم فى اوقاتها المعينة هم مقبولون عنده ومغبوطون . فانهم اذ تبعوا شرائع الرب لا يخطأون لان « رئيس الكهنة » اعطيت له خدم خصوصية ، و « للكهنة » تعين مكان خصوصي و « اللاويون » (اي الشمامسة) لهم خدم خصوصية ،

http://coptic-treasures.com

واما العامي فانما هو مرتبط بالاوامر المتعلقة بالعوام» (رسالة الى أهل كورنثوس فصل ٤٠) وقد أوضح القديس اغناطيوس تلميذ يوحنا الرسول هذه المسألة باكثر ايضاح حيث قال فى رسالته الى أهل افسس « إن الاساقفة قد تعينوا الى اقاصي الارض بحسب مشيئة يسوع المسيح » (فصل ٣) وقال في رسالته الى أهل ازمير « اتبعوا الاسقف كلكم كما يتبع يسوع المسيح اباه ، واتبعوا الكهنة كالرسل ، واكرموا الشمامسة حسب وصية الله» (فصل ٨) وقال في رسالته الى أهل مغنيسيا « اتوسل اليكم أن تعملوا كل شيء بسلام الله تحت رياسة الاسقف حيث مكان الله ذاته ، والكهنة حيث مكان مصاف الرسل ، والشمامسة المحبوبين مني جداً الذين اؤتمنوا على خدمة يسوع المسيح » (فصل ٦)

(ثالثاً) إن رؤساء الكنائس وعلماءها في القرون الاولى يذكرون هذا الترتيب في درجات الكهنوت . قال القديس ايريناوس «جميع المخالفين لتعليم الكنيسة قد ظهروا متأخرين كثيراً عن هؤلاء الاساقفة الذين أؤتمنوا من الرسل على الكنائس » (ضد الهراطقة ٥: ٢٠) وقال العلامة ترتوليانوس « قد تخصص حق التعميد بالكهنة الاعظمين (الاساقفة) ثم اعطي للكهنة والشمامسة فقط ولكن ليس من دون اذن الاسقف » (في المعمودية فصل ١٧) وقال العلامة اوريجانوس «يُطلب مني انا القس أكثر مما يُطلب من الشماس ، ومن الشماس أكثر من العامي ، ولكن الذي يضبط بيده السلطة الكنسية يُطلب منه أكثر منا كلنا » (مقالة ١١ على ارميا فصل ٣)

(رابعاً) القوانين الرسولية وقوانين المجامع المسكونية والمكانية تبيّن هذه الحقيقة ، اذ تذكر الواجبات التي على كل من اصحاب هذه الدرجات ،

http://coptic-treasures.com

الاساقفة والقسوس والشمامسة ، فقد جاء في قانون ١٥ من قوانين الرسل « كل قس أو شماس او احد المعدودين من الاكليروسيين عموماً يترك محل سكناه وينتقل الى ابروشية اخرى بقصد السكنى الدائمة بدون رأي اسقفه نأمر بأن يُقطع ،خصوصاً اذا استدعاه اسقفه ولم يطع » وجاء فى قانون ٣١ « كل قس احتقر اسقفه واقام الصلاة منفصلاً عنه وبني مذبحاً اخر من دون ان يثبت على الاسقف شيئاً لا يوافق الايمان والبر فليقطع إذ هو محب الرياسة » وجاء فى قانون ٣٩ « لا يجوز للقسوس والشمامسة ان يفعلوا شيئاً البتة من غير رأي أسقفهم، لانه هو المؤتمن على شعب الرب وهو العتيد أن يحاسب عن انفسهم » وجاء فى قانون ١٨ من قوانين المجمع المسكوني الاول « ليلبث الشمامسة ضمن حدودهم عالمين أنهم خدام للاسقف وأقل من القسوس » وقانون ٥٦ و ٥٧ من قوانين مجمع اللاذقية يامر القسوس بعدم تقدمهم على اسقفهم ووجوب انقيادهم له ، وغير ذلك من القوانين

(خامساً) ومما يثبت سمو درجة الاسقفية وامتيازها عن درجة القس، وأنها مقامة من الله تعالى ولها سلطان ورياسة فى الكنيسة ، الجداول القديمة لاسماء الاساقفة الاولين فى كنائس رسولية عديدة . وقد كانت هذه الجداول قديماً سلاحاً فى وجه الهراطقة،فقد قال القديس ايريناوس « يمكننا ان نعد الاساقفة الذين حكموا فى الكنائس من عصر الرسل وان نحصي خلفاءهم ايضاً حتى ايامنا هذه » واوسابيوس المؤرخ الكنسي الشهير حفظ جداول قديمة عن سلسلة الخلافة لاساقفة كنيسة كورنثوس ورومية واورشليم ويبين فهرس اساقفة الكنائس القديمة (كتاب ٤ فصل ٥ و ٢٢)

(سادساً) ما ذكرناه فى الفصول السابقة من شهادة موسيم المؤرخ

http://coptic-treasures.com

البروتستاتي وما هو واضح فى تاريخ الكنيسة منذ العصور الاولى يثبت أن الدرجات الكهنوتية كانت ولا تزال ثلاث درجات،وهي اسقف وقس وشماس،وانها رتبت فى الكنيسة بسلطان الهي وان هذه الرتب أشبه شيء برتب الملائكة كما قال القديس اكليمنضس الاسكندري « إن درجات الاسقف والكهنة والشمامسة تشبه بحسب رأي المجد الملائكي » (فى البديعيات ٦ : ١٣) لان رتب الملائكة ثلاث وكل رتبة منها ثلاثة اصناف ، فالرتبة الاولى تشمل الكروبيم (حز ١٠ : ١٨) والسرافيم (اش ٦ : ٢) والعروش (كو ١ : ١٦) والرتبة الثانية تشمل الرياسات والسادات والسلاطين (كو ١ : ١٦) والرتبة الثالثة تشمل القوات (١ بط ٣ : ٢٢) والملائكة ورؤساء الملائكة (رو ٨ : ٣٨ ، ١ تس ٤ : ١٦) وعلى هذا المثال رتبت الدرجات الكهنوتية الثلاث. فالاولى وهي الاسقفية تشمل وظائف البطريرك والمطران والاسقف . والثانية وهي القسيسية تشمل وظائف الخوريبيسكوبوس والايغومانوس والقس . والثالثة وظيفة الشماسية تشمل الابوديا كون (اى معين الشماس) والاغنسطس (القاريء) والابصلتس (المرتل)

الفصل السادس

درجات الشماسية والقسيسية والأسقفية

إن الشماسية هي درجة من درجات الكهنوت بها يتولى صاحبها ولاية خاصة لمساعدة القسيس عند تلاوة القداس واتمام الخدم المنوط بها،وهي درجة

http://coptic-treasures.com

مستوفاة جميع مقتضيات السر ، اذ فيها مادة السر وصورته ، فمادة السر وضع اليد ،وصورته الصلاة كما يظهر مما فعله الرسل اذ « اقاموهم (اي الشمامسة) امام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الايادي » (اع ٦ : ٦) واليهم اشار الرسول بولس فى (١ تي ٣ : ٢ و ٨ ، فى ١ : ١ و ٢)

والشماس لفظة سريانية وفي العبرية شماش ومعناها خادم وباليونانية « دياكون » وللشمامسة واجبات منهـا ان يوزعوا الصدقات على الفقراء (اع ٦ : ١ — ٤) ولهم ان يكرزوا بالانجيل ولـكن باذن الاسقف (راجع اع ٦ : ٥ ، ٨ : ٤ ، ٢١ : ٨) وكان لهم ان يحملوا الـكأس ويقربوا الشعب ليس لانهـم كهنة ، بل لانهم خدام الـكهنة (راجع ما لهم من الحقوق وما عليهم من الواجبات فى الباب السابع من كتاب المجموع الصفوي للشيخ الصفي ابن العسال)

وواضح في الـكتاب ان درجة القسيسية تختلف عن درجة الشماسية حيث يختلف الشمامسة والكهنة بالاسم والوظيفة . فالـكهنة موكول اليهم مباشرة وتوزيع سر المسحة كما جاء فى (يع ٥ : ١٤)وتدبير الـكنائس كما ورد فى (اع ١٤ : ٢٢ ، ١ تي ٥ : ١٧ ، تي ١ : ٥) وقسيس لفظة سريانية وباليونانية ابريسفيتيروس وبالقبطية (ⲡⲓ ϩⲉⲗⲗⲟ) وترجمتها بالعربية الشيخ . ووظيفته تقديس القرابين وعماد المعتمدين وتزويج المتزوجين وتأدية خدمة الاسرار وتوزيعها على الشعب ، وتعليمهم ووعظهم (وحقوق القسوس وواجباتهم واضحة فى كتب القوانين — راجع الباب السادس من كتاب المجموع الصفوي للشيخ الصفي ابن العسال)

اما الاسقفية فهي الدرجة العليـا فى الكهنوت ، والاسقف كاهن

http://coptic-treasures.com

ذو درجة ورتبة اولى، موكول اليه كما للكاهن، ان يقدم القرابين ويعمل مايعمله الكاهن، وهو فى كنيسته ورعيته نائب المسيح. ومن ثم له حق الرياسة على الكهنة الذين تحت ادارته وعلى رعيته. وله السلطان أن يقيم الكهنة لشعبه ويمنحهم الحقوق والسلطة الروحية. فهو الذى يعلّم الشعب ويدبره ويقيم له الرعاة المدبرين والمعلمين (وحقوقه وواجباته مذكورة فى الباب الخامس من كتاب المجموع الصفوى للشيخ الصفي ابن العسال)

الفصل السابع

القسم المنظور من سر الكهنوت وفعله غير المنظور وعدم اعادته

إن القسم المنظور من سر الكهنوت يتألف من امرين (١) وضع اليد (٢) الصلاة، ونرى هذين الامرين واضحين فى الكتاب فى سيامة الاساقفة والقسوس والشمامسة (راجع ١ تى ٤ : ١٤، ٥ : ٢٢، ٢ تى ١ : ٦، اع ٦ : ٦) كذلك جميع القوانين الرسولية تقرر وضع اليد، فقد جاء فى قوانين الرسل « ايها الاسقف عند ما تشرطن قساً ضع يدك على رأسه » (كتاب ٨ : ١٦ و ١٧) وكذلك المجامع المسكونية والمكانية تعلّم هذا التعليم وجميع آباء الكنيسة ومعلموها يصرحون ان سيامة الاسقف أو القس أو الشماس لا تتم الا بوضع اليد. ووضع اليد كان مصحوباً بالصلاة دائماً كما جاء فى سفر الاعمال. « الذين أقاموهم امام الرسل فصلوا ووضعوا عليهم الايادي » (اع ٦ : ٦) وبولس وبرنابا عندما كانا يثبتان ويشددان التلاميذ

http://coptic-treasures.com

« انتخبا لهم قسوساً فى كل كنيسة ثمّ صليا باصوام واستودعاهم للرب »
(اع ١٤ : ٢٣) ولا تزال الكنيسة سائرة على هذه الطريقة الموضوعة من
الرسل وتستعمل ذات الصلوات التى كانت تستعمل منذ القديم

اما نتيجة سر الكهنوت غير المنظورة فى المشرطن (الموضوعة عليه
اليد) فهي انه يقبل بهذا السر مفعولَيْن، اولهما الوسم، وثانيهما النعمة. فالوسم
هو السمة التي يرسمها سر الكهنوت فى نفس من يناله ، وهذه السمة دائمة
لا تُمحى (راجع ما ذكرناه عن الوسم عند كلامنا فى مفعول الاسرار صحيفة
١٢ ـ ١٥) اما النعمة فهي الهبة التي ينالها المشرطن من الله ، المناسبة لخدمته
التي انتدب اليها وهي نعمة الكهنوت . وقد اشار الرسول بولس الى هذه
الموهبة بقوله لتلميذه تيموثاوس « لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك
بالنبوة مع وضع ايدي المشيخة » (١ تي ٤ : ١٤) « اذكّرك ان تضرم
ايضاً موهبة الله التي فيك بوضع يديّ » (٢ تي ١ : ٦) وقال القديس
يوحنا ذهبي الفم « اني اذكّرك ان تذكي موهبة الله التي فيك بوضع يديّ ،
يعني هنا نعمة الروح التي نالها لرياسة الكنيسة وللآيات ولكل العبادة فانها
فى يدكم ان تطفئوها أو تذكوها » (تفسيره على ٢ تي مقالة ١ : ٢) وقال
ايضاً « لو افتكر احد بانه يستطيع الدنو من تلك الطبيعة المغبوطة النقية
لكان يرى جيداً لأية كرامة نعمة الروح اهلت الكهنة . لأنه بهم تتم
هذه وغيرها مما ليس دونها فى أمر وظيفتنا وخلاصنا . فان رجالاً ساكني
الأرض وسالكين فيها نيط بهم أن يسوسوا ما في السموات ، ونالوا
سلطاناً لم يعطه الله للملائكة ولا لرؤساء الملائكة » (فى الكهنوت ٣ : ٥)
وقال القديس غريغوريوس النيسي « إن قوة الكلمة عينها تجعل الكاهن

http://coptic-treasures.com

وقوراً ومكرّماً بالبركة الجديدة إذ ينفصل عن الجماعة الكثيرة (الشعب) لأنه أمس وقبل كان واحداً من الكثيرين ومن الشعب، فصار حالاً دفعة واحدة متقدماً ورئيساً ومعلماً للايمان وكاتماً للأسرار الخفية. وهذا كله يصنعه من دون أن يتغير شيء فى جسده أو هيئته. بل وهو لم يزل فى الظاهر كما كان تتغير نفسه غير المنظورة فى ما هو أفضل بقوة ونعمة غير منظورتين » (على معمودية المسيح ١٠)

ونعمة الكهنوت تُمنح على درجات متنوعة للشرطنين. فالشماس ينالها بدرجة أقل. والقس ينالها بدرجة أرفع منه. والأسقف ينالها بدرجة أسمى، وذلك بنسبة خدمة كلٍ من أصحاب هذه الدرجات

أما من جهة عدم اعادة وضع اليد مرة ثانية على المشرطن فذلك لأننا أوضحنا بأن هذا السر يمنح صاحبه السمة ويطبعها فيه طبعاً لا يُمحى، وعليه لا يجوز اعادة السر بوجه من الوجوه. وقد قال قانون ٦٨ من قوانين الرسل « كل أسقف أو قس أو شماس ينال الشرطونية ثانية من أحد يُقطع هو والذي شرطنه » وجاء فى قانون ٣٥ من قوانين مجمع قرطاجنة وقانون ٥٧ منه أيضاً « لا يُسمح باعادة المعمودية واعادة الشرطونية أو نقل الأساقفة »

الفصل الثامن

خادم سر الكهنوت

ان خادم سر الكهنوت هو الأسقف وحده الذى له حق الشرطونية (وضع اليد) وهذا واضح مما يأتى :—

http://coptic-treasures.com

(أولاً) من الكتاب المقدس حيث يتضح أن الرسل وحدهم كانوا يقيمون الأساقفة والقسوس والشمامسة وأعطوا هذا السلطان لخلفائهم الأساقفة من بعدهم. فقد وضعوا اليد على أساقفة (٢ تى ١ : ٦) وعلى قسوس (اع ١٤ : ٢٢و٢٣) وعلى شمامسة (اع ٦ : ٥) وبولس الرسول قال لتيطس أسقف كريت «من أجل هذا تركتك فى كريت لكي تكمّل الأمور الناقصة وتقيم فى كل مدينة شيوخاً (قسوساً) كما أوصيتك» (تى ١ : ٥) وقال لتيموثاوس أسقف أفسس «لا تضع يداً على أحد بالعجلة ولا تشترك فى خطايا الآخرين» (١ تى ٥:٢٢) أما قول بولس الرسول «مع وضع أيدى المشيخة» فقد شرحها القديس يوحنا ذهبي الفم بقوله «ان كلمة بريسفيتيريون (التي أصطلح على ترجمتها بالقسوس أو المشيخة) تدل على جمعية رعاة الكنيسة الذين كان أحدهم بولس الرسول. لا على القسوس فقط فلم يقل عن القسوس بل عن الأساقفة. لأن القسوس لم يكونوا يشرطنون الأسقف» (مقالة ١٣ : ١ على ١ تى)

(ثانياً) من القوانين الرسولية والمجمعية فان قانون ١ من قوانين الرسل يقول «الأسقف يشرطن من أسقفين أو ثلاثة» وقانون ٢ منها يقول «القس والشماس وسائر الاكليروس يشرطنون من أسقف واحد» وقانون ١٩ من قوانين المجمع الأول المسكونى المجتمع فى نيقية حدد أن يسام الاكليروس من أسقف الكنيسة، وقانون ٩ من قوانين مجمع انطاكية فوّض للأسقف أن يشرطن قسوساً وشمامسة ويقضي كل الأعمال بتدقيق

(ثالثا) إن آباء الكنيسة فى تعاليمهم يعلنون هذه الحقيقة، فقد قال القديس يوحنا ذهبي الفم «ان الاساقفة يَسمُون عن القسوس بالشرطونية

http://coptic-treasures.com

فقط وبها وحدها يظهر أنهم يمتازون عنهم » (على ٢ تى مقالة ١٠ : ١) وقال القديس ابيفانيوس « إن درجة الاساقفة تمتاز بنوع خصوصى بانهم يلدون آباء . لان تكثير الاباء فى كنيسة المسيح يختص بالاساقفة . واما الرتبة الثانية (الكهنة) فلا يمكنها ان تلد آباء او معلمين وكيف يمكن ان يشرطن كاهن كاهناً اخر وليس له سلطة الشرطونية ؟ » (هرطقة ٧٥ : ٤) وقال القديس ايرونيموس « ماذا يعمل الاسقف ولا يعمله القس خلا الشرطونية؟ » (رسالة ٨٥)

الفصل التاسع

الدعوة الى الرتبة الكهنوتية وعلاماتها ومؤهلات المدعوين اليها

بما ان الدرجة الكهنوتية درجة سامية وشريفة ، فقد امر الله تعالى أن لا يدنو منها ويقتبلها إلا من كان مستحقاً لها ، بناء على دعوة الهية . وهذه الدعوة واضحة فى الكتاب المقدس من النصوص الآتية : —

ففي العهد القديم . قال الرب « وتخدمون خدمة . عطية أعطيتُ كهنوتكم والاجنبي الذى يقترب يقتل » (عدد ١٨ : ٧) وقوله « مَن ارسل ومَن يذهب من اجلنا . فقلت هانذا أرسلني » (اش ٦ : ٨) وقوله « روح السيد الرب عليّ لان الرب مسحني لابشر المساكين أرسلني لاعصب منكسري القلب » (اش ٦١ : ١) وقوله لارميا « قبلما خرجت من الرحم قدستك . جعلتك نبياً للشعب . . . فقال الرب لي لا تقل اني

http://coptic-treasures.com

ولد لانك الى كل مَن ارسلك اليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به » (ار ١ : ٤ ـ ٧ وقوله « هأنذا على الذين يتنبأون باحلام كاذبة يقول الرب ... وانا لم ارسلهم ولا امرتهم . فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب » (ار ٢٣ : ٣٢)

وفى العهد الجديد قال المخلّص لتلاميذه « كما ارسلني الآب ارسلكم انا » (يو ٢٠ : ٢١) وقال لهم « ليس انتم اخترتموني بل انا اخترتكم » (يو ١٥ : ١٦) وقال أيضاً « الحقّ الحقّ اقول لكم ان الذي لا يدخل من الباب الى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص . واما الذى يدخل من الباب فهو راعي الخراف الخ » (يو ١٠ : ١ ـ ٥) وقوله « اطلبوا من رب الحصاد ان يرسل فعلة الى حصاده » (مت ٩ : ٢٨) ويتم ذلك بفعل روح الله القدوس بدليل ما جاء في سفر الاعمال (١٣ : ٢) « وبينما هم يخدمون الرب ويصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه » وقول الرسول بولس « احترزوا اذاً لانفسكم ولجميع الرعية التى اقامكم الروح القدس فيها اساقفة لترعوا كنيسة الله » (اع ٢٠ : ٢٨) وقوله « الكرازة التي اؤتمنت أنا عليها بحسب أمر مخلصنا الله » (تى ١ : ٣) وقوله « الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة » (٢ تى ١ : ٩) وقوله « كيف يكرزون إن لم يرسلوا » (رو ١٠ : ١٥) وقوله « لا يأخذ احد هذه الوظيفة بنفسه بل المدعوّ من الله كما هرون » (عب ٥ : ٤) لان خدمة الكهنوت خدمة سماوية ، خدمة اسرار ، تشتهي الملائكة ان تطلع عليها ، وقال عنها القديس يوحنا ذهبي الفم « خدمة لم يعطها الله للملائكة ولا لرؤساء الملائكة » وقد سميت هذه الخدمة خدمة الروح (٢ كو ٣ : ٨) وخدمة البر وخدمة المصالحة (٢ كو ٣ : ٩ ، ٥ : ١٨) وسُمي الرعاة ملائكة رب الجنود

http://coptic-treasures.com

(ملا ٢ : ٧، رؤ ٢ : ١) وخدام الله لبناء بيت الله (١ كو ٣ : ٥ ـ ١٠، ٤ : ١) وملح الارض (مت ٥ : ١٣) ونور العالم (مت ٥ : ١٤) وسراج موقد على منارة (مت ٥ : ١٥ و ١٦) وهكذا من الاسماء الشريفة والألقاب السامية الدالة على شرف وعظمة هذه الرتبة، لذلك إقتضى الأمر أن لا يُقبِل أحد إلى هذه الدرجة المقدسة إلا بناء على دعوة الهية . والرب يسوع المسيح نفسه المذخر فيه كل كنوز الحكمة والعلم الذي به كان كل شيء وبغيره لم يكن شيء مما كان ، قيل عنه انه انتدب إلى الكهنوت حسب قول الرسول « كذلك المسيح أيضاً لم يمجّد نفسه ليصير رئيس كهنة بل الذي قال له انت ابني أنا اليوم ولدتك . وكما يقول في موضع آخر أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق » (عب ٥ : ٥ و ٦) وهو له المجد خصص الكلام في أشعياء القائل « روح السيد الرب عليّ لأن الرب مسحني » (اش ٦١ : ١) بدعوته إلى بشارة الانجيل . وعند معموديته انفرز انفرازاً خاصاً لعمله لما حلّ الروح القدس عليه (مت ٣ : ١٦ و ١٧) وتثبتت دعوته بالصوت الآتي من الآب على جبل التجلي بقوله تعالى « له اسمعوا » (مت ١٧ : ٥) وكما قال القديس كبريانوس « هل يمكن أن يوجد أحد جسور حتى أنه يروم الحصول على الكهنوت من تلقاء نفسه ومن دون أن يدعوه الله » لذلك كان أكثر الآباء القديسين يهربون من قبول هذه الرتبة ويفرون من مسئولياتها .

فالذين يختارهم الله للكهنوت ينتدبهم ويدعوهم ليكونوا خداماً له كما قيل في سفر العدد « الذي يختاره يقربه اليه » (عدد ١٦ : ٥) قال القديس افرام السرياني « ان من تجاسر وصار كاهناً من غير أن يدعوه الله يهلك » فيا لجسارة أولئك الذين يجترئون ويسعون للحصول على درجة الكهنوت

http://coptic-treasures.com

وهم غير أكفاء لها وغير مدعوّين اليها ويظنونها مهنة يتعيشون منها ! أولئك يتم عليهم ما قاله الله عن الذين يبقون من أولاد عالي « ويكون أن كل من يبقى في بيتك يأتي ليسجد له لأجل قطعة فضة ورغيف خبز ويقول ضمني إلى إحدى وظائف الكهنوت لآكل كسرة خبز »(١صم٢: ٣٦)أمثال هؤلاء نصيبهم نصيب الأنبياء الكذبة الذين قال عنهم الرب « لم ارسل الانبياء بل هم جروا . لم اتكلم معهم بل هم تنبأوا . ولو وقفوا في مجلسي لاخبروا شعبي بكلامي وردوهم عن طريقهم الردي وعن شر اعمالهم ... هم انبياء خداع قلبهم ... لذلك هأنذا على الانبياء يقول الرب الذين يسرقون كلمتي بعضهم من بعض ... الذين يأخذون لسانهم ويقولون قال . هأنذا على الذين يتنبأون باحلام كاذبة... ويضلون شعبي باكاذيبهم ومفاخراتهم وانا لم ارسلهم ولا امرتهم فلم يفيدوا هذا الشعب فائدة يقول الرب » (ار ٢٣ : ٢١ — ٣٢)« كل غرس لم يغرسه ابي السماوي يقلع» (مت ١٥ : ١٣)

ليس لنا اليوم صوت مسموع من الله يدعو به الانسان الى خدمته، ولا يرسل الينا ملاكاً لانتداب المدعو الى الكهنوت، ولكن هذه الدعوة الالهية تعرف بطريقتين ظاهرة وباطنة. فالظاهرة هي تصديق الكنيسة وشهادتها للاهلية ، لانها تمنح السلطان الرسمي لهذه الخدمة . واما الباطنية فهي صوت روح الله وقوته اللذان يؤثران في ارادة الانسان واقناعه حين يكون طالب هذه الخدمة مملوءاً بالرغبة الشديدة والقصد الثابت في خدمة الله تعالى وخلاص النفوس ، علاوة على تجدده بروح الله وحصوله على المؤهلات الكافية لهذه الخدمة . فالمدعو من الله لخدمة الكهنوت يجب ان يكون محركاً من الله لمجرد خدمة اسمه القدوس وليس لاجل طمع، ولا لربح دنيوي،

http://coptic-treasures.com

ولا لمجد عالمي ، ويجب أن يكون مستعداً لان يكرس ذاته لله ويضحي بنفسه في خدمته وخدمة النفوس التي اشتراها المسيح بدمه .

واخص علامات الدعوة الالهية لهذه الدرجة هي : —

(١) الميل القلبي للخدمة فان هذا الميل دليل على استعداد النفس للامور الروحية

(٢) المناسبة للخدمة روحاً وعقلاً وجسداً ، فان الله تعالى لا يدعو الى هذه الخدمة من ليس اهلاً لها

(٣) الدعوة من كنيسته اذ يرى شعب تلك الكنيسة الصفات والمؤهلات في شخص ، فيزكونه بعد ان يختبروه الخبرة التامة

(٤) بعض حوادث واحوال من العناية الالهية تدل على موافقة الانسان لهذه الخدمة ، كما حصل في قصة انتخاب القديس امبروسيوس فان هذا الاسقف ولد سنة ٣٤٠ م من عائلة شريفة وكان والياً على ولاية ميلان. ولما مات اسقفها الآريوسي وحدث شغب عظيم في انتخاب خليفة له ، دخل امبروسيوس الوالي ليهدىء الشعب ، فرفع ولد صوته قائلاً امبروسيوس اسقف ، فقبل الشعب ورفعوا اصواتهم علامة على قبولهم . وانتخبوه اسقفاً ، ولم يقبلوا منه رفضه الشديد ، بل اجبروه على قبول درجة الاسقفية فصار اسقفاً عظيماً مشهوراً وابطل التعليم الآريوسي

وبناء على ما تقدم تحترم الكنيسة جداً قداسة الخدمة الرعوية وكانت منذ القديم تهتم بالمرشحين الى الدرجات الكهنوتية واسست لهم المدارس اللاهوتية لاعدادهم وتثقيفهم . ولا تضع يداً على أحد منهم بالعجلة حسب اشارة بولس الرسول بل تفحصهم اولاً في قواهم الطبيعية والعقلية والادبية : —

http://coptic-treasures.com

(أولاً) القوى الطبيعية — فان كنيسة العهد القديم كانت تشترط ان ينتخب الكاهن من الخالين من كل عيب جسدي ومن كل تشويه في الاعضاء. وكان اذا أصيب أحد بشيء من ذلك بعد اقامته كاهناً يُطرد من الخدمة لئلا يدنس قدس الله (راجع لا ٢١ : ١٦ — ٢٤) وذلك لان كنيسة العهد القديم كان جل اهتمامها في الامور الخارجية والطقسية. واما كنيسة العهد الجديد فلأنها ديانة الروح والحياة وجل اهتمامها بالامور الباطنية وليس الخارجية، فلا تمنع عن الكهنوت من كان فيه عيب جسدي، اذا كانت فيه المؤهلات السامية، وانما تمنع مَن لا يسمح له عيبه الجسدي بتتميم فروضه الكهنوتية كالاعمى والاصم والمريض بامراض تعطل خدمته. ومَن كان كاهناً وأصيب بمثل تلك الامراض فلا يجرد من وظيفته بل يوقف عن خدمته مع بقاء الاحترام والوظيفة له. وصحة الجسد وسلامة البنية والقوة على العمل من الشروط اللازمة لكل عمل من اعمال الدنيا، فكم بالحري لهذه الخدمة المقدسة التي تقتضي بذل النفس والجسد فى تأدية واجباتها

(ثانياً) القوى العقلية — فان جميع القوانين الكنسية تقرر ان يكون المنتخب للوظيفة الكهنوتية مثقفاً بكل انواع الثقافة، وبالاخص فى العلوم الدينية. وان يكون قادراً على التعليم حسب قول الرسول بولس لتلميذه تيموثاوس « يجب ان يكون الاسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة صاحياً عاقلاً محتشماً مضيفاً للغرباء صالحاً للتعليم. غير مدمن الخمر ولا ضراب ولا طامع بالربح القبيح ... بل حليماً غير مخاصم ولا محب المال. يدبر بيته حسناً. له اولاد فى الخضوع بكل وقار. وانما ان كان احد لا يعرف ان يدبر بيته فكيف يعتني بكنيسة الله. غير حديث الايمان لئلا يتصلف فيسقط

http://coptic-treasures.com

فى دينونة ابليس . ويجب ان تكون له شهادة حسنة من الذين هم من خارج لئلا يسقط فى تعيير وفخ ابليس . كذلك يجب ان يكون الشمامسة ذوي وقار لا ذوي لسانين غير مولعين بالخمر الكثير ولا طامعين بالربح القبيح. ولهم سر الايمان بضمير طاهر . وانما هؤلاء ايضاً ليختبروا اولاً ثم يتشمسوا ان كانوا بلا لوم .. ليكن الشمامسة كلٌ بعل امرأة واحدة مدبرين اولادهم وبيوتهم حسناً . لان الذين تشمسوا حسناً يقتنون لانفسهم درجة حسنة وثقة كثيرة في الايمان الذى بالمسيح يسوع » (١ تي ٣ : ٢ ـ ١٣) وقوله الى تلميذه تيطس « من اجل هذا تركتك فى كريت لكي تكمل الامور الناقصة وتقيم فى كل مدينة شيوخاً (قسوساً) كما اوصيتك. ان كان أحد بلا لوم بعل امرأة واحدة . له اولاد مؤمنون ليسوا فى شكاية الخلاعة ولا متمردين لانه يجب ان يكون الاسقف بلا لوم كوكيل الله غير معجب بنفسه ولا غضوب . ولا مدمن الخمر ولا ضراب ولا طامع فى الربح القبيح . بل مضيفاً للغرباء محباً للخير متعقلاً باراً ورعاً ضابطاً لنفسه . ملازماً للكلمة الصادقة التي بحسب التعليم لكي يكون قادراً ان يعظ بالتعليم الصحيح ويوبخ المناقضين » (تي ١ : ٥ ـ ٩) « وما سمعته مني بشهود كثيرين اودعه أناساً امناء يكونون اكفاء ان يعلموا اخرين ايضاً » (٢ تي ٢ : ٢) « اكرز بالكلمة اعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب . وبخ انتهر عظ بكل اناة وتعليم ... احتمل المشقات . اعمل عمل البشر . تمم خدمتك » (٢ تى ٤ : ٢ ـ ٥)

فبناء على نصوص الكتاب وقوانين الرسل والمجامع لا ينتخب الى الوظيفة الكهنوتية إلا مَن كان عالماً بالكتب المقدسة ، متضلعاً فى قوانين

http://coptic-treasures.com

الكنيسة ، غير حديث الايمان

(ثالثاً) القوى الادبية ـ فان نصوص الكتاب وقوانين الكنيسة تقرر ان لا يُقبل فى الكهنوت الا الاشخاص المشهود لهم بالسيرة الحسنة والورع والقداسة والايمان الحيّ . وقد اشار بولس الرسول الى ذلك بقوله لتلميذه تيموثاوس «اجتهد أن تقيم نفسك لله مزكى عاملاً لا يخزى مفصلاً كلمة الحق بالاستقامة » (٢ تى ٢ : ١٥) «لا يستهن أحد بحداثتك بل كن قدوة للمؤمنين فى الكلام فى التصرف فى المحبة فى الروح فى الايمان فى الطهارة الى أن أجيء... اعكف على القراءة والوعظ والتعليم ... اهتم بهذا . كن فيه لكى يكون تقدمك ظاهراً فى كل شيء . لاحظ نفسك والتعليم وداوم على ذلك لأنك ان فعلت هذا تخلّص نفسك والذين يسمعونك أيضاً» (١ تى ٤ : ١٢-١٦)

ولا يسع المجال هنا أن نذكر جميع نصوص الكتاب وأوامر المجامع وأقوال الآباء عن شرف هذه الوظيفة وسموّها ، والواجبات المطلوبة من الكهنة ، والفضائل التى يجب أن يكونوا حاصلين عليها ، والاستعداد التام لقبول هذه الدرجات المقدسة . وحباً فى الاختصار نورد هنا بعض أقوال الآباء الذين وضعوا المؤلفات الثمينة فى هذا المعنى : —

قال القديس غريغوريوس الثاولوغس « لا يقدر احد فى العالم أن يعلّم غيره صناعة ان لم يكن هو قد درسها قبلاً وطالعها بانتباه تام ، فكيف اذن ينخرط البعض فى الاكليروس ويقبلون الخدمة الرعوية من غير استعداد البتة . مع ان ادارة النفوس صناعة من أهم الصنائع »

وقال القديس غريغوريوس الكبير « إن اولئك الذين خصهم الله

http://coptic-treasures.com

بمواهب سامية هم أسمى من سواهم ويمتازون بميلهم إلى خير الغير فهم أتقياء، والفضل فى ذلك لفقههم . وأقوياء نتيجة امساكهم ، وميالون للجميع بقوة المحبة التى تورث البرارة . فان دُعي مثل هؤلاء إلى الخدمة الرعوية ورفضوها فيهلكون مواهبهم التى خصهم الله بها ، فلا تعود تنفعهم ولا تنفع غيرهم ، لاسيما الذين تخرجوا من مدارس لاهوتية ، عليهم أن يتذكروا قول الرب « الحصاد كثير والفعلة قليلون » وأيضاً لاتخفى مدينة مبنية على جبل ، ولا يوقد سراج ويوضع تحت المكيال بل على المنارة ليضيء على كل الذين فى البيت ، ولذلك يقول الرسول بولس ان أشتهى أحد الأسقفية يشتهي عملاً صالحاً ... من عنده كل الصفات اللائقة لرعاية قطيع الله ولا يقبلها فهو لايحب رئيس الرعاة . وبالعكس من يقبل على خدمة الكهنوت باستحقاق يبرهن بذلك على محبته لله وللقريب محبة حقة تدفعه إلى أن يبذل نفسه أمام الله »

وقال أيضاً «ان على راعي الكنيسة أن يقف مع الملائكة وأن يسبح مع رؤساء الملائكة ، وأن يقدم الذبيحة على المذبح الذي هو في الأعالي ، وأن يقدس الأسرار مع المسيح وأن يعمل كل شيء للبنيان» وقال «انه لمشين للانسان أن يأخذ على عاتقه العمل المقدس ولا يتقدس كأن يقبل إلى قدس الاقداس بأيدٍ غير نظيفة ونفس مدنسة ،فكأن خدمة الهيكل لا يعدون وظيفتهم مثالاً للفضيلة فيتزاحمون ويتضاربون حول المائدة المقدسة ظانين أن وظيفتهم هذه ليست مثالاً للفضيلة بل وسيلة لاقتناء المعاش ، ولا يفكرون بما على صاحبها من المسئولية العظمى حاسبين إياها سلطة غير محاسبة عما تأتي به من الافعال. فمثل هؤلاء الخدمة القليلي التقوى الذين وهم فى حالة السعادة

http://coptic-treasures.com

يستوجبون البكاء والنحيب كادوا يكونون أكثر عدداً من مرؤوسيهم، الذين هم على هذه الصورة. فالجدير بمن على هذه الشاكلة أن يتعلم أولاً واجباته ثم يحمل على عاتقه هذه المهمة، وإلا فمثله يكون مثل من يأخذ على عاتقه وظيفة التعليم وهو غير أهل لها، وكمثل رجل أراد أن يتعلم عمل القدور رأساً من نظره إلى قدر كبير، فلاشك أن مثل هذا جاهل وأحمق» ثم بدأ هذا القديس يوبخ الذين قبل أن يعرفوا أسماء الكتب المقدسة وكتابها ومؤلفيها انهم لدى استظهارهم كلمتين أو ثلاث بالسمع لا بالكتب يظنون أنفسهم معلمين ماهرين ويريدون أن يدعوهم الناس يامعلم»

وقال القديس يوحنا ذهبي الفم «الكهنوت يكمل على الارض ولكنه مشروع سماوى، فانه لا انسان ولا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا غير قوات مخلوقة أقام هذه الخدمة، بل الروح القدس نفسه هو الذى رفع الانسان وهو على الارض الى رتبة الملائكة، ولذلك فعلى الكاهن أن يكون نقياً طاهراً كأنه بين الملائكة أنفسهم. أيفتكر الانسان حين يرى الرب يقدم ذبيحته والكاهن أمام المذبح يصلي ويرش الجميع بالدم الزكي انه بين العالم وعلى الارض. كلا ثم كلا فان العقل يصعد إلى السماء ويطرح الافكار العالمية جانباً. فالكهنة انتدبوا ليديروا السماويات وهم على الارض، وأخذوا سلطاناً لم يعطه الله للملائكة ولا لرؤساء الملائكة. لانه لم يقل لهؤلاء ما تربطونه على الارض يكون مربوطاً فى السماء وما تحلّونه على الارض يكون محلولاً في السماء..»

وبعد ان تكلم عن نقاوة الكاهن الادبية اللائقة بخدمته السامية قال «كيف يجب ان يكون ذاك الذى يصلي عن بلدة باسرها لا بل عن العالم

http://coptic-treasures.com

كله ويطلب من الله تعالى مغفرة خطايا الاحياء والاموات ايضاً . بالحق انا اعدّ أن جسارة موسى وايليا غير كافية لذلك . لان الكاهن يتقدم الى الرب كأنه موكل عن كل العالم ، وكأب للجميع ، ويصلي لكي يمنع الله الحروب ويخمد الفتن ، ويطلب تعميم السلام ، وخصب اثمار الارض ، وزوال المصائب . ولذلك يجب ان يفوق من يصلي عنهم بمقدار ما يفوق المحامي المحامى عنه . واي نقاوة تطلب منه حين يستدعي الروح القدس ويكمل الذبيحة الالهية الرهيبة ، ويلمس سيد العالم ، بل يضعه فى قلبه . واى نقاوة يجب ان تحويها تلك الايدى التى تخدم ذلك . وكيف يجب ان يكون اللسان الذي يفوه بكلمات التقديس ، وكم تكون مقدسة النفس التى تقتبل الروح الكلي قدسه . فان الملائكة وكل الطغمات السماوية تقف اذ ذاك امام الكاهن على المائدة المقدسة متهللة ... فلا عجب بعد ان علمنا ذلك اذا رأينا الرجال العظام كالاناء المصطفى الذى خُطف الى السماء الثالثة واستحق ان يرى اسرار الله يرهبون دائما لدى نظرهم الى اهمية هذه الوظيفة »

وعند ما بدأ بذكر الاسباب التى دعته الى الهروب من قبول وظيفة الكهنوت قال « فليتهمونى بمحبة الشرف والمجد الفارغ ، اذا كان يكفي فقط فى رياسة الكهنوت أن أسمى راعياً وأتمم هذه الوظيفة كيفما كان ولا يكون خطر من ذلك ... على الذين يقتبلون الرعاية أن يكونوا ذوي فكر ثاقب ، وأن يعرفوا مقدار هذه النعمة العظيمة ، وأن يتجملوا بالآداب اللازمة الكاملة ، وأن يتزينوا بالفضيلة أكثر من بقية الناس . فأنت (القديس باسيليوس الذي كتب له) لاترفض أن تسامحني لاني ما أردت أن أهلك نفسي عبثاً وبدون فكر ... فأنا أعرف ذاتي وأعرف ضعفها

http://coptic-treasures.com

وحقارتها وأعرف أهمية الخدمة وصعوبة العمل العظيم ... فأمواج الشهوات والآلام تهز نفس الكاهن أكثر من الأمواج التي ترفعها الريح عن سطح البحر ، فتظهر قبل كل شيء صخرة المجد العظيم الأشد خطراً من صخرة سيرين (حيوان غريب كان على زعم الميثولوجيا يجذب الملاحين بنشائده الرخيمة ويهلكهم) فمن عهد الىّ برياسة الكهنوت يكون قد اوثق يديّ الى الوراء ودفعني حياً الى تلك الصخرة لتفترسني الوحوش . وما هي هذه الوحوش ؟ هي . غيظ ، ضعف ، حسد ، شتم ، اتهام ، شهادة زور ، رياء ، حيلة ، غضب نحو من لم يحزننا ، محبة المديح ، محبة الشرف ، التعليم لاظهار السلطة ، التمليق ، اللطافة بمقاصد ، احتقار المساكين ، خدمة الاغنياء ، المجد المضر ، الخوف الذى هو من خصائص الجبناء ، عدم الجسارة ، التظاهر بالتواضع . عدم توبيخ الاغنياء ، وبالأحرى توبيخ الفقراء ، والاعراض عن الغني السائد خوفاً منه »

ثم تطرق الى ذكر ذنوب الكاهن فقال « انه (اى الكاهن) لا يقدر ان يخفي ما يرتكبه من الآثام ولو كانت طفيفة ، لانها تصير معلومة لدى الجميع حالاً . واما الذنوب التى يرتكبها العامة فتحدث كما فى ظلمة وتهلك مجترميها وحدهم ، بخلاف خطايا الرجل الشهير المعروف لدى الجميع فانها تجلب مضرة عمومية ، ولذلك يجب أن ينتخب للكهنوت من كان شبيهاً بالفتية القديسين الذين طرحوا فى الاتون البابلي . ويجب أن ينظر في المنتخب إلى أعماله الداخلية والخارجية وتقواه لا إلى أعماله الظاهرة ... انني أعرف كثيرين ممن كانوا يرضون الله فى خدماتهم بالتقشف والزهد ولكنهم لما دخلوا بين العالم وأخذوا فى تهذيبه فبعضهم لم يقدر على هذا العمل وانسحبوا عنه .

http://coptic-treasures.com

والفريق الآخر أجبروا على البقاء ولكنهم تركوا خطتهم السابقة فأضروا كثيراً بأنفسهم ولم ينفعوا الغير . وأنا لا أعد من قضى عمره في وظيفة دنيئة أهلاً للارتقاء إلى وظيفة عالية ... فعلى من أراد أن يشرطن أحداً أن يمتحن المشرطَن وعلى هذا أن يمتحن نفسه قبل الدخول في الكهنوت ... وعلى الكاهن أن يكون متعلماً وضليعاً في الكتاب المقدس وثابتاً في عقائد الايمان القويم ليتمكن من أن يجادل ويعظ ... بسبب عدم خبرة كاهن واحد يُقاد كثيرون إلى الهلاك ... وعلى الخصوص يجب أن يهتم الكهنة بانماء موهبة الكرازة وخصوصاً المتعلمين منهم فان الغير المتعلم إذا لم يعظ لا يندد عليه الشعب ، وأما المتعلم فيقرع من الجميع .فعليه إذن بالتمرين لئلا يفقد موهبة الوعظ والانذار بسبب عدم التمرين عليها » (كتابه في الكهنوت)

وقد وضع القديس ايرونيموس في سنة ٣٩٣ كتاباً دعاه حياة الاكليروس قاوم به ما اشتهر به بعض كهنة الغربيين من النقائص وقدم لخدام الكنيسة النصائح الثمينة التي تتعلق بخدمتهم ننقل هنا بعض فقرات منه قال « يجب قبل كل شيء على من كرس نفسه لخدمة كنيسة المسيح أن يفهم معنى اسمه ، ومتى فهمها عليه أن يجري بموجبها . لأن كلمة اكليروس هي يونانية ومعناها ميراث أو نصيب ، وقد سُمي الاكليروس هكذا لأنهم ميراث الرب أو لأن الرب ميراثهم ونصيبهم . فعليهم إذن أن يسيروا بحسب ما يطلبه اسمهم أي كأناس استحقوا الرب هاتفين مع النبي « الله هو نصيبي » وعليهم أن لا يميلوا إلا إلى الله لا إلى الربح العالمي الخسيس ، ليكون الله معهم وإلا فيقال عنهم « رفضت ميراثي ... صار لي ميراثي كأسد في الوعر نطق عليّ بصوته من أجل ذلك أبغضته ... رعاة كثيرون أفسدوا كرمي داسوا نصيبي جعلوا

http://coptic-treasures.com

نصيبي المشتهى برية خربة . جعلوه خراباً ينوح عليّ وهو خرب » (ار ١٢ : ٧ ـ ١٣) ثم قال هذا القديس « اهرب من الكاهن الذى كان فقيراً ثم أثرى بواسطة معاطاة الاعمال التجارية كهربك من الافعى والنار ، فان مثل هذا الكاهن الذى يهتم باسباب المعيشة العالمية يحصل لنفسه اسماً رديئاً ... » ثم يوجه القديس الكلام الى الكاهن موصياً إياه ألا يطمع فى مال الغير وألا يقبل أى شىء كان حتى ولو على سبيل الهدية بقوله « مَن يقدّم لك شيئاً وتقبله منه يقل أحترامه لك ، وبالعكس نزداد احتراماً لك اذا اعرضت عن هديته ... لاتجتمع بالسهرات والولائم مع العلمانيين ، واحرص من أن تشم منك رائحة الخمر . . . اذا كانت حرارة الشباب متقدة فىّ بدون ان اشرب خمراً فعليّ بالابتعاد عنه لانه لايخلو من جزء يسير من السم ... ضع على نفسك من الاصوام بمقدار ما تقوى على احتماله ، ولكن يجب ان تكون اصوامك نقية بلا لوم وبدون تظاهر وباعتدال ، لأنه ما هي الفائدة من الامتناع عن المآكل المطبوخة بالسمن اذا كنا نعدّ لانفسنا مائدة تجمع الاطعمة اللذيذة المتعددة ، وهل ياترى يكون صومنا صوماً اذا كنا غارقين في الملذات ، فالصوم الحقيقي هو المقتصر على الخبز والماء . . . أبعد أيها الكاهن عن الملابس الفاخرة وعن الدنيئة ايضاً ، لان في الاولى تظهر الفخفخة ، وفي الثانية يستتر حب المجد . فاذا كنت لا تلبس الثياب الناعمة يعدّ لك ذلك خدمة كبيرة ، وانما يكون لك الاحترام الزائد اذا لم يكن عندك دراهم كافية لابتياع الثياب . والمضحك المشين هو أن يكون جيبك مملوءاً من الاصفر الرنان وتظهر نفسك للعالم خالياً من منديل . طالع الكتاب المقدس بقدر طاقتك ، والاجدر ان لا تدعه من يدك ، وما يلزم

http://coptic-treasures.com

ان تعلّمه للغير تعلمه انت اولاً . احتفظ لئلا تناقض اقوالك بافعالك فتحمل سامعيك أن يقولوا لك لماذا انت لا تفعل مثلما تعلّم. وعندما تعلّم في الكنيسة لا تجتهد ان يمدحك سامعوك بل اجتهد ان يتنهدوا من عمق النفس. ولتكن دموع سامعيك دون سواها مديحاً لك . رصّع عظاتك بدرر الكتاب ولا تظهر الحدة فى الأنذار وتنادي بأعلى صوتك دون ان تدرك ما تفعل »

وقال القديس غريغوريوس النزينزي « يجب ان نكون اطهاراً لكي نطّهر غيرنا ، وان نتعلّم لكي نعلّم ، وان نكون انواراً لننير ، وان نقترب من الله لنحمل غيرنا على الاقتراب منه ، وأن نقدس أنفسنا لنقدسهم »

والخلاصة ان هذه الوظيفة هي وظيفة تكريس الذات لله وللناس ، وتقتضي ان تكون حياة الراعي ضحية دائمة للجميع ، يفرح مع الفرحين ويتألم مع المتألمين . ويجب ان يكون فيه روح الرسول بولس القائل « مَن يضعف وأنا لا اضعف . مَن يعثر وأنا لا التهب » (٢ كو ١١ : ٢٩) « صرت للضعفاء كضعيف لاربح الضعفاء . صرت للكل كل شيء لأخلّص على كل حال قوماً . وهذا أنا افعله لاجل الانجيل لاكون شريكاً فيه » (١ كو ٩ : ٢٢ و ٢٣)

http://coptic-treasures.com

كلمة ختامية

هذه هي أسرار الكنيسة السبعة التي أسسها مخلصنا له المجد كينابيع بركات تفاض على المؤمنين ، تنبع من كنز استحقاقاته الخلاصية التى اشتراها لنا بدمه الكريم ، وعلى أعمدتها أسس كنيسته المقدسة كما قال الحكيم « الحكمة بنت بيتها. نحتت أعمدتها السبعة » (أم ٩ : ١) فالحكمة هي يسوع المسيح ربنا ، والبيت الذي بناه هو كنيسته المقدسة ، وأما أعمدتها السبعة فهي الأسرار السبعة التي سلمها لرسله الأطهار ، ومنهم تسلمتها الكنيسة جيلاً بعد جيل ، ولا تزال تمارسها لفائدة ابنائها وأعضائها

واذا تأملنا رأينا أن هذه الأسرار تحيي فينا الفضائل الالهية الثلاث وهي الايمان والرجاء والمحبة . إذ تعلمنا أن الايمان هو الأساس الأول والشرط الذي لابد منه للاشتراك في كل سر من هذه الأسرار ، وأنه اليد التي تمتد لتناول البركات من يد المسيح نفسه مفيض النعم وواهب الخيرات . وبالرجاء تنتظر أرواحنا النعم التى وعد بأن يفيضها بواسطتها ، حيث وعد بموهبة خاصة لكل سر منها . فنتوقع راجين نيل تلك الهبة الموعودة . وكم تفيض قلوبنا محبة وشكراً لمخلصنا الذي منحنا احساناته التى لاتحصى مجاناً بلا ثمن . وكم نشعر بروح المحبة والآخاء لجميع المؤمنين عندما نعرف بأننا أعضاء بعضنا لبعض « لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا الى جسد واحد، يهوداً كنا أم يونانيين ، عبيداً أم أحراراً،وجميعنا سقينا روحاً واحداً» (١ كو ١٢ : ١٣) « فاننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد » (١ كو ١٠ : ١٧)

ومتى تأملنا في كل سر من الأسرار مجدنا الله تعالى على نعمه وآلائه، واعترفنا بجوده واحسانه ، وتذكرنا سقوطنا بالخطية، وتبريرنا مجاناً بدم مخلصنا الكريم ، وتقديسنا بنعمة روحه الأقدس . طالبين من الله تعالى أن يثبتنا فى ايمانه القو، فاننا بالمعمودية اعترفنا أمام الله وأمام كنيسته المقدسة بأننا جحدنا الشيطان بالتغطيس أعماله ، وأقبلنا إلى مملكة النور ، وتطهرنا من خطايانا وولدنا ثانية بالماء والروح ، وصرنا أبناءً لله ووارثين الحياة الأبدية . فمن لايشعر بالاعتماد باسم المسيح المترتبة على ذلك ، وأي اجتهاد يجب أن نبذله لنتمم خلاصنا بخوف انها الولادة الثانية

http://coptic-treasures.com

وبسر المسحة المقدسة نلنا عطية الروح القدس ومواهبه ، لتثبيتنا فى الايمان والحياة الروحية ، ولتعليمنا وارشادنا ، فكم يجب المحافظة على هذه النعمة منتبهين إلى قول الرسول « لاتطفئوا الروح » (١تس ٥ : ١٩) « اذاً لاشيء من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح » (رو ٨ : ١) « أما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف صلاح ايمان وداعة تعفف »(غل ٥ : ٢٢و٢٣)

وبتناولنا سر الافخارستيا نأكل جسد الرب ونشرب دمه ، ونقتبل في داخلنا يسوع المسيح نفسه . وبهذا نثبت فيه وهو يثبت فينا ، وننال الحياة الأبدية. ونذكر ذبيحته الكفارية التي قدمها على الصليب من أجل فدائنا وتبريرنا. فبأيّ تهيب نقبل إلى هذا السر الأقدس، وكم يجب علينا أن نستعد لاقتباله بكل ورع وايمان ومحبة، وقلب مملوء بالشعور الحي لنيل هذه الذخيرة المقدسة

وبسر التوبة نتصالح مع الله ونتقدم اليه بالانسحاق والخشوع ، ونعترف بخطايانا نادمين عليها عازمين على عدم العودة اليها ، لنعيش بالتقوى حتى نثمر اثمار التوبة الحقة (مت ٣ : ٧)

وبسر مسحة المرضى نلجأ الى الله تعالى عند المرض قبل الالتجاء الى الاطباء ، وبه ينال المريض ليس شفاء الجسد فقط ، بل شفاء الروح أيضاً. وبذلك نبارك الله ونخصص حياتنا لمن بيده امرنا

وفي سر الزيجة يرتبط الزوجان برباط مقدس ويكونان جسداً واحداً ، ويعدان بان يعيشا بالامانة والصلاح ، ويربيا اولادها التربية المسيحية المطلوبة لمجد الله وخير الكنيسة

اما الذين يُنتدبون الى الوظيفة الكهنوتية فينالون نعمة من الله وسلطة لتدبير امور الكنيسة ، واتمام طقوس الاسرار المقدسة . فكم يجب عليهم ان يتقدسوا ليقدسوا غيرهم وينتبهوا الى واجباتهم العظمى ليرعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه (اع ٢٠ : ٢٨)

هذه ايها القاريء العزيز اسرار الكنيسة السبعة المقدسة ، مبرهنة باقوال شهادة التاريخ واقوال الآباء . ولقد اتضح لك انها مؤسسة على الحق ، ة الايمان المستقيم، لاجتناء فوائد واثمار هذه البركات باستحقاق ، نحصل على مواعيد الله ، في هذه الحياة الدنيا وفي الحياة الأبدية .

امين

http://coptic-treasures.com

فهرست

صحيفة

اهداء الكتاب

كلمة الجمعية

كلمة تمهيدية

١ ماذا يعنى بكلمة « سر » فى الكتاب المقدس

٢ تعريف السر الكنسي

٣ مناسبة الأسرار للطبيعة البشرية

٤ التشابه بين الأسرار وبين ما تشير اليه

٥ جوهر الأسرار وفعلها

١٢ مفعول الأسرار

١٥ شروط تتميم كل سر ودحض الآراء الفاسدة فى هذا الشأن

١٧ خادم الأسرار

٢٢ عدد الأسرار

١ — سر المعمودية

٢٦ الفصل الأول — تعريف السر وأسماؤه — رتبة المعمودية بين الأسرار

٢٧ — لماذا عيّن الرب الماء للمعمودية

٢٧ — رموز المعمودية فى العهد القديم وأنواع المعموديات

٣٠ — تأسيس سر المعمودية

٣١ الفصل الثانى — ضرورة المعمودية ولزومها للخلاص

٣٥ الفصل الثالث — وجوب تعميد الأطفال

٤١ الفصل الرابع — كيفية ممارسة سر المعمودية ووجوب اتمامها بالتغطيس وادحاض طريقة الرش

٤٦ الفصل الخامس — الاعتماد بأسم الثالوث الأقدس ومعنى الاعتماد باسم المسيح

٤٧ الفصل السادس — نتائج سر المعمودية غير المنظورة واثبات انها الولادة الثانية

http://coptic-treasures.com

صحيفة
٥٢ الفصل السابع — وحدة المعمودية وعدم اعادتها
٥٣ الفصل الثامن — معمودية الدم أو الشهادة
٥٥ الفصل التاسع — من له حق التعميد — واجبات المعتمدين
٥٨ — وظيفة الأشابين

٢ — سر الميرون

٦٠ الفصل الأول — ارتباطه بسر المعمودية وتعريفه وأسماؤه والغرض منه وتأسيسه
٦٣ الفصل الثاني — استقلال هذا السر عن سر المعمودية واثباته
٧١ الفصل الثالث — منح السر حالاً بعد المعمودية وخطأ الذين يؤخرونه
٧٣ الفصل الرابع — الميرون واستعماله وتاريخه
٧٧ الفصل الخامس — نتائج السر وعدم اعادته وحق اتمامه

٣ — سر الشكر أو الأفخارستيا

٨٠ الفصل الأول — تعريف السر وسموه على باقي الأسرار — أسماؤه — الوعد به — تأسيسه
٨٤ « الثاني — ايمان الكنيسة الارثوذكسية. الذين أنكروا حقيقته
٨٦ « الثالث — اثبات صحة الحقيقة الارثوذكسية
٩٢ « الرابع — أقوال آباء الكنيسة والمجامع وايمانهم
٩٧ « الخامس — كيفية حضور الرب في هذا السر ومعنى الاستحالة
٩٩ — عدم انقسام القدسات مع تفصيل أجزائها ووحدة السر
١٠١ « السادس — ادحاض الاعتراضات على هذا السر
١١٢ « السابع — سر الشكر من حيث هو ذبيحة وصفاتها ونسبتها الى الذبيحة التي قدمت على الصليب
١٢٠ « الثامن — وجوب تناول السر تحت الشكلين
١٢٣ « التاسع — مناولة الاطفال
١٢٤ « العاشر — الاثمار الخلاصية التي ننالها

http://coptic-treasures.com

صحيفة

١٢٦ الفصل الحادي عشر — وجوب استعمال الخبز الخمير وادحاض بدعة الفطير
١٣٤ « الثاني عشر — ادحاض الاعتراضات فى هذا الشأن

٤ — سر التوبة

١٤١ الفصل الاول — تعريف سر التوبة وتأسيسه
١٤٢ « الثاني — استعمال السر في الكنيسة
١٤٦ « الثالث — شروط التوبة
١٥٠ « الرابع — الاعتراف
١٦٠ « الخامس — نتائج سر التوبة
١٦١ « السادس — التأديبات الكنسية
١٦٨ « السابع — الخطايا التى يشملها سر التوبة وماهية الخطية التي لا تغفر
١٧١ « الثامن — فساد تعليم كنيسة رومية في اوراق الغفرانات

٥ — سر مسحة المرضى

١٧٧ الفصل الاول — تعريف هذا السر وتأسيسه
١٧٨ « الثاني — تفنيد الآراء الفاسدة عن هذا السر
١٨٠ « الثالث — اقوال الآباء عن هذا السر
١٨٣ « الرابع — اتفاق جميع الكنائس وشهادة التاريخ وشهادة ناكري الاسرار
١٨٥ « الخامس — حق تتميم السر للكهنة ونتائجه

٦ — سر الزيجة

١٨٧ الفصل الاول — الزيجة من حيث هي ناموس طبيعي ومن حيث هي سر
١٨٨ « الثاني — الغاية من الزيجة وتأسيس هذا السر

http://coptic-treasures.com

صحيفة

١٩١ الفصل الثالث — اقوال آباء الكنيسة عن سر الزيجة
١٩٣ « الرابع — العمل المنظور فى اتمام السر وفعله غير المنظور
١٩٥ « الخامس — الشروط المطلوبة لعقد رباط الزيجة
١٩٦ « السادس — اوصاف الزيجة المسيحية
٢٠٧ « السابع — حالة البتولية اشرف من حالة الزواج

٧ — سر الكهنوت

٢١٣ الفصل الاول — ارتباط هذا السر بباقي الاسرار وتعريفه
٢١٥ « الثاني — الكهنوت من حيث هو رتبة مختصة بافراد معينين فى الكنيسة
٢٢٥ « الثالث — الكهنوت من حيث هو سر وله طقس خاص
٢٣٩ « الرابع — رد اعتراضات البليموثيين والاصلاحيين
٢٥٠ « الخامس — درجات الكهنوت الثلاث وترتيبها من الله
٢٥٤ « السادس — درجات الشماسية والقسيسية والاسقفية
٢٥٦ « السابع — القسم المنظور من السر وفعله غير المنظور وعدم اعادته
٢٥٨ « الثامن — خادم سر الكهنوت
٢٦٠ « التاسع — الدعوة الى الرتبة الكهنوتية وعلاماتها ومؤهلات المدعوين اليها
٢٧٥ كلمة ختامية

http://coptic-treasures.com